المشير أبو غزالة

ظلمته السياسة .. وأنصفه التاريخ

أميرة فكري



مكتبة جزيرة الورد

المشير أبو غزالة

ظلمته السياسة .. وأنصفه التاريخ

أميرة فكري

الكتاب الأول والوحيد الموثق «عنه» والمصدق عليه من وزارة الدفاع وبشهادة زملائه وأصدقائه وأسرته حتى وقت صدوره

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

كتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : المشير أبو غزالة

المـــــؤلف : أميرة فكري

رقـم الإيداع

الطبعة الأولى٢٠١٢

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.c

الإهداء

إلى كل صاحب رسالة سامية وهدف نبيل فى الحياة.

إلى كل وطنى قدم لبلده الغالى والنفيس ولم ينتظر المقابل.

إلى كل من يبحث عن الحقيقة والكلمة الصادقة.

إلى كل من عرف بطل الكتاب أو سمع عنه أو سعى لأن يتعرف عليه أهدي هذا الكتاب.

أميرة فكرى

تقديم هذه الطبعة

وما من كاتب إلا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

أبيات من الشعر منذ قرأتها أخذت على عاتقي ألا أكتب إلا ما يفيد ويبني ويخدم الإنسانية مهما كلفني من مشقة، ولذلك تخصصت في الكتابة العسكرية كجزء هام في مكتبتنا العربية ، وتناولت سرد حياة العظماء وكبار رجالات القوات المسلحة .

وكان يراودني دافع دائم للكتابة عن المشير أبو غزالة وتعذر ذلك في حياته نظرًا لمرضه ولصعوبة الوضع السياسي في ذلك الوقت حتى كنت أعد مذكرات اللواء حسن الجريدلي وفكرنا فيمن يليق بأن يقدم المذكرات ورجوته أن يكون المشير أبو غزالة .. وبالفعل هاتفه ورحب الآخر، ولكن من مفارقات القدر أنه كان في فرنسا للعلاج من مرضه الأخير.

فخطف منا الفارس .. وفي يوم وفاته كان تصميمي على إعداد كتاب عنه، ولم تكن البداية سهلة، ولمدة عامين كنت ألهث لالتقاط المعلومة من هنا وهناك .. وأسعى لكل مصدر مهما كان الوقت والمكان والمشقة والتكلفة .

بحثت عن مذكراته ولم أجدها ولكني وجدت أرشيفًا صحفيًا وإعلاميًا أعده هو عن أهم لقاءاته الإعلامية ونشرها في عدة أجزاء من الكتب .. تجاوزت صفحاتها الأربعة آلاف صفحة وأخذت ألتقط منها كل ما يخص حياته الأسرية والطفولة والحرب والقتال .

وكان أول من رسم معي خطة الكتاب أستاذي وأبي الروحي ابن سلاح المدفعية والخبير الاستراتيجي اللواء دكتور عبد الرحمن الهواري وأخذ يعرفني ببعض شخصيات من الدفعة ٤٩ حربية دفعة المشير أبو غزالة ثم من خدم معه عبر سنوات حياته .. وكان يحدثهم قبل لقائي بهم ويشيد بي لمن لا يعرفني .

ووجدت ترحيبًا شديدًا من كل الرجال والأحباء والأصدقاء والزملاء الذين خدموا مع المشير الراحل وسجلوا كلمتهم في الكتاب .

بل إنه بعد صدور الطبعة الأولى للكتاب هاتفني بعض من لم يحالفني الحظ في تسجيل شهادته في الجزء الأول من الكتاب لتسجيل شهادته في الجزء الثاني من الكتاب عند إعداده

البداية كانت مع أسرته وبتعرفى بزوج إحدى بنات المشير .ورحب بفكرة الكتاب وسعيت لمقابلة أولاد المشير وتكلمت مع ابنه (أشرف) واعتذر عن الحديث قائلاً : أن والده كان يرغب أن يكونوا بعيدًا عن صخب الإعلام في حياته وبالتالي فهو ينفذ الوصية ويمتنع عن الحديث بعد وفاته لكنه لم يمنعني من إعداد الكتاب وتم إمدادي قبل الطباعة بصورة للغلاف وبعد طرح الكتاب في الأسواق، وإعدادي حلقة عنه في إحدى القنوات الفضائية وجدت أسرة المشير بالكامل ، السيدة حرمه وبناته الثلاثة وزوج إحدى بناته المهندس أنور الدغيدي ، يتصلون بي ويشيدون بالكتاب وأخبروني أنهم بصدد إعداد موسوعة عن المشير، وسيكون كتابي أحد المصادر الأساسية فيه .

ساعدني أيضًا في إعداد الكتاب كتيبة كاملة من أصدقاء المشير على رأسهم رفقاء الميدان وسلاح المدفعية الذين وفروا لي تاريخ المشير العسكري منذ بداية تخرجه وحتى نهاية خدمته العسكرية وما بعدها ، ومواقفهم الإنسانية معه .

ولا أنسى الفريق عبد رب النبي حافظ رئيس أركان حرب القوات المسلحة السابق الذي وافق على تسجيل شهادته في حق زميل الدفعة ٤٩ حربية ، وقام بقراءة الكتاب قبل النشر وأبدى لي بعض الملاحظات التي أفادتني كثيراً .

وأيضًا الفريق صفي الدين أبو شناف رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقًا وزميله وصديقه والذي أثرى الكتاب كثيراً بذكرياته وشهادته .

أما قائد الجيش الثاني الميداني والأب الروحي للعسكرية المصرية اللواء عبد المنعم خليل والذي عمل تحت قيادته المشير أبو غزالة وكان من أقرب الضباط إلى قلبه فأثرى الكتاب بذكرياته وأحاديثه وأمدني بصور نادرة جمعته بأبي غزالة .

وبكل ود وامتنان فإنني أشكر كل من سجل معي وقدم لي معلومات وسعى لتذليل عقبات من أجل أن يرى الكتاب النور ..

وأخص بالشكر كبير المحررين العسكريين الأستاذ محمد علي السيد على نصائحه في هذه الطبعة ومعاونته وتقديره لقيمة الكتاب وسعيه لأن يكون عمل يليق بصاحبه.

الخلاصة أن هذا الكتاب اعتبر مرجعًا أساسيًا عن المشير أبو غزالة تناول حياته العسكرية والإنسانية وجزءًا كبيراً من السياسة بشهادة أقرب الأقربين منه واعتبر أول كتاب يصدر عنه والكتاب الوحيد الموثق والمصدق عليه من وزارة الدفاع حتى الآن .

ما الجديد الذي يجده القارئ في هذا الكتاب ؟

سيجد تاريخًا عسكريًا وإنسانيًا وسياسيًا كاملًا عن المشير أبو غزالة منذ بداية دخوله المجال العسكري وحتى انتهاء خدمته بالقوات المسلحة . وإنجازاته وأعماله والحروب التي حارب فيها وفكره الذي طور به القوات المسلحة وعلمه الذي تعلمه وذكرياته ونجاحاته وأحداث كثيرة مرت على مصر وكان شاهدًا عليها أو مشاركًا فيها ومنها حروب مصر المعاصرة ابتداء من حرب فلسطين وحروب ٦٧ والاستنزاف وأكتوبر ٧٣ ، ثم مباحثات السلام المصرية ، وتواجده لحظة اغتيال الرئيس السادات ودوره في الحفاظ على البلاد أثناء أحداث الأمن المركزي في ٨٦ ودوره في حرب الخليج الأولى والثانية ، وغيرها من الأحداث الكثيرة التي ارتبطت به على المستوى الشخصي أو العام .. علاقات .. إشاعات .. مواقف .. صراعات .. أمريكا وروسيا والعراق والكويت ودول كان له علاقة بها أو له دور مصري وطني فيها ومعها .. كل هذا تناولته في هذا الكتاب الذي يقدم شخصية من أهم الشخصيات في القرن الحادي والعشرين والتي أحبها واحترمها الجميع . الأعداء قبل الأصدقاء .

ولكن ما الذي لم أتناوله في الطبعة السابقة ؟؟

هناك أحداث لم أتناولها في الطبعة الأولى لهذا الكتاب لكونها مجرد إشاعات أو موضوعات لم أتأكد منها . أو لبعدها عن الخيط الأساسي في هذا الكتاب وهو الناحية العسكرية .

الكثير من الحقائق والأحداث والخبايا والأسرار سنعرفها في هذا الكتاب الذي تحدث فيه من أحب المشير أبو غزالة وسعى أن يسجل كلمته عنه بكل أمانة وصدق .

كلمة أخيرة وهي نشر الكتاب .. والواقع أن الطبعة الأولى سعيت لنشرها في مؤسسة قومية تكريمًا للمشير الراحل والشيء الآخر لتحقيق نشر أوسع وحتى يكون سعره مخفضًا ومتاحًا للجميع .. بعد إصدار الطبعة بشهور قليلة .. تلقيت عرضًا من المجلس الأعلى للشباب لعمل موجز من الكتاب لإهدائه للنشء ليتعرفوا على هذا الرمز القومي .. وهو ما سعدت به. ثم كان اللقاء بالحاج فتحي هاشم ووجدته يقدر قيمة الكلمة ويسعى لنشر الحقيقة .. فكانت هذه الطبعة الثانية من هذا الكتاب .. ضمن إصدارات مكتبة جزيرة الورد التي أسعد بأن تكون المرفأ الذي أنشر فيه سلسلة كتبي العسكرية لكبار القادة ورموز القدوة والرمز .

أميرة فكرى

القاهرة ٢٠١٢

مقدمة الطبعة الأولى

إنهم قلة .. قلة من يصنعون التاريخ ويصوغون أبجدية الأحداث .. في زمن الانكسارات والهزائم .. كانوا بحارة مهرة يقودون الأمة في خضم الأمواج المتلاطمة .. وفي زمن الانتصارات .. كانوا وما زالوا شموسًا تشرق بأشعتها الوهاجة المعطاءة .. إنهم رجال القوات المسلحة الأجلاء .. ومن هؤلاء القادة العظماء .. القائد الإنسان والمفكر الإستراتيجي وابن المدفعية الراحل المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، وزير الدفاع والإنتاج الحربي السابق .. والذي رحل عنا منذ سنوات قليلة بعد رحلة حافلة من البطولات والإنجازات .

المشير أبو غزالة حظى باحترام وحب شديدين .. وتميز بخبراته العسكرية الهائلة وإحاطته الواسعة بالعلوم العسكرية . واعتبر من أفضل الوزراء الذين عملوا بجد وإخلاص مع الرئيسين السادات ومبارك ..

.. رحلة إعداد الكتاب اقتربت من العام ، حاولت فيها الغوص في شخصية هذا الرجل العظيم .. الذي أحبه الجميع داخل وخارج صفوف القوات المسلحة .

وبرغم مشقة البحث والتنقيب في تاريخه والبحث عمن عاصروه وعرفوه عن قرب .. فإنني كنت سعيدة وأنا أنهل من سيرته .. فعلى الرغم من إصدار عدد من الكتب القليلة عنه ، فإنها ــ في رأيي ــ لم تلق الضوء بشكل كاف على إنجازاته في القوات المسلحة قبل وأثناء وبعد حرب أكتوبر المجيدة .. وهذا ما سعيت لإنجازه في هذا العمل ، بالإضافة لتسجيل شهادات وذكريات كل من علمت أنه كان يعرفه .. سواء من أسرته .. أو أصدقائه .. أو زملائه .. أو تلاميذه .. أو من خدموا، أو تعاملوا معه ..

والحمد لله .. وبعد محاولات كثيرة مضنية ، استطعت التسجيل مع كثير ممن عرفوه عن قرب .. وبعد رحلة بحث شاقة عن زملاء الدراسة والميدان والعمل والحياة الخاصة والعامة ..

ومن المقابلات التي أثَّرت فيَّ .. لقائي بطباخه الخاص «عم محمد مرسي» والذي حظي بمعاملة خاصة من المشير أبو غزالة وأسرته .. معاملة أساسها الحب والاحترام ، حتى إن أسرة المشير أبو غزالة سمحت له بأن يكون موجودًا أثناء إنهاء إجراءات جنازة المشير .. ومن مفارقات القدر أن يقوم بأداء فريضة الحج بعد وفاة المشير مباشرة على نفقة المشير أبو غزالة وأسرته، ثم كان أول من لحق به إلى الرفيق الأعلى .. وذلك بعد تسجيلي معه بمدة تقل عن الشهر ..

رحلة أخرى كانت البحث عن أسرة المشير أبو غزالة ، والتسجيل معها ، ولكن المحاولات كلها باءت بالفشل .. ربما لأن أسرته لم تخرج من أحزانها بعد .. وربما لانشغالهم وضيق الوقت ، أو لتخوفهم من التعامل مع الكُتَّاب والهدف من نشر الكتاب، فقد سبق إصدار أكثر من كتاب لم يتناول أصحابها حقيقة الشخصية كما ينبغي ، وكان بها كثير من الافتراءات والتطرق لموضوعات مبنية على تخمينات وأهواء شخصية وشائعات .. أو ربما لاحتفاظهم بذكرياتهم معه لإصدارها في كتاب يعده أحد أفراد الأسرة كما يردد البعض ..

شرفت بالتسجيل مع شخصيات مهمة وعامة ، ولها علاقة بالمشير أبو غزالة وبتاريخ مصر .. شخصيات آثرت أن تعيش في صمت بعيدًا عن بريق وسائل الإعلام ، ولكن أمام حبهم للمشير أبو غزالة وإيمانهم بالهدف من مثل هذا الكتاب الذي يقدم قدوة للشباب .. فقد وافقوا على تسجيل شهادتهم للتاريخ .. وتبقى كلمة أخيرة وهي أنني لم أتمكن من تسجيل ذكريات سكرتيره وبعض أصدقائه وزملائه المقربين ، على الرغم من تمكني من الاتصال بهم ووعدهم لي بالتسجيل .. ولكن تعذرت المقابلة ولم أتمكن من التسجيل ، إما لظروف المرض أو السفر أو لظروف خاصة بهم ..

هذا الكتاب بذرة لعمل آخر يتناول شخصية المشير أبو غزالة من جانب آخر ، ويغوص في الموضوعات والأحداث التي لم أتطرق لها بشيء من التفصيل ، فربما أستطيع أن أغطيها في كتاب آخر أو طبعة أخرى من هذا الكتاب ..

هذا الكتاب من التاريخ وللتاريخ وأقل هدية يقدمها أحباء المشير إليه بعد رحيله عن عالمنا .

أملي أن ينال الكتاب رضا الجميع .. وأشكر كل من قاموا بتسجيل شهاداتهم أو مساعدتي في ترشيح مصادر أو تذليل عقبات أو التوجيه والإرشاد لي خلال رحلتي في إعداد الكتاب .. وخاصة رؤساء أركان حرب القوات المسلحة ، ومساعدي المشير الراحل وزملاءه وتلاميذ المشير أبو غزالة الذين عملوا وتعاملوا معه خلال فترة قيادته للقوات المسلحة وسجلوا شهاداتهم في هذا الكتاب ..

وكل الشكر أيضًا للجهات التي قامت بالمراجعة داخل القوات المسلحة وجزيل الشكر للسيد وزير الدفاع والإنتاج الحربي المشير حسين طنطاوي على التصديق بنشر الكتاب أسوة بكتبي السابقة .

ولا أنسى الشكر لزملائي وأصدقائي الذين ساعدوني في البحث عن مصادر أو الحصول على صور .. وأخيراً أسرة كتاب الجمهورية ، خاصة الكاتب الصحفي الأستاذ على هاشم رئيس تحرير كتاب الجمهورية ، ورئيس مجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر .. وشكرًا لكل القراء الذين يسعون للتعرف على رجال لا بد أن يعرفهم الجميع .. وفق الله الجميع ومنحهم القدرة على العطاء الدائم . فمصر ما زالت بخير لا تنضب ولا تزال قادرة على إنجاب الأبطال والرجال الحقيقيين .

أميرة فكري



الفصل الأول

النشأة والحياة العسكرية

من المسلم به أن تكون الأمانة في تسجيل التاريخ صفة جوهرية في المؤرخ، ولكن كتابة التاريخ ليست من الأمور السهلة التي تتأتى لكل الناس، فالكثير من الحوادث التاريخية لم يحظ بالتسجيل والتدوين فتركها التاريخ خلفه طي النسيان ، وعند البحث لا يجد المؤرخ بدًا من انتقاء المراجع والمصادر التي يثق فيها لينهل منها ويدون الأحداث، والاعتماد في كتابة التاريخ يكون على روايات وأخبار تناقلها الناس والجماعات في مختلف العصور، منها ما دُوِّن في وثائق ومخطوطات، ومنها ما لم يحظ بالسرد والتفصيل، ومنها ما يمكن استنباطه من بين طيات المعاني..

من كلمات المشير أبو غزالة

في أحد كتبه العسكرية

المشير أبو غزالة في سطور

ولد المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة في الأول من يناير ١٩٣٠ بقرية زهور الأمراء ، مركز الدلنجات ، بحيرة .. عاش طفولة هادئة سعيدة .. حصل على المركز الثالث عشر في الشهادة الثانوية العامة «التوجيهية وقتها» ، في مصر متفوقًا على أقرانه في مواد : الرياضيات واللغة العربية واللغة الإنجليزية . التحق بالكلية الحربية وتخرج فيها أول فبراير عام ١٩٤٩ ، اختار سلاح المدفعية الذي يناسب قدراته وحبه لمادة الرياضيات وانضم إليه ..

اشترك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .. في نهايتها قبل الهدنة بأيام قليلة .. سافر في بعثة دراسية عسكرية إلى موسكو عام ١٩٥٧ ، وعاد عام ١٩٦١ ليعمل في فرع التعليم بمعهد المدفعية، ثم تولى رئاسة هذا الفرع خلال حرب يونيو ١٩٦٧ .. لم يشترك في حرب يونيو ١٩٦٧ ، لكنه شارك في حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وأبلى بلاءً حسنًا ..

عمل قائدًا لمدفعية الجيش الثاني الميداني في حرب أكتوبر ، ثم عُيِّن عقب الحرب رئيسًا لأركان إدارة المدفعية .. اختير ملحقًا عسكريًا في الولايات المتحدة في يوليو ١٩٧٦ ، وحتى ١٩٨٠ ، عمل خلالها على تنظيم المساعدات العسكرية لمصر ، وتحسين العلاقات مع الأمريكان ، والقيام بدور رائع سجله التاريخ .. عُين وهو في هذا المنصب ، مديرًا للمخابرات الحربية ، لكنه لم يستمر فيه طويلًا ، حيث أصدر الرئيس أنور السادات بعدها بأيام قليلة قرارًا جمهوريًّا بتعيينه رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة ، كما أصدر الرئيس الراحل قرارًا جمهوريًّا بترقيته لرتبة الفريق في ١٥ مايو ١٩٨٠ .

استمر في هذا المنصب حتى استشهاد الفريق أحمد بدوي وزير الدفاع في حادث طائرة ، وباستشهاده تولى قيادة القوات المسلحة في عام ١٩٨١ ، واستمر في العطاء والعمل الجاد وقدم كل ما يستطيع تقديمه من أجل خدمة مصر والقوات المسلحة ونجح ومن معه في إحداث تغييرات وإضافة امتيازات داخل صفوت القوات المسلحة لم تكن موجودة من قبل خلال فترة خدمته ، وتتوالى الأحداث والأزمات وتثبت براعته في مواجهتها ، وبتوجيه من رئيس الجمهورية السابق محمد حسني مبارك ، زميله وصديقه .. ومن الأحداث المهمة التي عاصرها «اغتيال الرئيس السادات ، وحادث الأمن المركزي ، ومباحثات السلام المصرية ـ الإسرائيلية ، وعودة طابا ، وحرب الخليج الأولى .. وغيرها من الأحداث المحلية والعربية والعالمية» ..

واستمر في منصبه نحو تسع سنوات ، توج بعدها حياته العملية بمنصب مساعد رئيس الجمهورية ، وذلك في أبريل ١٩٨٩ ، وظل يخدم بكفاءته المعتادة حتى اعتزل العمل العام بعد إحساسه ببوادر المرض وذلك في عام ١٩٩٣ .. وانصرف بعدها عن الحياة العامة تمامًا ، واختار أن يقضي حياته في صمت بعيدًا عن صخب الحياة السياسية متفرغًا لإعداد كتبه والترجمة وممارسة رياضته المفضلة والقيام بواجباته الاجتماعية التي قصر فيها من قبل لانشغاله في عمله ..

نجح المشير أبو غزالة في إعداد مراجع مصرية يقوم معظمها على الترجمة ، وكانت نواة ثورة عسكرية فكرية في قواتنا المسلحة .. من أهم مؤلفاته العسكرية «وانطلقت المدافع عند الظهر» .. عن دور المدفعية في حرب رمضان و «القاموس العلمي في المصطلحات العسكرية» .. قدم وألف وترجم العديد من الكتب العلمية والعسكرية والسياسية .. وفتح أبواب العلوم الحديثة أمام المقاتل المصري ..

حصل المشير أبو غزالة على العديد من الدراسات والدورات العلمية والتخصصية العسكرية والمدنية .. منها دراسات عسكرية من روسيا ، ودبلوم الشرف من كلية الحرب الأمريكية .. وكان أول ضابط غير أمريكي يحصل على هذا الدبلوم .. تخرج في كلية الحرب وأكاديمية ناصر العليا .. حصل على بكالوريوس التجارة من جامعة القاهرة ، وماجستير إدارة الأعمال من الجامعة الأمريكية .. أجاد اللغات العربية ، الإنجليزية ، بالإضافة للغة الروسية التي أجادها إجادة تامة ساعده على ترجمة الكتب المخصصة والمهمة ..

المشير أبو غزالة تزوج من السيدة أشجان صالح ، ورزق منها بستة أبناء ثلاثة أولاد وثلاث بنات .. توفى أكبر أبنائهما في سن العاشرة واحتسباه عند ربهما .. جميع أبنائه يعشقون العلم .. وورثوا عنه كل صفاته من حب العلم والأخلاق الحميدة .. سمعتهم الطيبة التي ورثوها عنه ما زالوا يستظلون بفروعها هم وأبناؤهم .. وما زالت الشجرة تنمو والعائلة تكبر

.البداية والطفولة

مع بداية عام جديد .. وأثناء أذان فجر أول يناير عام ١٩٣٠ .. في قرية «قبور الأمراء» (١) .. مركز الدلنجات مدينة دمنهور محافظة البحيرة (٢) . انطلقت صرخات المولود «محمد» عبد الحليم أبو غزالة .. وحرمه الحاجة مبروكة.. أسرة طيبة من فلاحي عائلة ترجع أصولها إلى قبائل أولاد على . امتازت هذه العائلة بالتدين الشديد والأصالة والكرم وعُرف عنها حب العلم والمعرفة والتمسك بالأصول الريفية الأصلية ، مما جعلَها تتبوأ مكانًا مرموقًا بين سائر العائلات الأخرى .. ومن خلال هذه العائلة رضع الطفل أبو غزالة السلوك القويم والمبادئ الكريمة حتى أصبحت متغلغلة في كل خلية من كيانه .. نما وشب على تعلم أخلاقيات أبناء الريف البسطاء الأذكياء بالفطرة .. ولم يتكبر على أحد طيلة حياته رغم اعتلائه لأرقى الوظائف ..

بالعودة لأسرته ثانية .. نجد والده السيد عبد الحليم أبو غزالة وصل إلى درجة المدير العام في مصلحة التليفونات بالإسكندرية .. وأمه الحاجة مبروكة زعتر لم تعمل لكنها أحسنت تربيته هو وإخوته .. له شقيق واحد هو الدكتور يحيى وثلاث شقيقات هن السيدات : رحاب ووداد وبثينة.

مرت طفولة محمد أبو غزالة بهدوء وسلام ، كان فيها تلميذًا نبيهًا ، ذكيًا ، ومحبوبًا من الجميع ، تنبأ له معلموه بأنه سيكون ذا شأن في يوم من الأيام ـ وقد كان ـ فالقيادة تُصنع ولا تورث كما كان يقول الفريق الشهيد عبد المنعم رياض (٣) .

(١) نجح المشير أبو غزالة في تغيير اسمها بعد ذلك إلى زهور الأمراء ، بعد توليه منصب وزير الدفاع .

(٢) إحدى محافظات الوجه البحري في مصر ، أنجبت العديد من رجال الفكر والأدب والسياسة والعسكرية البارزين . من أشهر أبناء البحيرة الإمام محمد عبده والعالم الدكتور أحمد زويل ، والإعلامي عمر بطيشة والزعيم عمر مكرم والإمام محمد الغزالي والشيخ محمود شلتوت والدكتور مصطفى الفقي والدكتور أحمد الجويلي والمفكر عبد الوهاب المسيري وغيرهم من الرموز .

(٣) وجدت سمات كثيرة مشتركة بين الفريق الشهيد عبد المنعم رياض ، وبين المشير أبو غزالة من عبقرية وذكاء وقيادة ووطنية وحب الناس داخل وخارج صفوف القوات المسلحة .

اشتهر محمد أبو غزالة في قريته باسم ثروت .. اعتادت أسرته وأهل قريته أن ينادوه بهذا الاسم منذ صغره ..

يقول الحاج فوزي محمد غزالة «٨٢ سنة» عم المشير أبو غزالة : «إن ثروت أو محمد لم يكن ابن أخي فقط ، بل كان أخي وصديقي المقرب ؛ لأن فارق السن بيننا لم يكن سوى ثلاث سنوات لصالحي .. كنا ١٤ أخًا وأختًا ، ٧ أولاد ومثلهم بنات ، وكان عبد الحليم والد ثروت هو أكبرنا ، وعندما رزق بابنه فرح به فرحًا شديدًا وسماه أبو غزالة ، بدلًا من «غزالة» لقب العائلة ، كان ثروت تلميذًا متفوقًا ، يحب لعب الكرة جدًا وكان أهلاويًا صميمًا ..

كنت ألعب أنا وهو بجوار ترعة الحاجر ــ ذات يوم ــ وكنت أجيد السباحة بينما هو لم يكن كذلك ، ونزلت الترعة للاستحمام فأصر على النزول ، وبعد لحظات وجدته يغرق ، فصرخت وجاء عمنا عبد العظيم لإنقاذه فتعلم السباحة بعدها ، وكان في هذا الوقت في الصف الأول الثانوي [٤] .

نعود للطفل محمد عبد الحليم أبو غزالة وعن تعليمه نجده حصل على الشهادة الابتدائية من مركز الدلنجات .. عرف القراءة صغيراً وزادت قراءاته ونضجت موهبته مع بداية مرحلته الدراسية الثانوية ، فتمسك بها واستمر يقرأ ويلتهم ما تصل إليه يداه في مختلف المعارف والعلوم والأدب والشعر .

كانت أولى علامات التفوق وقطف ثمار العلم في امتحان التوجيهية ، في مدرسة عمر مكرم في دمنهور ، إذ نجح الطالب محمد بتفوق ، وجاء ترتيبه الثالث عشر على مملكة مصر عام ١٩٤٧ وهو في الخامسة عشرة من عمره ..

(٤) جريدة المصري اليوم ٢٠٠٨/٩/٩ .

الشاب محمد عبد الحليم أبو غزالة كان يرغب في الالتحاق بكلية الهندسة ، حيث كان عاشقًا لمادة الرياضيات . ولكن احترامًا لرغبة والده الذي حلم بأن يكون ابنه ضابطًا يخدم بلده ويتباهى به وسط قريته وأقاربه .. فإنه قدم أوراقه للكلية الحربية لتحقيق هذا الحلم ..

وقبل أن نتجه إلى التأهيل العسكري ودخوله الكلية الحربية ، وجب أن نشير إلى اهتماماته المبكرة بالقيادة وحبه للسياسيين والوطنيين ، ومشاركته في إحدى المظاهرات الخاصة بالإصلاح في بداية شبابه ..

من أرشيفه الصحفي ، يقول المشير أبو غزالة : «في سنوات العمر الأولى في الثانوية ، حدثت أيام صدقي باشا أزمات سياسية ، وكانت فيها مظاهرات من المدارس وأنا بطبيعة الحال شاركت فيها ، فقد كانت هناك بعض الدوافع .. ولكن أستطيع أن أقول إنها اتجاهات سياسية ، فالأمور التي تحدث في بلدنا تثيرنا كشباب صغير ، فتحدث مظاهرات أو هتافات ، ولكن لا أستطيع أن أقول: إنه كان عندي ميول سياسية معينة» .. وبانتهاء كلماته التي ينفي فيها أية ميول سياسية لديه .. تكون بدايتنا مع الكلية الحربية وانغماسه في العالم العسكرية ..

الكلية الحربية

منذ اللحظة الأولى التي خطا فيها الطالب محمد عبد الحليم أبو غزالة بقدمه أعتاب الكلية الحربية ، نالت تلك الكلية إعجابه وهو لا يزال يكتشف طبيعة الدراسة فيها .. ومن ثم فقد تأقلم سريعًا مع العالم العسكري رغم صعوبته واختلافه كثيراً عن الحياة المدنية ، واكتشف حبًا جديدًا لم يختبره من قبل رغم أنه رضعه سابقًا في طفولته من ثدي أمه ، ألا وهو حب الوطن .. وبدا عليه النبوغ منذ السنة الأولى .. وعلى الرغم من أنه الأصغر بين أبناء دفعته في الكلية الحربية ،

فإنه كان من المتفوقين فيها غالبًا ، وتشهد أحداث شبابه انفتاحًا فكريًّا واضحًا ، ظهر في متابعته للفنون والآداب والقصص .. وخلال سنوات دراسته بالكلية الحربية كان دائمًا ينجح بتفوق ، ويسأل أسئلة تلفت نظر المعلمين إليه وتدل على عبقريته وذكائه والتنبؤ بأنه سيكون ضابطًا عظيمًا ، هو وكثير من زملائه في الدفعة ٤٩ ، والذين تبوؤوا مراكز عظيمة فيما بعد ــ ومنهم الرئيس السابق محمد حسني مبارك ، والفريق عبد رب النبي حافظ رئيس أركان حرب القوات المسلحة السابق ، ووزير السياحة والطيران المدني الراحل توفيق عبده إسماعيل ، والسفير حسن أبو سعدة ، والمنتج السينمائي جمال الليثي – رحمهم الله - .. والوزير عوض هلودة رئيس الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء سابقًا ، وعدد ليس بقليل من القادة والرجال أصحاب البصمات الكبيرة في حرب أكتوبر ومصر كلها .. والجميع كانوا من أعز أصدقائه حتى رحيله وغيرهم كثيرون ..

تخرجت الدفعة عام ٤٩ في أول فبراير عام ١٩٤٩ .. بعد بداية حرب فلسطين بعام واحد والتحق أبو غزالة «ملازمًا ثانيًا» بسلاح المدفعية الذي يتناسب مع قدراته وذكائه الحاد وتفوقه في مادة الرياضيات .. فالمعروف أن سلاح المدفعية يعتمد دائمًا على المعرفة والبحث والتجربة والأرقام والحسابات الدقيقة ..

خلال وجود الطالب محمد عبد الحليم أبو غزالة بالكلية الحربية لم تَعُقه الدراسة عن ممارسته لعشقه الأول «القراءة» ، فاستمر يقرأ باللغة العربية والإنجليزية في العسكريات والفنون والأدب والعلوم والتاريخ والجغرافيا الاقتصادية بفهم واستيعاب لما تصدره الكتلتان الغربية والشرقية .. فالقراءة عنده ــ كما كان يقول ــ : «زاد وقيم ووعى وارتقاء» .

ونتيجة لذلك فقد ارتقت به القراءة عبر مواقعه التي شغلها ، فظل أكثر مرونة وعطاءً في تجديد سبل الحياة .. لم يتعال على زملائه .. ولم يَزهُ بقدراته الفكرية ، متألقًا بنسيجه البشري بين فصائل الرجال القليلة القادرة على ضبط حواسهم وإرادتهم ، مالكًا لخصال رفيعة متميزة بدفء التآخي والضمير اليقظ والقلب الحنون ، وامتزجت هذه المشاعر كلها بعزة النفس والحزم والصراحة المحكومة بالحسم ، مستمدًا يقظته من أصالة هذه الأسلحة الإنسانية الراقية (٥) .

في الكلية الحربية ومن خلال دراسته وعلاقاته الاجتماعية بأساتذته وزملائه ، أصبحت العسكرية ــ كما كان يقول ــ جزءًا مهمًا من حياته ، بل أهم ما في حياته (٦) .

وعن هذه الفترة ما يذكره أبناء الدفعة الـ٤٩ عن ذكرياتهم وعلاقتهم بالمشير أبو غزالة ، يقول الفريق عبد رب النبي حافظ رئيس أركان حرب القوات المسلحة السابق : (٧) ..

«بدأت معرفتي بالمشير أبو غزالة ، لحظة التحاقنا بالكلية الحربية عام ١٩٤٧ .. جمعنا القدر في سرية وفصل تعليمي واحد طيلة سنوات الدراسة ، وبحكم وجودنا المستمر معًا ، تدعمت صداقتنا وتوثقت علاقتنا بصورة كبيرة .. امتدت منذ ذلك الحين وحتى وفاته .. ما يزيد على ستين عامًا من الزمالة والصداقة والأخوة الوثيقة ..

(٥) حمدي لطفي . جريدة الأنباء يناير ١٩٨٧ .
(٦) صبري أبو المجد .. مجلة مايو ، أكتوبر ١٩٨٧ .
(٧) قائد الفرقة ١٦ خلال حرب أكتوبر وقائد الجيش الثاني ورئيس هيئة العمليات ورئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقًا .

أبو غزالة ــ في ذلك الوقت ــ كان يمثل لي الزميل الشاب الريفي المثقف بكل ما يحمله من معان حقيقية وسامية ، كان محبًا للقراءة .. ومن السمات المميزة له خلال هذه الفترة ، تفوقه في مادة الرياضيات التي كان يعشقها بشدة .. وهذا سر نجاحه في سلاح المدفعية..» .

ننتقل لزميل آخر في الكلية الحربية هو اللواء حسني السبع .. والذي يتذكر سنوات الدراسة قائلًا :

التحقت بالكلية الحربية بناءً على رغبتي .. كنت قادمًا من الريف .. الدفعة لم يكن لها أرقام مثل الآن ، بل كانت تسمى بالعام الذي نحن فيه ..

لم يتم تدريبنا بالصورة المطلوبة ، ولم توجد خطة لإتمام برنامج الدراسة كاملًا بنفس أسلوب ومستوى الدفعات السابقة ؛ لأنهم كانوا يؤهلوننا لسد خسائر حرب ٤٨ ، وحتى نكون احتياطيًّا للدفعة ٤٨ في فلسطين .. أخذنا المقرر الأساسي فقط في الكلية .. وتعلمنا قيم وأسس ومبادئ العسكرية السليمة وكان معلمونا على خلق وكفاءة عالية ..

ومن أتذكرهم من معلمينا في هذه الفترة .. الفريق محمد فوزي الذي كان يدرس لنا مادة التاريخ العسكرية واللواء جمال حماد واللواء أحمد توفيق عبد النبي ، وكلهم كانوا على أعلى مستوى وظهر ذلك في توليهم مناصب كبيرة كشفت عن مكامن شخصياتهم الفذة فيما بعد ، والسبب في تميز هذه الدفعة رغم تكثيف المواد مدة الدراسة أننا تعلمنا الأساس السليم ، وتم وضعنا على أعتاب الطريق الصحيح .

التحق أبو غزالة بسلاح المدفعية الذي يناسب قدراته وتفوقه الرياضي والتحقت أنا بسلاح المشاة ، ومن الزملاء الذين كان لهم ظهور واضح أبو غزالة وتوفيق عبده إسماعيل وكان الاثنان من الشخصيات البارزة اللامعة الذكية النبيهة والمتميزة والمحبوبة أيضًا .. أبو غزالة كنا نعتز به كإنسان وكطالب ممتاز علمًا وخلقًا وعسكريًا ، مما أهله للحصول على رتبة وهو في الكلية وقيادة الطلبة وزملائه .. (يعني من يومه وهو قيادي) .. والتفوق الأخلاقي كان له درجة ودور لا يقل عن التفوق العلمي والعسكري .

اتجهت للوزير توفيق عبده إسماعيل [٨] أستمع إلى شهادته وذكرياته التي يسترجعها قائلًا :

عندما انتهيت من امتحان التوجيهية في يونيه ١٩٤٧ .. كانت العائلة والمحيطون جميعًا يتمنون أن يكون اتجاهي لدراسة الطب ، وعندما ظهرت النتيجة لم يكن المجموع الذي حصلت عليه يؤهلني لدراسة الطب والهندسة ، وفوجئت بالوالد يقرر تقديم أوراقي لكلية واحدة (الكلية الحربية) ، حيث كان مقتنعًا أن قدراتي تفوق كثيرًا المجموع الذي حصلت عليه ، والسبب يعود إلى اشتغالي بالسياسة والمظاهرات التي كانت سمة رئيسية لدى غالبية الشباب في هذا الوقت .. وتم قبولي بالكلية إلا أن الدراسة تأخرت شهرًا عن موعدها نظرًا لانتشار وباء الكوليرا لدرجة أن الدفعة التي سبقتنا «سمَّتنا» دفعة «الكوليرا» ، وكانت هذه الدفعة الوحيدة في الكلية عند التحاقنا بها ، حيث لم تقبل الكلية طلبة جددًا ما بين عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٥ ، لذلك كان أفراد هذه الدفعة يتولون مناصب (باشجاويش الكلية وباشجاويشية وشاويشية السرايا والفصائل وأومباشية الجماعات) .

(٨) وزير السياحة والطيران المدني وعضو مجلس الشعب عن دائرة دكرنس بالدقهلية سابقًا ومن الضباط الأحرار . توفي بعد تسجيل شهادته بعام تقريبًا .

وكانت لقاءاتي الأولى مع الطالب المستجد محمد عبد الحليم أبو غزالة لقاءات تعارف ، كنا قادمين من الريف ، هو من البحيرة وأنا من الدقهلية ، وكان تقارب سلوكنا وعاداتنا سببًا في لقائنا وصداقتنا .. ورغم أننا لم نشترك في جماعة أو فصيلة أو سرية معًا .. فإننا كنا نتقابل في أوقات الراحة نذاكر بعض العلوم ونراجعها أو نتحدث عن مستقبلنا خصوصًا بعد أن تقرر تخريج الدفعة السابقة لنا فور انتهاء السنة الثانية وعدم استكمال دراستها للسنة الثالثة لقيام حرب فلسطين في مايو ١٩٤٨ والحاجة الماسة لضباط .. ولذلك تم تقديم موعد اختبارات السنة الأولى لنا شهرين تقريبًا ، وتم تقصير أجازتنا السنوية إلى أسبوعين فقط ، عدنا بعدها لنستمع لنتيجة الامتحان ، وكان ترتيبي الثاني ؛ مما أهلني لأكون باشجاويش للسرية الرابعة ، وترتيب أبو غزالة أهله ليكون (أومباشي) في السرية الثانية .. في الجيش يطلقون على تلك الرتب لفظ «صف ضباط» من الصول أعلى رتبة إلى وكيل أومباشي أقل رتبة ، ولصف ضباط الكلية الحربية امتيازات خاصة يتمتعون بها ، حيث يخضع لهم في الأوامر من هم أدنى منهم درجة ، بينما كان الأقدمية بيننا في السنة الأولى على أساس من تقدم بأوراقه أولًا لدرجة أن الطلبة سموها أقدمية (التورنكروفت) وهي ماركة الأتوبيسات العامة المستخدمة في القاهرة حينئذٍ ؛ لأنها توصلك للكلية أسرع بدقائق من خطوط الترام ..

المهم زادت لقاءاتنا أنا وأبو غزالة خصوصًا عندما تقرر في يناير ٤٩ إجراء اختبار نهائي للدفعة وتخرجها ، وكان نقاشًا حول الأسلحة التي نود الالتحاق بها ، وكان إعجابه متزايدًا بسلاح المدفعية ، أما أنا فكان اختياري الوحيد هو الفرسان ، (المدرعات الآن) .

وانتهت الاختبارات ، وكان ترتيب أبو غزالة المركز الثاني عشر .. أقيم حفل التخرج في الحادي عشر من فبراير ؛ حتى يتوافق مع عيد ميلاد الملك فاروق .. وتم توزيعنا ، فالتحق هو بالمدفعية وأنا بالفرسان حسب رغباتنا.. وافترقنا لفترة حتى التقينا مرة أخرى في العريش عام ١٩٥٠ .

السيد جمال الليثي [٩] زميل آخر للمشير أبو غزالة في الكلية الحربية ، ورغم مرضه فإنه تحامل على نفسه وبكلمات موجزة يقول : «أبو غزالة كان متميزًا بعلمه وأخلاقه الكريمة .. كان شهمًا ، إنسانًا ، خدومًا .. دفعتي وصديقي .. وأفتخر بذلك .

في الكلية كنا نمارس الرياضة ، أنا كنت في فريق كرة القدم ، وهو في فريق الملاكمة .. التحقت بسلاح الإشارة لتفوقي حيث حصلت على ٩٨.٥ % .. كل ما كان بيننا كان يحمل أسمي معاني الحب والاحترام والزمالة الحقة» .

سؤال تردد على ذهني .. هل اقتصرت علاقات الطالب أبو غزالة على أبناء دفعته فقط .. وحتى أعرف الإجابة اتجهت إلى اللواء يحيى خليفة مدير إدارة التجنيد سابقًا .. والذي قال : تزاملنا في الكلية الحربية ، كان يسبقني بسنة ..

(٩) السيد جمال الليثي .. من الضباط الأحرار ومن كبار المنتجين السينمائيين في مصر ، أنتج العديد من= =الأفلام المشهورة والوطنية والتي حصلت على جوائز كثيرة ، بالإضافة لاكتشافه العديد من الفنانين والنجوم الكبار مثل عادل إمام .. وهند رستم وفاتن حمامة وسعاد حسني . ورحل عن عالمنا بعد تسجيل شهادته بعدة أشهر.

ولكني كنت أسعى للتقرب منه .. التحقنا بسلاح واحد بعد التخرج .. وأصبحنا متلازمين منذ أن كنا ضباطًا أصاغر .. بكل صدق كان زميلًا رائعًا في كل شيء علمه وأخلاقه وثقافته [١٠] .

وعن لحظات حفل تخرج الدفعة ٤٩ نعود مرة أخرى للفريق عبد رب النبي حافظ والذي يسترجعها قائلًا :

«تخرجنا في ظروف خاصة وسريعة .. الحرب كانت على وشك الانتهاء وكانوا يريدون تخريج أي عدد من الضباط لسد احتياجات حرب ٤٨ ، حضرنا سنة أولى «إعدادي» وفي نهاية السنة الدراسية أمدونا بـ«كورس» مكثف بحيث يتم التخرج في أسرع وقت ، وتم تخرجنا في شهر فبراير ، رغم أن التخرج عادة ما يكون في يوليو وأغسطس .. واختير يوم ١١ تزامنًا مع عيد ميلاد الملك فاروق ..

تم تخريج ثلثي الدفعة التي كانت ٢٦٠ طالبًا ، تخرج فيها نحو ١٦٠ ضابطًا ، حفل التخرج كان بسيطًا ، اقتصر على وجودنا في صالة السينما بالكلية الحربية وبحضور حيدر باشا وزير الحربية في ذلك الوقت والذي أذاع الأسماء وأعلن التخرج والقرار الملكي .. أما باقي إجراءات التخرج فقد تمت من غير طابور عرض ولا استعراض ولا غيره ولهذا لم يتم تصوير الدفعة الصورة الجماعية التي عادة ما تلتقط للطلبة ..

(١٠) اللواء يحيى خليفة .. تدرج في العديد من الوظائف في القوات المسلحة و شارك في حروب مصر المعاصرة وقد و صل إلى منصب مدير إدارة التجنيد ، ثم نائب رئيس الجهاز المركزي للمحاسبات بعد إحالته للتقاعد من القوات المسلحة .

وعن سمات الدفعة ٤٩ يقول الفريق عبد رب النبي :

اعتبرت الدفعات ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ بداية تشكيل القوات المسلحة الجديدة .. بعد حرب ٤٨ وما حدث فيها .. وعودة الضباط من الحرب وتخرجنا .. وتمت إعادة تنظيم القوات المسلحة ، وبداية حضور الخبراء الأجانب لتدريبنا ، ورفع مستوى الكفاءة القتالية ، والاستفادة من الخبرات المختلفة ..

بعد تخرجنا في الكلية الحربية التحق أبو غزالة بسلاح المدفعية وأنا بسلاح المشاة وافترقنا ، أبو غزالة كانت له بعض الاهتمامات السياسية أثناء الدراسة ؛ وهو ما سهل انضمامه لتنظيم الضباط الأحرار تقريبًا عام ١٩٥١ ، وشارك وظهر اسمه في القرار الجمهوري للضباط الأحرار .

حرب فلسطين:

يقول الفريق عبد رب النبي : «تخرجنا في الكلية الحربية في ١١ فبراير ١٩٤٩ ، تم منحنا ثلاثة أيام إجازة ، بعدها تم توزيعنا على الوحدات .. وانضممت على اللواء الأول «الكتيبة الثانية» .. والتي عرفنا أنها محاصرة في الفالوجا وانتظرنا حتى حضور الكتيبة من فلسطين» .

وعن مشاركة الدفعة ٤٩ وأبو غزالة في حرب فلسطين يقول الفريق عبد رب النبي :

«لا نستطيع أن نقول: إن دفعتنا شاركت في حرب ٤٨ بصورة فعالة ؛ لأننا حضرنا الأيام الأخيرة في الحرب ، وقبل عقد الهدنة بأيام قليلة .. ومع ذلك حصلنا على نياشين حرب ٤٨ .. رغم عدم قيامنا بأي دور فعال فقد كنا دفعة حديثة وبرتبة ملازم ثان» [١١] .

اللواء حسني السبع يقول : «أنا من الضباط الذين ذهبوا إلى رفح ثم إلى مواقع الكتيبة الثالثة وكان توزيعنا لسد خسائر ٤٨ ولكن عندما وصلنا استقبلنا الإسرائيليون استقبالًا حافلًا بالقذف والضرب .. وبمجرد وصولنا كانت القوات تتجمع للعودة وبعدها بأيام قليلة تم عقد الهدنة وانتهاء حرب فلسطين .

وينفي المشير أبو غزالة مرة أخرى وجود أي ميول سياسية له في هذه الفترة .. ومن أرشيفه الصحفي يقول : «النظام والتعليم داخل الكلية الحربية يجعلك تفكر وتأكل وتشرب وتنام عسكريًا فقط ، فلم يكن هناك وقت للتفكير سياسيا» ..

(١١) اللواء يحيى خليفة ، وبرغم احترامه لكلام سيادة الفريق عبد رب النبي . إنه قائد عظيم يعي جيدًا ما يقوله ، إلا أنه يرى أن أبو غزالة شارك في حرب ٤٨ ؛ لأنه تخرج أثناء الحرب .. صحيح حدثت الهدنة بعد التخرج بأيام قليلة إلا أن الهدنة صورة من صور الحرب . ومعاودة القتال .

ولكن كيف سينضم للضباط الأحرار بعد ذلك ؟! .. سؤال سنجيب عليه في الصفحات القادمة ..

ونطوي صفحة البداية والطفولة والصبا .. لنبدأ صفحة أخرى مع الضابط الشاب أبو غزالة ويبدأ مسرح الأحداث مع الرجل انطلاقًا من شارع المهدي ــ والمنزل رقم ١٣ بحلمية الزيتون ، حيث المكان الذي سكن فيه منذ أن كان ضابطًا صغيراً ..

وشارع المهدي هو شارع صغير خلف مسجد الشيخ بخيت بميدان حلمية الزيتون ، بنى فيه الضابط الشاب «ثروت» منزلًا من ثلاثة طوابق ــ بعد عودته من البعثة الدراسية في الاتحاد السوفيتي ثم سكن فيه .. ولم يأنف من تلك الحارة الضيقة والتي لا يزيد عرضها على أربعة أمتار حتى بعد أن وصل إلى رتبة اللواء إلى أن تركها ليقيم في منزله الذي بناه في مدينة نصر وسكن فيه جميع أبنائه الذين أحبهم إلى أبعد مدى ..



الفصل الثاني

الرحلة العسكرية تحديات وإنجازات

لو أتاح لي العمر أن ألتحق بكلية ما لآخر عمري لمزيد من المعلومات والعلم ما ترددت أبدًا .

من كلمات المشير أبو غزالة

التدرج الوظيفي للمشير محمد عبد الحليم أبو غزالة

لو تحدثنا عن التدرج الوظيفي للمشير أبو غزالة ، فسنجد أنه فور التخرج في الكلية الحربية عُيِّن برتبة ملازم ثانٍ بسلاح المدفعية .. والتحق بالخدمة في الألاي الثالث مدفعية ميدان عام ٤٩ بألماظة «القاهرة» .. ثم التحق بالألاي الثالث بالعريش وخدم مع الملازم ثانٍ منير شاش ، وسافر إلى بعثة تعليمية بروسيا ، ثم تولى العديد من الوظائف القيادية .. الضابط أبو غزالة من القادة الذين لم ينالوا أي رتبة أو وظيفة استثنائية .. أي أنه التحق من بداية السلم الوظيفي إلى نهايته ..

الوظائف التي تولاها (١٢) :

تدرج المشير أبو غزالة في وظائف المدفعية القيادية حتى وظيفة :

- **قائد لواء مدفعية عام ٦٧ .**
- **قائد مدفعية الفرقة الثالثة المشاة منذ عام ٦٨ ــ ٦٩ .**
- **قائد لواء صواريخ عام ١٩٧٠ .**
- **رئيس أركان مدفعية الجيش الثاني الميداني ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ .**

(١٢) هذه الوظائف والأماكن والتواريخ ساعدني في إعدادها **اللواء محمد عباس منصور** قائد مدفعية الرئاسة العامة السابق ، ورفيق المشير في السلاح والميدان ، والذي شارك في إعداد كتاب في إدارة المدفعية تناول فيه المشير أبو غزالة وتاريخه العسكري .. بالإضافة للعديد من المصادر الأخرى من كتب وأرشيف صحفي ومقابلات لزملاء آخرين للمشير .

× **قائد مدفعية الجيش الثاني الميداني ١٩٧١ ــ ١٩٧٤ .**

× **رئيس أركان المدفعية عام ٧٤ ١٩.**

× **عين ملحقًا حربيًا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٦ .**

× **ثم مديرا للمخابرات الحربية ٧٩ ١٩.**

× **رئيس أركان حرب القوات المسلحة عام ١٩٨٠ .**

× **وزير الدفاع والإنتاج الحربي والقائد العام للقوات المسلحة عام ٨١ ١٩.**

× **نائب رئيس مجلس الوزراء ، ووزير الدفاع والإنتاج الحربي ، والقائد العام للقوات المسلحة عام ١٩٨٢**

× **مساعد رئيس الجمهورية عام ١٩٨٩ .**

× **حصل على وسام نجمة الشرف العسكرية عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ .**

الوظائف الأكاديمية :

تولى المشير أبو غزالة العديد من الوظائف الأكاديمية وأثبت كفاءة بارزة .. تعلم على يديه الكثير من الضباط الأكفاء .. عُين في الوظائف التالية ..

× **مدرسًا بالكلية الحربية عام ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤ .**

× **مدرسًا بمعهد المدفعية عام ١٩٥٦ .**

× **قائد بطارية مدفعية آلاي خلال حرب ١٩٥٦ .**

× مدرسًا بمعهد المدفعية عام ١٩٥٧ ــ ١٩٥٨ .

× مدرسًا بمعهد المدفعية عام ١٩٦١ ــ ١٩٦٨ .

* أما عن التأهيل العلمي والأكاديمي : فقد حصل على العديد من الدراسات والشهادات داخل وخارج مصر وكان يقول : «لو أتاح لي العمر أن التحق بكلية لآخر عمري لمزيد من المعلومات والعلم ما ترددت أبدًا» ..

ومن الشهادات التي حصل عليها :

ــ بكالوريوس تجارة من جامعة القاهرة ..

شهادة في دراسة الفنون العسكرية في الاتحاد السوفيتي من عام ١٩٥٧ إلى عام ١٩٦١ ، وعاد منها ليعمل مدرسًا بالأكاديمية العسكرية المصرية ..

ــ درس في كلية «لاكلهار» التي درس فيها أشهر قادة أمريكا .. أمثال أيزنهاور وباتون ومارشال وغيرهم من أصحاب الجنسيات الأخرى ، وذلك أثناء فترة توليه وظيفة ملحق حربي بأمريكا .

ــ ألقى عدة محاضرات في كلية الحرب البرية الأمريكية في «كارليل» بنسلفانيا التي منحته لقبًا شرفيًا لم يحصل عليه ضابط غير أمريكي .

* البعثات الخارجية :

سافر في كثير من المأموريات والبعثات قبل أن يكون وزيرًا للدفاع ومن الدول التي سافر إليها..

ـ فرنسا عام ١٩٥٥ .

ـ الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ .

ـ جمهورية كوريا الديمقراطية عام ١٩٥٧ .

*** أجاد وأتقن المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ثلاث لغات هي :**

الإنجليزية والروسية ، بالإضافة لإجادته للغة العربية بطلاقة ، وساعدته هذه اللغات في التعامل مع الآخرين ، خاصة الخبراء الروس والأمريكان ، وفي قراءة الكتب وترجمتها والوقوف على أهم ما بها ونقله إلى الجيش المصري للاستفادة منه .. وساعد على تزويد المكتبة العسكرية المصرية بكثير من كتب القتال والإستراتيجيات التي قام بتأليفها ..

حصل المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة على العديد من الأوسمة والنياشين [١٣] منها :

١ ـ وسام التحرير عام ١٩٥٢ .

٢ ـ وسام ذكرى قيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ .

٣ ـ وسام نجمة الشرف عام ١٩٧٤ .

٤ ـ قلادة النيل عام ١٩٨٩ .

(١٣) جريدة الأهرام ٥ مارس ١٩٨١ والعديد من الجرائد التي صدرت فور توليه وزارة الدفاع وتعيينه وزيرًا لها .

بالإضافة إلى عدد من الأنواط منها :

× نوط الجمهورية العسكري من الطبقة الأولى ١٩٧٤ .

× نوط الجلاء عام ١٩٥٥ .

× نوط الاستقلال عام ١٩٥٦ .

× نوط النصر عام ١٩٥٧ .

× نوط التدريب من الطبقة الأولى عام ١٩٧١.

× نوط الخدمة الطويلة ١٩٧٩ .

فضلًا على حصوله على العديد من الميداليات .

زار العديد من الدول مثل الاتحاد السوفييتي والمجر والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والجزائر والصين وكوريا الديمقراطية وبريطانيا .

بداية الرحلة العسكرية :

فور التخرج ، التحق ملازم ثان محمد عبد الحليم بالآلاي الثالث مدفعية ميدان عام ١٩٤٩ بألماظة [١٤] ، وكان الآلاي بقيادة البكباشي أركان حرب رشاد مهني ومن زملائه في هذا الألاي طلعت خيري وصلاح عبده وجمال نظيم ومصطفى كامل مراد «رحمه الله» .

ثاني مكان خدم فيه كان الألاي الثالث بالعريش ١٩٥٠ .

اللواء منير شاش زامله في هذا الآلاي ، وعن ذكرياته خلال الفترة يقول : «أول معرفتي بأبو غزالة كانت في العريش .. كنت أخدم في الألاي الأول [١٥] وقدم إلينا الألاي الثالث وكان ضمن ضباطه أبو غزالة وكنا برتبة ملازم ثان .. كان يقود الألاي الثالث رشاد مهني ومعه مجموعة ممتازة من الضباط أمثال أبو غزالة ، وكان قائدنا النقيب صلاح فؤاد وكان أيضًا ضابط آلاي متميزًا .. كثيراً ما كنا نتقابل ونتعامل معًا ونحن كأبناء لسلاح واحد حدث بيننا نوع من التجاذب والاندماج .. فالواقع أن ضباط المدفعية ــ وليس تحيزًا لسلاحي ــ ينجذبون لنفس سلاحهم بسهولة .. المهم بدأنا نتعارف وكنا نمارس ألعابًا رياضية كثيرة مثل الكرة الطائرة وكرم القدم وغيرهما وهذه الفترة كانت النواة الحقيقية لبداية معرفتنا وبذرة صداقة العمر التي روتها أيام الحرب والقتال والسلام والحياة عامة فيما بعد» ..

(١٤) حاولت أن أغطي هذه الفترة ولكني لم أجد أي معلومات غير كتاب عند الوزير توفيق عبده إسماعيل – رحمه الله - مدون فيه الأماكن التي وُجِّهت إليها الدفعة ٤٩ فور التخرج ... وجاء فيه أنه عُيِّن في هذا الألاي .. وخدم معه الضباط الذين ذكرت أسماءهم سابقًا .
(١٥) اللواء بمسمى التنظيم الإنجليزي .

صفحات وجدتها للمشير أبو غزالة في أرشيفه الصحفي يتحدث فيها عن ذكرياته من خلال أحاديثه للإعلاميين عندما كان وزيرًا للدفاع وما يخص هذه الفترة وعن علاقتها بالرئيس السادات يقول : «أتذكر أول لقاء بيني وبين الرئيس السادات ، كان ذلك في عام ١٩٥١ ، وكنت يومها ضابطًا برتبة الملازم أول في الآلاي الثالث بالعريش ، وفي هذه السنة ألغى النحاس باشا (رئيس الوزراء المصري في ذلك الوقت) معاهدة ٣٦ ، التي كان هو نفسه قد وقعها مع الإنجليز ، وقد حدث على إثر هذا أن استولت القوات الإنجليزية التي كانت موجودة في معسكرات كبيرة جدًا لها في القناة ــ في ذلك الوقت ــ على كوبري الفردان ، وقبضت عليه فصيلة من الجيش المصري كانت تحرس هذا الكوبري ، وقد انفعلنا غضبًا ليس لأن هذا الكوبري هو الجسر الوحيد الذي يربط بين مواقع وجودنا داخل سيناء وبين مصر ، ولكن انفعالنا كان للطريقة المهينة التي تم بها القبض على فصيلة حراسة الكوبري المصرية .

وكان تفكيرنا على ضرورة أن نتحرك ونهاجم الإنجليز الذين استولوا على الكوبري رغم أن العدد لم يكن يزيد على ١٤ ملازمًا كانوا موجودين في الآلاي الذي كنت فيه بالعريش ، وقد أثار غضبنا اهتمام قيادات القطاع والضباط الذين كانوا موجودين في المنطقة ، وفي هذه الأيام التقيت لأول مرة بالرئيس أنور السادات الذي كان ضابطًا في آلاي الإشارة في منطقة العريش ــ في ذلك الوقت ــ وقد جاء مجذوبًا للحس والشعور الوطني الذي عبرنا عنه برغبتنا في مهاجمة الإنجليز ، وكان اهتمامه ملحوظًا باتجاهاتنا وأفكارنا» .

نسجل شهادة أخرى لزميل آخر في هذه الفترة وهو الفريق أحمد صلاح عبد الحليم [١٦] والذي يقول : «بدأت علاقتي بالمشير أبو غزالة منذ عام ١٩٥١ ، كنت ملحقًا على كتيبة مشاة في الشرق وكان هو من ضباط المدفعية النابهين . وقد اختير في سلاح المدفعية لكفاءته .. كنا ملازمين أوائل ، وكان يمر على كتائب المشاة يعطي فكرة أو محاضرة عن كيفية إدارة نيران المدفعية بواسطة ضباط المشاة ، وأعجبتني طريقته في الشرح والعرض .

بعد ذلك تقابلنا مصادفة في مطار «أورلي» عام ١٩٥٥ أثناء اشتراكه في مأمورية لصفقة أسلحة بـ«تشيكوسلوفاكيا» ، وكنت أنا في الطريق للدراسة بإنجلترا ..

قصة الانضمام إلى الضباط الأحرار

رفيق العمر والسلاح وصفوف الضباط الأحرار .. اللواء منير شاش يقول : «النقيب فتح الله رفعت ، كان قائد البطارية التي كنت أخدم بها ، رجلًا مهمًا من الضباط الأحرار ، وكان يختبرنا ويلاحظنا ويختار من يشعر أنه يستحق أن ينضم إلى الضباط الأحرار ـ وفق وجهة نظره ـ ووقع على الاختيار .. أما الملازم ثاني أبو غزالة فكان لا يزال في العريش ؛ ووقع عليه أيضًا الانضمام إلى الضباط الأحرار وتم تدريبنا ..

(١٦) تولى العديد من المناصب منها قائد الجيش الثاني الميداني ورئيس هيئة العمليات ومساعد وزير الدفاع سابقًا .

في عام ١٩٥١ تم إنزال بطاريتنا إلى الهايكستيب ، فبعد إلغاء المعاهدة ساد توقع بقدوم الإنجليز من القناة وتهجمهم على القاهرة ، وكنا نأخذ مواقع دفاعية ومعنا كتائب مشاة ، إلى أن قامت الثورة وفي هذه الفترة كان الآلاي الثالث لايزال في العريش ؛ وبسبب ذلك لم يشترك أبو غزالة في الثورة مشاركة فعلية .. ولكن بعد تكوين مجلس قيادة الثورة ، اختاره كمال حسين للعمل معه مديرًا لمكتبه .. واستمر معه شهورًا قليلة ، حيث وجد أن هذا العمل لا يلائم طبيعته فهو لا يحب السكون ولا مكوث المكاتب ، فقد كان يشعر أنه خُلق ليكون ضابطًا مقاتلًا ، وسرعان ما طلب العودة إلى القوات المسلحة والخدمة في سلاح المدفعية ، وتم عودته بناءً على طلبه» .

وحول عمل ــ النقيب أبو غزالة ــ سكرتيرًا لكمال الدين حسين. ذكر أحد القادة العسكريين «أن أبو غزالة لم يشعر بالارتياح أثناء عمله سكرتيراً بمجلس قيادة الثورة ، فقد كان لحداثة سنه ورتبته الصغيرة يشاهد ويسمع ويلتقي بأشخاص كبيرة ، ورموز أكبر ، وكان يشعر ببعض الرهبة ، بالإضافة إلى أنه أحس أن هذا ليس مكانه فهو لم يُخلق للاستقبالات وتنظيم المكاتبات وتحديد المواعيد» .. ولولا شعوره هذا .. ما كان المشير أبو غزالة بعد ذلك .. ولعب القدر لعبته وأخذت الرحلة منحنى آخر بعيدًا عن السياسة ، ورغم ذلك فإنه أنهى حياته العملية بمنصب سياسي أيضًا ..

يقول توفيق عبده إسماعيل : «تعددت لقاءاتنا في نادي الضباط ، وتزاورنا في وحداتنا ، إلى أن قامت الثورة ، وعلمت أن وحدته قد شاركت بكامل ضباطها في أحداث تلك الليلة المباركة ما عدا اثنين من أبنائها ، كانا في العريش فتمام نقل المعدات رغم انتمائهما للتنظيم بقيادة المرحوم فتح الله رفعت .. والاثنان هما : وفاء جلال وعبد الحليم أبو غزالة» .

يقول حمدي لطفي ، كبير المحررين العسكريين في الثمانينيات «رحمه الله» :

قبل نهاية الأسبوع الأول على قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، كنت أتردد يوميًا ــ كصحفي ــ على مقر مجلس قيادة الثورة ــ رئاسة الجيش ــ كما كان يطلق عليها يومئذ وزارة الدفاع بكوبري القبة حاليًا..

منذ الساعات الأولى من نهار ٢٣ يوليو ، وقد راعني أن الضباط الأحرار الذين ينتسبون لسلاح المدفعية يمثلون حجمًا ووزنًا كبيرًا بين مجلس القيادة وجمهرة العسكريين الذين يجتمعون كل صباح بمقر قيادة الثورة ، عرفت من بينهم عبد المنعم أمين ، والعقيد رشاد مهنا ــ وكانوا يطلقون عليه «الأب الروحي للمدفعية» ، وتضم تلك المدفعيات المضادة للطائرات ، والمدفعية ، ومدفعية السواحل ، وعرفت أيضًا المرحوم المقدم عاطف نصار قائد الضباط الأحرار بالإسكندرية والمنطقة الشمالية ، والصاغين كمال حسين وصلاح سالم ، والنقباء مصطفى كامل مراد .. رئيس حزب الأحرار سابقًا وأبو الفضل الجيزاوي وأبو غزالة الذي قدم من سيناء مجندا في خلايا الضباط الأحرار هناك عام ١٩٥١ وآخرين غيرهم .. وأنا أتكلم عن ضباط المدفعية فقط وليس بقية الأسلحة الأخرى التي أسهمت في قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ومن بين من احتفظ برتبته العسكرية النقيب أبو غزالة ، وقد ظل يرتقي بسلم الخدمة حتى رتبة لواء ، ثم فريق عام ١٩٨٠ بعد توليه رئاسة الأركان ..

ويكمل قائلًا : كنت أنصت إلى النقيب أبو غزالة حين أسمعه يتحدث بين زملائه فأراه يلجأ إلى التحليل والأمثلة التاريخية ، ويربط بينها وبين دلالات عصرنا الحديث ، وذات يوم سألت عنه العقيد رشاد مهنا ــ الأب الروحي للمدفعية ــ وكان صديقًا للصحفيين ــ فقال لي محذرًا :

اقترب منه بحرص فإذا ناقشت معه موضوعًا تكلم بحساب لأنه عباس عقاد المدفعية .. قارئ لكل ما يخطر على بالك من كتب» [١٧] ..

ويعود النقيب أبو غزالة مرة أخرى لصفوف القوات المسلحة ولسلاح المدفعية بناءً على طلبه .. ويلتحق بالعمل مدرسًا في الكلية الحربية ويتعلم منه الكثير ويساهم في تخريج ضباط أكفاء ..

بحثت عن أحد هؤلاء الضباط الأكفاء الذين درَّس لهم خلال هذه الفترة وكان اللواء عبد المنعم سعيد [١٨] الذي يقول : «بدأت معرفتي الأولى بالمشير أبو غزالة في الكلية الحربية عندما التحقت بها بعد ثورة يوليو مباشرة إلى أن تخرجت في مارس ١٩٥٥ ، ثلاث سنوات كان هو في الكلية مدرسًا برتبة اليوزباشي «النقيب» ، وكان يدرس لنا مادة الطوبوغرافيا ، وكنا محظوظين بأسلوب سلس سهل ، يقضي على أي تعقيدات تصادف الطلبة ، تميز عن غيره من أعضاء هيئة التدريس بوجهه البشوش .. يتعامل مع الطلبة كأنه واحد منهم وليس أستاذهم فقط .

(١٧) يناير ١٩٨٧ / الأنباء .

(١٨) قائد الجيش الثاني الميداني ورئيس هيئة العمليات ومحافظ السويس ومطروح وجنوب سيناء والبحر الأحمر سابقا وخبير عسكري .

وجميعنا كنا نكن له الاحترام والحب ولم نجد له أي سقطة أو هفوة ننعته بها .. ذات مرة كان من ضمن المقرر الدراسي الذهاب لعمل مشاريع خارج الكلية لمتابعة الدروس عمليًا على الواقع .. كل فرقة يكون مدرس المادة مسؤولًا عنها مسؤولية تامة ، وكان هو مسؤولًا عن فرقتي .. عادة ما كنا نتدرب في منطقة الصحراء خلف الهرم أو في طريق الفيوم ــ إسكندرية لعمل مشروعات طوبوغرافية وتحديد المحاور ومعرفة كيف نتحرك من منطقة لأخرى باستخدام البوصلة العادية المغناطيسية أو الشمسية .. وكان يتعامل معنا ببساطته الشديدة ، وإخلاصه الشديد في التدريب .

من ضمن الأشياء البسيطة التي لم نفهمها في وقتها موقف قام به أثناء الدراسة .. في ذلك الوقت كانت الكلية تقيم مباريات كرة ونقيم دوري بينها وبين الأسلحة والكليات الأخرى . وكان الجميع يعلم أنه ينتمي لسلاح المدفعية وعاشق للرياضة ، وفي يوم ما أقيمت مباراة في الكلية بين فريق الكلية وفريق سلاح المدفعية .. وقام البوزباشي أبو غزالة بارتداء ملابس الرياضة ، ونزل إلى الملعب ليلعب ضمن فريق الكلية الحربية ضد سلاح المدفعية في الشوط الأول . وطبعًا كنا نشجعه في المدرجات ومدير الكلية وكبير المعلمين وباقي هيئة التدريس ، وفي بداية الشوط الثاني قام بتغيير ملابسه وانضم لفريق سلاح المدفعية للعب معه ضد الكلية الحربية ، من وجهة نظره أنه ينتمي إلى الفريقين وهذا واجبه .. فلعب مع سلاحه لإحساسه بالانتماء وإكرامًا له وعندما انضم لفريق الكلية فلأنه أحد مدرسيها ، وطبعًا كنا سعداء بذلك .. وأتذكر أنه بعد انتهاء المباراة ، أرسلت إدارة المدفعية خطابًا إلى مدير الكلية الحربية تشكر فيه اليوزباشى أبو غزالة لقيامه باللعب مع سلاحه ؛ كنوع من الانتماء إلى سلاحه» .

مواقف كثيرة تشي وتدل ونتعرف فيها على شخصية المشير أبو غزالة الرائعة .. ونعيش مع موقف آخر .. يقول الوزير توفيق عبده إسماعيل : «في يوليو عام ١٩٥٣ تم نقلي للكلية الحربية وهناك وجدت صديقي وزميلي أبو غزالة ، وحدث خلاف شديد بيني وبين كبير المعلمين حينئذ «القائم قام محمد فوزي» ، على العلم الذي سأقوم بتدريسه ، وكان اختياري للتاريخ العسكري لتفوقي فيه ولسهولة الرجوع للكتب فيه وتوافرها وكان اختياره مادة الطوبوغرافيا العسكرية وأصر عليها رغم اعتراضي بأنني لم أستكمل دراستها في الكلية لتخرجنا في السنة الثانية ، ولم أدرسها في سلاح الفرسان مثل الزملاء في سلاح المدفعية فهي أساسية في عملهم ، ولكني استبشرت خيراً عندما وجدت زميلي أبو غزالة يقوم بتدريس نفس المادة وبالفعل ساعدني كثيراً في فهم الكثير منها حتى أن المجموعات التي تلقت الطوبوغرافيا عندي نجحت بنسبة ١٠٠ % ..

علاقتنا في الكلية الحربية كانت علاقة زمالة وصداقة إلى أبعد الحدود ، وكان أبو غزالة رمزًا للعطاء لعمله ولطلبته ولزملائه وكدفعة واحدة ونشترك في تدريس مادة واحدة فقد كان لي النصيب الأكبر من هذا العطاء مساعدة في إعداد الدروس ونصائح وجلسات صداقة بصفة دائمة».

وينتقل إلى مكان آخر يخدم به .. وهو مدرسة المدفعية والتي عُيِّن فيها أكثر من مرة .. المرة الأولى كانت عام ١٩٥٦ .. وعن هذه الفترة يقول اللواء أ . ح متقاعد / محمد عباس منصور .. رئيس عمليات مدفعية الجيش الثاني الميداني خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ [١٩] :

(١٩) تولى منصب قائد مدفعية الرئاسة العامة وعدد من الوظائف الأخرى سابقًا .

بداية معرفتي به كانت بمدرسة مدفعية الميدان (معهد المدفعية حاليًا) عام ١٩٥٦ ، حيث تخرجت في الكلية الحربية في أول أبريل ١٩٥٦ «الدفعة ٣٥ حربية» التي تشرف بأن يكون أحد أبنائها .. المشير محمد حسين طنطاوي القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع والإنتاج الحربي ، والتحقت بسلاح المدفعية وعينت دارسًا بفرقة ضباط أصاغر مدفعية رقم «٣٣» «فرقة قادة فصائل /الأساسية» وكان اليوزباشى محمد عبد الحليم أبو غزالة أركان حرب الفرقة (المشرف على الفرقة) .. أستاذًا كفئًا ومعلمًا فذًا ..

أتذكر أن الضباط «الدارسين» بالفرقة كانوا ينتظرون محاضراته بشغف ، ليس في محاضراته النظرية فقط ، ولكن كان أكثر فعالية في طوابير التدريب العملية للمدفعية (طابور مدفع تعليم) .. وتكرر ذلك أيضًا في جميع الفرق (قادة السرايا ـ قادة كتائب مدفعية) التي حضرتها معه بعد عودته من بعثة الدراسة بالاتحاد السوفيتي عام ١٩٦١ .

أذكر منها فرقة قادة كتائب مدفعية رقم «٨» لمدة ثمانية شهور كاملة عامي ٦٦ / ١٩٦٧ قبل النكسة مباشرة .

ولم يقتصر الأمر على الدراسة بمدرسة المدفعية ، وإنما امتد إلى ميادين رماية المدفعية في نهاية كل فرقة

أبو غزالة كان يتحلى بالصبر مع الضباط الدارسين أثناء التدريب ، ويصحح لهم أخطاءهم ، ولا يتصيد لهم الهفوات ، وكان حريصًا على منحهم الثقة في أنفسهم في بداية خدمتهم بالمدفعية ، وأذكر جيدًا أنه لم تتم رماية مدفعية إلا وحضرها سواء كان مدرسًا بالمدرسة أو قائدًا بوحدات المدفعية التي قادها في مشواره الطويل بالمدفعية ».

نختتم هذه الفترة بذكريات اللواء متقاعد مسعد ششتاوي الخبير الإستراتيجي ورئيس قسم عمليات وتخطيط الجيش الثالث أثناء الإعداد لحرب أكتوبر ، ورغم أنه سلاح مشاة إلا أنه ذكر لي أنه درس على يد الرائد أبو غزالة وتشرب منه المدفعية في محاضرة لم تتجاوز الساعة ونصف الساعة وما زال يتذكرها حتى الآن قائلاً :

«في ٥٨ / ٥٩ وقبل التحرك إلى سوريا أيام الوحدة درس لي الرائد محمد عبد الحليم أبو غزالة وذلك أثناء دراستي فرقة عقائد شرقية ، فبعد صفقة الأسلحة من تشيكوسلوفكيا وروسيا .. كان لا بد من عقيدة شرقية جديدة بديلة للعقيدة الغربية التي كنا نتبعها .. ومن أجل هذا مررنا على العديد من مدارس الأسلحة المختلفة من الإشارة والمشاة والمدفعية .. وفي معهد المدفعية الرائد أبو غزالة سقانا المدفعية في ساعة ونصف الساعة مدة المحاضرة وحتى عام ٥٨ لم أكن أعرف ولم أفهم المدفعية الحقة إلا منه وكان هو في ذلك التوقيت برتبة صاغ «رائد» .

وننتقل لمكان وحدث آخر ..

* النقيب محمد عبد الحليم أبو غزالة .. يسافر مع أول بعثة تعليمية لضباط المدفعية إلى الاتحاد السوفيتي ١٩٥٨ ..

لعبت هذه البعثة دورًا كبيرًا في تشكيل شخصية وثقافة النقيب أبو غزالة وكل الضابط الذين كانوا معه .. ومن زملائه في هذه البعثة اللواء منير شاش ، والذي نعود إليه وإلى ذكرياته مرة أخرى .. يقول : «من الظروف التي دعمت علاقتي بأبو غزالة ، مسابقة دخلناها معًا للسفر في بعثة للاتحاد السوفيتي وكانت أول بعثة مدفعية تسافر إلى هناك ، الامتحان كان عام ١٩٥٧ ،

كان مقررًا سفرنا إلى تشيكوسلوفكيا ، ولكن في أوائل ١٩٥٨ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر أن العلاقة ستكون مع روسيا وليس تشيكوسلوفكيا ، وتحولت البعثة من دراسة بتشيكوسلوفكيا مدتها ثمانية أشهر إلى دراسة في الاتحاد السوفيتي مدتها ثلاثة أعوام .. وكانت دراسة شاملة لكل ما يختص بالمدفعية» .

اللواء أحمد فخر ، مدير أكاديمية ناصر العليا سابقًا والخبير العسكري وزميل أبو غزالة في هذه البعثة .. ينفض غبار السنين ويتذكر بعض أحداثها قائلًا : «عندما ذهبنا في البعثة كان معنا مجموعة من المهندسين وكانت أول خطوة في الدراسة هي النجاح في اختبار مادة التفاضل والتكامل وكنا نحو ١٥ ضابطا و ٨ مهندسين ، والغريب أنه لم ينجح أحد .. إلا أبو غزالة واضطروا إلى إعطائنا دروسا في هذه المادة لعمل حسابات المدفعية والدفاع الجوي وكان أبو غزالة متميزًا ومتفوقًا علينا .

من المواقف البطولية والتي أتذكرها جيدًا الإضراب السلمي الذي قاده أبو غزالة والذي حدث لأول مرة في تاريخ العسكرية المصرية في الخارج .. في البعثة كان مقررًا دراسة مادة اسمها «التاريخ العسكرية السوفيتي» .. من عادة السوفيت أن كل وحدة بها ضابط سياسي من الحزب أقوى نفوذًا من قائد الوحدة وقائد التشكيل .. حيث إنه يُبلغ الحزب ــ الذي يسيطر على كل شيء ــ بكل ما يتم في الوحدة .. من خلال تدريس هذه المادة لنا .. لاحظنا أنها تسعى لتعليمنا النظام الشيوعي ، وكيف يتخذ القرارات والنظام الشمولي ، وأنه أهم وأحسن نظام في العالم وسيهدم النظام الرأسمالي في العالم ..

واجتمعنا واقترح أبو غزالة أن نقوم بعمل إضراب سلمى .. وأخبرنا أن نرتدي الزي العسكري وندخل غرف المحاضرات ونغلقها من الداخل وقت مادة التاريخ العسكري ولا ندخل المدرس .. وعلم الملحق العسكري المصري بذلك وهو بدوره أبلغ المشير عبد الحكيم عامر ، وقدم إلينا المشير عامر بنفسه من مصر وبعد أن استمع لنا خاطبنا قائلًا : «معكم حق .. لا أريد لأي منكم أن يرجع من هذه الدراسة شيوعيًا» .. ونجح الإضراب وأُلغيت المادة .. والفضل كان لاقتراح أبو غزالة بالتصدي لمحاولة سيطرة الفكر الشيوعي علينا» ..

نعود للواء شاش وعن طبيعة الحياة في البعثة يقول : «في البداية كنا نقيم أربعة أفراد أو أكثر في غرفة واحدة ، وجمعتنا الليالي الأولى أنا وأبو غزالة ويوسف صبري أبو طالب وضياء الدين زهدي ، وكنا نشترك جميعًا في دولاب واحد ، بالإضافة لأدوات كثيرة اشتركنا في استخدامها .. انجذبت لأبو غزالة لأننا الاثنين ريفيان وتقريبًا مبادئنا متشابهة .. مما أدى لتقاربنا وزيادة ترابطنا .. بعد ذلك أقمت أنا وهو في غرفة تجمعنا نحن فقط بعد أن زادت أعداد الغرف» .

أما اللواء فخر فيقول لي ضاحكًا : مرة كنا نائمين وكنا ٦ طلاب في غرفة واحدة ، وفجأة وجدناه يصحو في منتصف الليل ويضئ النور ويفتح القاموس ، وعندما سألناه عما يفعله ، أجابنا بخفة دمه المعهودة قائلًا :

«لا شيء .. بس فيه برغوث قرصني وأريد أن أعرف كلمة برغوث باللغة الروسية .. !! ثم يكمل قائلا :

«أبو غزالة كان دائمًا ينشط ذهنه ويتحدث الروسية لدرجة أنه ترجم كتبًا من اللغة الروسية إلى العربية عن الإستراتيجية العسكرية الروسية وغيرها ، كان يجيد الروسية والإنجليزية، بالإضافة لعلمه العريض باللغة العربية وقراءة القرآن الكريم ..

نعود للدراسة ونجد أنها ساعدتنا بصورة كبيرة في التعامل مع الروس هناك ، والخبراء الروس بعد عودتنا .. وكان هو أكثر من استطاع التعامل معهم لإجادته اللغة الروسية ..

طبيعة المرحلة فرضت علينا تلاصقنا .. لغة لا نعرفها ومجتمع لم نألفه ، غربتنا عن الأهل ، ومشاركتنا في غرفة واحدة ، ومذاكرتنا معًا ، وخروجنا معًا .. كلها أمور ساعدت على زيادة ترابطنا» .

الدراسة في بلدة «بينزا» ..

يقول اللواء شاش : درسنا في أكاديمية ببلدة صغيرة اسمها «بينزا» ، لم يوجد بها أي مكان للترفيه غير مطعمين فقط ، الأول يسمى فولجر ريستوران ، والثاني صورة ريستوران .. ومن الأشياء الطريفة أن أهالي القرية والدارسين معنا كانوا يطلقون علينا لفظ «كابيتاليست» «الرأسماليين» ، وهذا يرجع إلى أن أي شخص لا ينتمي إلى الدول الشيوعية يعتبر رأسماليًا .. وخاصة أن بدل السفر الذي كان يصرف لنا كان بالنسبة لهم مبلغًا كبيرًا .. بالإضافة إلى ما كنا نرتديه من بدل وملابس تميزنا عنهم .. وكثيرًا ما حدثت صدامات بيننا وبينهم لهذا السبب .. بعد عام ونصف العام ، ذهبنا إلى موسكو لاستكمال الدراسة .. جميع الدارسين معنا من دول شيوعية تمنحهم روسيا البعثة بمصروفاتها عكسنا ..

.. وكان لنا بعض المغامرات والطرائف أذكر منها :

في يوم ما كنا نتناول عشاءنا في أحد المطاعم وشعب الاتحاد السوفيتي كله ينام قبل الساعة الثانية عشرة مساءً .. وأثناء خروجنا من المطعم اعترض طريقي أحد المواطنين الروس وأمسكني من رقبتي قائلًا : لماذا تلبس بدلة وبالطو وأنا لا ؟ فأخبرته بأني قادم في بعثة على نفقتي .. ثم قال ولماذا تلبس بالطو وأنا لا ؟ وأخذ يعدد عليّ كل ما أرتديه من كرافتة وقميص أبيض وغيرهما .. فالمعروف أن مستواهم كان لا يسمح بارتداء ما نرتديه من بدل وغيرها ، المهم طلب مني باستفزاز أن أخلع البالطو له .. طبعًا رفضت ، وقلت له : الدنيا برد ، فوجدته يخرج بونية حديد من جيبه ويهم بضربي بها وبسرعة مذهلة قام أبو غزالة ويوسف أبو طالب بإحضار الشرطة له وفي لمح البصر لم نره .. الخلاصة أنها فترة كانت لنا فيها مواقف كثيرة لا تنسى» ..

أهمية هذه الفترة عسكريًا :

وتبقى أهمية هذه الفترة العسكرية والتي يقول عنها اللواء شاش : الحقيقة أننا تعلمنا أشياء كثيرة خلال هذه الدراسة ، أهمها اللغة الروسية ، وكان ذلك إنجازًا كبيراً لنا بعد عودتنا إلى مصر ، فقمنا بترجمة العديد من الكتب الروسية إلى اللغة العربية واستفاد منها كثير من الضباط ، كذلك سهلت علينا التعامل مع الخبراء الروس في الجيش المصري .. وكنا نفهمهم بسهولة أكثر من الترجمة باللغة الإنجليزية ثم العربية ، فكان الكلام يفقد كثيرا من معانيه وبالتالي قضينا على الصعوبات التي كانت تواجهنا .. فدراستنا مثل الروس جعلتنا ننقل المعلومة أفضل والحقيقة أننا تعلمنا جيدًا واستفدنا بشكل كبير .

وأذكر أن الأمريكان أنفسهم كانوا يشعرون بتفوق الروس عليهم علميا ، مما دعاهم لإرسال بعثة إلى الاتحاد السوفييتي للتعرف على أسباب ذلك ، ووجدوا أن السبب هو تفوق الروس في علم الرياضيات وهو العلم الذي درسناه هناك بشيء من التخصص ، وتفوقنا فيه وتعلمنا مادة التفاضل والتكامل ، وقمنا بنقل هذه المعلومات والمواد إلى الطلبة والضباط بعد عودتنا إلى مصر .. وطبعًا أبو غزالة كان أكثرنا تفوقًا في هذه المادة .. كنا برتبة نقباء ، وكان أقدمنا في الرتبة النقيب يوسف صبري أبو طالب ، وكان معنا ضباط سوريون وأقدم رتبة معنا مقدم سوري ، ولذلك كان هو رئيس البعثة فتلك الفترة كانت أيام الوحدة بين مصر وسوريا» .

فائدة هذه البعثة :

وعن مدى الاستفادة من هذه البعثة يقول اللواء شاش : إنها المرة الأولى التي كنا ندرس فيها الفكر الشرقي ، من قبل كان يعلمنا الإنجليز .. وصراحة لم يكونوا يعلموننا أكثر من مستوى كتيبة حتى اللواء لم يقتربوا منه .. أما الروس فخبرتهم كانت كبيرة في إدارة العمليات الحربية وفنون القتال على مستوى كبير .. فهم جيش كبير ولديهم خبرة من الحرب العالمية الثانية .. وكان شيئا جديدا بالنسبة لنا تعلم ما هو أكبر من كتيبة ، وكان تعلم قيادة اللواء والجيش والقيادة العامة وغيره .. كنا ثمانية ضباط اجتزنا الاختبارات بتفوق .. من هؤلاء الضباط يوسف صبري أبو طالب وضياء الدين زهدي وأبو غزالة وآخرون .. أكثر شيء عمَّق ارتباطنا أننا لم نكن نعرف اللغة الروسية بعد وقابلتنا عقبات كثيرة قبل تعلم اللغة تلك إلى أن أخذنا دروسًا فيها وتمكنا منها ..

واستمرت علاقتنا ــ أنا وأبو غزالة ــ متلاصقة منذ أن سافرنا في نوفمبر ١٩٥٨ وحتى عودتنا في أوائل ١٩٦٢ .. وبعد عودتنا رقينا إلى رتبة الرواد ، وعدنا إلى مدرسة المدفعية ، فالمعروف أنه بعد عودة أي ضابط من أي بعثة يقوم بنقل ما تعلمه إلى أبناء سلاحه .. وأذكر أنه بعد فترة ذهبنا إلى مدير السلاح ، أنا وأبو غزالة ، وطلبنا منه السماح لنا بعقد دورة مثل التي اجتزناها هناك ، أسوة بما تفعله الأسلحة الأخرى .. ولظروف ما لم يتم تنفيذ مطلبنا إلا بعد عام ونصف العام من عودتنا من البعثة وسمح لنا بعقد دورة مدتها ثمانية أشهر .. واستمررنا بهذا الشكل حتى نكسة ١٩٦٧..

وعن كيفية تخطي مشكلة اللغة الروسية والتعامل معها يقول اللواء فخر :

«قبل سفرنا إلى البعثة أخذنا «كورسًا» مكثفًا في اللغة الروسية ، ولكنه لم يفدنا بالدرجة الكافية ، وعندما سافرنا .. كانت الدراسة باللغة الروسية والترجمة باللغة الإنجليزية عن طريق مترجم .. وترجمة المصطلحات العسكرية تريد شخصًا يفهمها جيدًا ، فمثلًا : كلمة ترباس وناشينكاه الموجودتين في البندقية، وطبعًا المترجم غير متخصص في العسكرية ولا يعرف المصطلحات وكنا نعاني في ذلك وطلبنا منهم تعلم اللغة الروسية وتعلمناها بعد انتهاء المحاضرات عن طريق مدرسات وتم عقد امتحان لنا كان أبو غزالة وضياء الدين زهدي[٢٠] هما المتفوقين الوحيدين والمتميزين علينا في اللغة الروسية».

(٢٠) سعيت لمقابلته أكثر من مرة ، ولكن تعذر اللقاء .

أبو غزالة يهوى الموسيقى والفن الأصيل ..

يواصل اللواء أحمد فخر حديثه قائلاً : «أبو غزالة كان يهوي الموسيقى ، ونحن في موسكو ، وفي نهاية كل أسبوع ، كان يذهب إلى قاعة تشايكوفسكي ، وهي قاعة شهيرة للموسيقى الكلاسيكية والباليه ، ويحجز تذكرة باسمه ، ويستمتع بما تقدمه من فن راقٍ ، وكثيراً ما كنت أصطحبه في هذه النزهة الرائعة ..

وكنت ألمحه وهو يشتري أسطوانات موسيقى ، وبحكم غريزة الإعجاب بما يسمعه أبو غزالة قمنا مثله بشراء أسطوانات الموسيقى الكلاسيكية .. وتشكلت ثقافتنا الكلاسيكية في الباليه الذي لم نعرفه من قبل والفنون الشعبية ــ فلم نكن نعرف غير فرقة رضا في مصر ــ وتولدت لدينا حالة من الرقى في الحس الكلاسيكي والفن العالمي ، وظلت هذه الهواية مع أبو غزالة حتى وهو وزير دفاع وما بعد ذلك .. فعندما كنت أزوره في منزله كنت أراه يستمع للموسيقى الكلاسيك وأجده يستمتع بها ويقول :

«بتهدي أعصابي من ضغوط العمل والحياة» .

يبتسم اللواء فخر وهو يسترجع الذكريات وينهي حديثه عن هذه الفترة قائلًا .. «هاحكيلك عن الجبنة البيضاء .. والرائد أبو غزالة» .

أبو غزالة كان يعشق الجبنة البيضاء البراميلي .. وعندما كنا في روسيا ، الروس لا يصنعونها .. ولم يجدها ولف موسكو على رجليه ، ووجد بعد لفه ومعاناته ، جبنة طعمها يقارب الجبنة البراميلي ، اسمها «برنزا» ولكن ثمنها كان غاليًا جدًا ، وبالرغم من ذلك فإنه داوم على شرائها ، ومع بداية كل أسبوع يذهب ليحضر حصته من الجبنة .. يفطر ويتعشى بها ولا يأكل غيرها ، أبو غزالة كان زاهدًا في الأكل وليس نهمًا .. الأكل عنده لسد الرمق فقط ..

وبعد عودتنا من الدراسة في روسيا ، كان علينا تطبيق قاعدة في القوات المسلحة تقول : إن كل مبعوث سافر إلى أي دولة للدراسة سواء كانت أمريكا أو روسيا أو باكستان وغيرها ، يكتب تقريرًا تفصيليًّا عن كل ما درسه ، عارضًا لنقاط القوة والضعف فيها ، ويمكث ستة أشهر في هيئة التدريب وأكاديمية ناصر وكلية القادة والأركان يلقن الضباط ما درسه والنقاط التي استفاد منها .. وهذا حدث معنا وقدمنا الدراسات وتم عمل دراسة عليها ، وأنا كضابط للدفاع الجوي أوضحت لهم أنهم يدرسون لنا دور الدفاع الجوي في حماية النقط الحيوية ، مثل العاصمة والقيادة العامة والكباري والسد العالي وغيرها .

فأصررت بموافقة منه بعد ذلك وبعد مرور سنين عديدة على إرسال بعثة أخرى من صغار الضباط ليتعلموا الموضوعات التي لم نتعلمها من قبل وذلك لخلق جيل آخر .

فميزة القوات المسلحة أن القائد عندما يعين فإنه يعرف أن نائبه سيحل محله وهكذا .. وهذه إحدى مميزات القوات المسلحة وجود أجيال وصف ثانٍ وثالث .. ويبقى تساؤل ..

بعد العودة إلى مصر .. ماذا فعل أبو غزالة بمدخرات البعثة ؟

يواصل اللواء فخر حديثه ويقول : عندما عدنا من البعثة وبعقليتنا الاستهلاكية فكر كل واحد منا في شراء سيارة مستعملة من إنجلترا أو ألمانيا بمدخرات البعثة..

أما هو فبنى بيتًا متواضعًا جدًا في حلمية الزيتون لأسرته ؛ لدرجة أنه عندما عُيِّن رئيسًا لأركان حرب ذهب سائقه المعين لمرافقته إلى العنوان ومعه ضابط الشرطة العسكرية .. اتصل بالوزارة قائلًا : إنه لا يجد بيت رئيس أركان حرب .. فكل البيوت عادية ، وهو أكثر من العادية بكثير ..

وهذا يبين لنا أنه لم يسع إلى الاستفادة من المناصب والمال ، بل سعى فقط لتأمين مستقبل أسرته . وتوفير حياة كريمة لهم.

وبعد عودته للوطن إثر سنوات الدراسة العسكرية المتخصصة عام ١٩٦١ .. عاد مرة أخرى لبيته الذي يحبه ، ووظيفته التي يعشقها ، ويتولى قيادة جناح فن المدفعية ، حيث يستكمل ضباطها دراسة فن المدفعية ، ويستكمل ضباطها أيضًا كل العلوم الأخرى التي تتصل بالمدفعية ، وقد أخذ يعمل في دراسة وترجمة المراجع المتميزة ـ الإنجليزية والأمريكية والروسية ـ الخاصة بالمدافع ليعُد أول مرجع عربي علمي كنواة لخطة عمل فكرية في الترجمات العسكرية ..

ونذهب إلى مرحلة أخرى وإنجازات أخرى حققها المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ..



الفصل الثالث

هزيمة يونيو هي التي صنعت مجد أكتوبر

من أرشيف أبو غزالة الصحفي

بعد خلاف العقيد محمد

عبد الحليم أبو غزالة مع الفريق محمد فوزي عام ١٩٦٨، وصدور قرار بإحالته للمعاش.. بسبب نقده لما حدث في ٦٧، قال العقيد أبو غزالة: إنني حزين لأنني سأحرم من تنفيذ ما أريد تطبيقه بين ضباطي وجنودي، ومن فرصة القتال ضد إسرائيل فوق سيناء، وليس من الضفة الغربية فقط.

عندما علم الرئيس جمال عبد الناصر بذلك.. وجه حديثه للفريق محمد فوزي قائلاً: أنا أعرف ماذا يقول عني وعن

عبد الحكيم عامر، وعنك أيضًا ولكنه يبقى من الرجال القلائل الصادقين.. لا تفرط في مثل هؤلاء الضباط يا فوزي ولا تدع الغضب منهم يخفي عنك صورتهم الحقيقية.

ننتقل لفترة أخرى ومكان آخر ، حيث يعود الرائد محمد

عبد الحليم أبو غزالة مرة أخرى إلى مدرسة المدفعية ويترقى إلى رتبة مقدم ويظل يخدم بها حتى ١٩٦٨ .. وفي شهادة اللواء دكتور متقاعد / عبد الرحمن رشدي الهواري ، الذي زامله في هذه الفترة يقول :

أول لقائي بالمقدم أبو غزالة كان في مدرسة المدفعية ، كنت برتبة النقيب عندما تم تعييني مدرسًا حديثًا بها ..

بعد مقابلتي للواء صلاح الرفاعي قائد المدرسة أبلغني أنني سأعمل بجناح المدفعية ، مع شخصية محببة لنا جميعًا وكانت هذه الشخصية «المقدم أبو غزالة» ، وقد كان قرارًا استثنائيًا عملي في هذا الجناح إلى أن أحصل على قادة كتائب ...

أتذكر أول محاضرة أقوم بتدريسها كانت عن إدارة النيران ودخل المقدم أبو غزالة حجرة الدراسة حتى يتابع شرحي ويطمئن على كيفية تناولي للمادة وإدارتي للطلاب .. طوال المحاضرة لم يتحدث بأي كلمة ، واختار آخر ديسك موجود في الفصل واستمع للمحاضرة كاملة جيدًا وبعد انتهاء الشرح وعند خروجه من القاعة أعطاني ورقة صغيرة بها عدة ملاحظات ، دون تعليق ومن غير أن

يلفت نظر أي أحد من الطلبة .. وكان بها بعض التوجيهات لي كمعلم .. كانت ملاحظاته في غاية التهذيب والوضوح .. مثال منها :

«لا تجعل عينك تنصب على دارس واحد .. قم بتوزيع حديثك على كل الطلبة ، ولا تجعل المحاضرة من جانب واحد ، أشرك الطلبة معك» .. وغيرها من النصائح وكانت خلاصة خبرة طويلة في مجال التدريس وتعلمت منه كثيراً في الفترة التي عشتها في جناح المدفعية ، فتاريخه في العلم غزير .. علمني كيف أكون مدرسًا ناجحًا وفي الوقت ذاته أنظم وقتي ومحاضراتي ..

جانب آخر من شخصيته أنه كان رجلًا رياضيًا ، يعشق كرة القدم والبلياردو وكل الألعاب الرياضية .. من النصائح التي تعلمتها في تعاملي معه .. عدم محادثته أثناء انشغاله بلعب الكرة حتى لا يتكرر معي ما حدث في هذا اليوم ..

موقف طريف وورطة وقعت فيها أنا النقيب عبد الرحمن الهواري بسبب انشغال المقدم أبو غزالة بلعب الكرة ، فقد أبلغته مرة وهو يمارس كرة القدم أن موعد محاضرته لفرقة من قادة الألوية سيكون بعد ربع ساعة .. فنظر إليّ سريعًا ثم كلفني أنا بإلقاء المحاضرة رغم أنني لم أكن أعددت أي شيء ، ولكن الحمد لله مرت على خير لأنني كنت متخصصًا في هذه المادة وأحبها بصورة كبيرة .

أبو غزالة كان بسيطًا واجتماعيًا ويشعر أي فرد بالاهتمام والاحتواء .. كان يشجعنا على التفوق والتميز .. ذات مرة تقدمت للحصول على فرقة قائد كتائب وأخبرني أنه لا بد أن أحصل على المركز الأول ، وفعلًا حصلت عليه ولكن الأول مكرر فالمركز الأول حصل عليه قائد قطاع الصواريخ وكان أول دفعته ومتميزًا بصورة كبيرة .

المشير أبو غزالة كان اجتماعيًا لأقصى درجة ويسعى ليحل المشاكل ويذلل أي عقبات ، كان أيضًا متواضعًا وبسيطًا بصورة مبالغ فيها .. حقيقي هذه الفترة من أجمل فترات حياتي التي شعرت فيها بالارتياح النفسي وكانت أساس تأهيلي كيف أكون مدرسًا ناجحًا وأنظم وقتي وأعمالي . والفضل يعود له – بعد الله تعالى - .

في هذه الفترة توفى ابنه .. وكانت من المواقف المؤلمة في حياته ولأول مرة أراه يبكي بحزن .. كان مؤمنًا بالقضاء والقدر وأن الله سيعوضه خيراً عنه ورغم أنها فترة حزينة في حياته فإنه استطاع التغلب على هذه الفترة وبعد فترة بسيطة عوضه الله بطفل آخر خلفًا للذي فقده» [٢١] .

أبو غزالة طوال مدة تدريسه في مدرسة المدفعية كان نعم المدرس الإنسان ، ورغم مرور السنين وتعدد المدرسين فإن من أسعده الحظ بتدريس أبو غزالة له فإنه لا يمكن أن ينساه بل يتذكره بكل حب ولا يمكنه أن ينكر فضل أبو غزالة فيما آل إليه .. خاصة أن معظم من درس لهم أبو غزالة تبوؤوا مناصب قيادية وقاموا بأدوار رائعة في تشكيل تاريخ مصر فيما بعد ..

نترك الدراسة ونتجه إلى ذكرى أليمة وتاريخ مؤلم سعينا كثيراً لإنهاء عاره ونجحنا في ذلك في حربي الاستنزاف وانتصار أكتوبر ٧٣ الذي محا هذه الذكرى الأليمة ..

نكسة ٦٧ والتي فرضت علينا دون أن نحارب .. وعن أسباب عدم مشاركة العقيد أبو غزالة فيها وعن رأيه وتحليله لما حدث تجيب السطور القادمة ..

(٢١) سنتناول هذا الحديث مرة أخرى وبشيء من التوضيح في فصل قادم .

نكسة ٦٧

حين وقعت حرب يونيو ١٩٦٧ قدر للعقيد محمد عبد الحليم أبو غزالة أن يكون بعيدًا عن سيناء ، حيث كان يعمل رئيسًا لفرع التعليم بمعهد المدفعية : وبالتالي فإنه لم يشارك فيها ولكن كان له رأي فيها :

نكسة يونيو ٦٧ تكلم عنها الكثير من القادة والكتاب والمؤرخين .. وتناولتها الأقلام المختلفة بموضوعية وأخرى بذاتية وتأرجحت الآراء بين تجريح وافتراء وصدق وعبرة ودروس مستفادة وغيرها من الاتجاهات المتنوعة .. ونحن هنا لن نلقى عليها الضوء من وجهة نظر الآخرين فهذا ليس مجالًا للحديث عنها .. سنتحدث عنها فقط من خلال رؤية بطل كتابنا العقيد أبو غزالة ــ في ذلك الوقت ــ وكيف تحدث عنها ولماذا لم يشارك فيها ولماذا وُضع اسمه على قائمة معاشات ٦٧ بسبب آرائه..

يقول المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، في حديث له مع الإعلامي صبري أبو المجد [٢٢] ، وبعد توليه قيادة القوات المسلحة : «لم أشترك في حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ .. إذ كنت في ذلك اليوم رئيس فرع التعليم – بالنيابة - في معهد المدفعية ولكننا في المعهد بدأنا نسمع عن الانسحاب ، كما بدأنا فيما بعد نلتقي بزملائنا الذين اشتركوا في تلك الحرب وقد حصلت على العديد من المذكرات والتقارير كتبها كثير من القادة الشبان إثر عودتهم من ميادين القتال تحدثوا فيها عما وقع بالضبط ، وما زلت أحتفظ بتلك المذكرات والتقارير حتى اليوم ، وقرأت الكثير عن تلك الأيام الرهيبة ، وعلى ضوء ما سمعت وقرأت أقول: إن رأيي ــ كرأي الجميع ــ إذ أن قوتنا المسلحة كانت ضحية تلك الحرب ، ضحية قرار سياسي عسكري إستراتيجي غير سليم .. ضحية عدم تدريب كافٍ ، بالإضافة إلى أنها كانت قد حاربت في اليمن في ظروف قتالية مختلفة ومغايرة عن الحرب في الصحراء التي حاربنا فيها ..

(٢٢) مجلة أكتوبر .. مايو ١٩٨٣ .

وأقول بصدق وأمانة : إنه إذا كانت قواتنا المسلحة وقتئذٍ دون مستوى القوات الإسرائيلية في التدريب إلا أنها لم تكن تقل عنها في الأداء .. ولقد كان باستطاعة قواتنا المسلحة أن تؤدي في تلك الحرب دورًا مهمًا لو لم يطلب منها أن تنسحب .. وفي يوم واحد .. في العلوم العسكرية تعلمنا أن الانسحاب أصعب من حشد القوات ، فهناك ما يسمى «بالسمات التكتيكية» و «السعات التعبوية» في الطرق والمحاور ، وليس معقولًا أبدًا أن تحشد القوات في شهور ، ويطلب منها الانسحاب في ٢٤ ساعة ، إذ لا بد في هذه الحالة من حدوث ارتباك شديد .. الانسحاب أصعب من القتال ، فالانسحاب يحتاج إلى إعداد وتخطيط وإلى مؤخرة تحمي الانسحاب .. والانسحاب الذي لا يجري التخطيط له يؤدي بالضرورة إلى كارثة ، إذ يستغله العدو للقيام بمفاجآت كثيرة ، كإعداد كمائن أو قطع خط الانسحاب .. وتتأكد خطورة الانسحاب إذا ما كان تحت ضغط العدو ، وإذا ما تم دون غطاء جوي سواء أكان من الدفاع الجوي أو القوات الجوية ، لقد كانت قواتنا المسلحة في حرب ٥ يونيو ٦٧ ضحية بكل ما في كلمة ضحية من معنى» ..

في حديث آخر له مع الأستاذ مكرمٍ محمد أحمد [٢٣] يقول : «أؤكد بكل صدق أن هزيمة يونيو ٦٧ كانت حدًا فاصلًا في تاريخ القوات المسلحة المصرية ، بل ولعلني لا أبالغ إذا قلت إن هزيمة يونيو هي التي صنعت مجد أكتوبر .. لقد أيقظت الهزيمة مصر كما أيقظت قواتها المسلحة ، كنا نبالغ في تضخيم قدراتنا العسكرية على حين كنا نفتقد بالفعل الأداء العلمي الصحيح والانضباط والمثابرة على التدريب ..

(٢٣) أكتوبر ١٩٨٤ مجلة المصور المصرية .

كان يشغلنا المظهر عن الجوهر ، وكنا نعيش حالة من خداع النفس ، وعندما كنا ننجز مشروعًا يفتقد حسابات الأداء الصحيحة .. كنا نتصور أننا قد أنجزنا واجبنا ، الآن تصل مشروعات التدريب إلى ٨٠ ضعفًا ، وكلها تستند إلى قياس دقيق لحسابات الأداء وفق المقاييس والمعايير العالمية .

يقول حمدي لطفي [٢٤] ، في حديث له مع العقيد أبو غزالة في ١٩٦٨ وهزيمة يونيو لا تزال تنزف دمًا في أرواح الجميع :

«كنا في منطقة الدفرسوار بجبهة القناة غرب ، نتحدث عن المطالب المستعصية كي نواجه قوات إسرائيل السكرانة بخمر النصر في يونيو ١٩٦٧ على طول الضفة الشرقية للقناة أمامنا ليل نهار ..

.. قال لي العقيد أبو غزالة ، وأنا أنقل عن أوراقي القديمة التي أحتفظ بها حتى اليوم : «إن أقصى المشاكل وأخطرها يمكن حلها إذا واجهتها واعيًا صادقًا دون لجوء إلى الحلول الوسط ، أو الانتظار حتى تأتي الحلول العفوية ، أو يشطح بك الخيال إلى الأحلام الزائفة» ..

وما زلنا مع آراء أبو غزالة حول النكسة وفي كتاب أعده عن نصر أكتوبر .. لم ينس أن يدون فيها كل آرائه وتحليلاته للموقف وما حدث وبشيء من الواقعية والموضوعية .. في كتابه «وانطلقت المدافع» وفي فصل خصصه لما حدث في ٦٧ وتحت عنوان «النكسة سامحها الله» ، كتب يقول : أحدثت نكسة ٦٧ – سامحها الله – آثارًا نفسية رهيبة في نفوسنا رجال القوات المسلحة ؛ فلقد هُزمت هذه القوات ؛ لأنها وضعت في موقف كان لا بد فيه أن تفقد نفسها ، ولقد تضافرت قوى كثيرة على تدمير نفسية قواتنا المسلحة حتى كدت أصدق أننا فقدنا أنفسنا ولن نجدها لزمن طويل .

(٢٤) حمدي لطفي يناير ١٩٨٧ / الأنباء .

وأخذ العدو بزمام المبادرة ، وبدأ يشن علينا حربًا نفسية ضاربة ، جنَّد لها كل إمكانياته العلمية والمادية ، وأخذت كتب الأساطير والخرافات تملأ الأسواق ، وتصم الآذان ببطولات كاذبة لجيش الدفاع الإسرائيلي الذي لا يقهر .

وبدأ رجل الشارع الإسرائيلي يؤمن بأن الغلبة دائمًا في أي حرب بين إسرائيل وبين العرب لابد وأن تكون لصالح إسرائيل ، وساعد على شدة تأثير هذه الحرب النفسية ما أحس به الشعب المصري من آلام مبرحة في قلبه ؛ إذ كان قد آمن بأن قواته المسلحة قادرة على إلقاء إسرائيل في البحر ، وذلك نتيجة خطأ أجهزة الإعلام المصرية التي أخذت تنفخ في أبواقها منادية بشعارات طنانة «أقوى طيران في الشرق الأوسط» «وأقوى جيش في الشرق الأوسط» .. إلخ ..

ويبقى لنا الدروس المستفادة من هذه الحرب ..

الدروس المستفادة من نكسة ٦٧ كما يستخلصها المشير أبو غزالة ..

في موضوع آخر من كتابه يستخلص العميد أبو غزالة .. الدروس المستفادة من النكسة ، والتي حددها في قوله : «من أهم عوامل فشلنا في نكسة ٦٧ هو جهلنا بعدونا واستهانتنا به ، أديا إلى أن نخسر الحرب وبسهولة . التقصير الشديد في وضع الخطط المناسبة لمقابلة أي موقف سياسي عسكري في المنطقة ، وعدم وجود أي تعاون أو تنسيق بين الجبهات العربية المختلفة ؛ الأمر الذي أعطى لإسرائيل حرية الحركة والقضاء على القوات العسكرية لكل دولة على حدة .. أيضًا ترك المجال السياسي العالمي للنشاط الإسرائيلي ، فنجحت إسرائيل في استقطاب غالبية الرأي العالمي إلى جانبها ، كذلك الجهل بإمكانيات الأمة العربية اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا ، وبذلك حرمنا من أسلحة مؤثرة في المجالين السياسي والعسكري» .

وأكد أبو غزالة أيضًا أن الخطر الإسرائيلي ليس موجهًا لدولة عربية بالذات ، وإنما هو خطر يهدد كيان الأمة العربية كلها .. ولا نستطيع أن نتجاوز هنا ما ذكره المشير

أبو غزالة عن فكر العدو وفلسفته وخططه الإستراتيجية بعد انتصاره في يونيو ٦٧ م .

في إحدى فقرات الكتاب نفسه يقول : «كانت وما زالت السمة البارزة الأولى للمخطط الإسرائيلي هي المرحلية ؛ أي تحقيق الهدف على مراحل متتالية مترابطة ، وكل مرحلة من المراحل لها هدفها الأقصى وهدفها الأدنى .. وعلى ذلك تمسكت إسرائيل بالأراضي العربية التي استولت عليها خلال حرب يونيو ١٩٦٧ ، وحاولت أن تحقق أحد هدفيها لهذه المرحلة :

الحد الأقصى : ويتخلص في ضم كل أو معظم هذه الأراضي على أساس أنها ضمن حدودها العظمى .

الحد الأدنى : أدت تطورات الموقف العربي الدولي إلى دفع المعتدلين في إسرائيل للبحث عن حلول وسط ، وصياغة مقترحات تحقق لإسرائيل الحد الأدنى الذي

لا تقبل ما دونه ، وكان العامل الرئيسي الذي تحكم في مفهوم إسرائيل عن الحد الأدنى هو الحدود الآمنة ، أو نظرية الأمن الإسرائيلية .

وظهرت صياغات جديدة ومصطلحات لولبية براقة ؛ فلقد نادى موشي ديان بضرورة النظر إلى مستقبل المناطق المحتلة ، ليس فقط من وجهة نظر الحق التاريخي ، بل من خلال الاهتمام بالمستقبل التاريخي ، واستبدالها بعبارة الارتباط التاريخي ، والفرق بين الكلمتين أو التعبيرين هو في الواقع نفس الفرق بين الحد الأدنى والحد الأقصى ؛

وفسر المعلقون الارتباط التاريخي بأنه ليس من الضروري أن تحتفظ إسرائيل بكل الأراضي المحتلة بحكم الحق التاريخي ، وإنما توجد أماكن أو مناطق يجب الاحتفاظ بها من أجل مستقبلها .

ويلخص أبو غزالة الأسس الاستراتيجية في المخطط الإسرائيلي لتحقيق أهدافه تلك من خلال:

محاولة إرغام العرب على قبول الوجود الإسرائيلي والاعتراف به مستغلة في ذلك نتائج حرب يونيو ٦٧ والنجاح العسكري والسياسي الذي تحقق لها .. مع تأمين الوجود الإسرائيلي داخل حدود يتوفر فيها الأمن بمفهومه السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي .. والعمل تدريجيا على تحقيق الحلم ، وذلك بالتوسع واستمرار النمو ، بالإضافة إلى محاولة كسب السكان العرب الموجودين داخل إسرائيل وكسر حدة العداء لها ، وذلك بخلق وجود عربي مشترك ، رغم ما في ذلك من تناقض مع الأيديولوجية العنصرية الصهيونية التي تتمسك باستمرار النقاء العسكري الإسرائيلي ، وإزالة مظاهر الصلات الشرعية القائمة بين المناطق المحتلة والدول العربية التابعة لها .

وذكر المشير أبو غزالة عدة خطوات عسكرية قامت بها إسرائيل لتنفيذ هذه الاستراتيجية على أرض الواقع ، لخصها في عناصر ثلاثة هي :

الحرب الوقائية الخاطفة التي تعتمد على رفض انتظار وقوع الضربة الأولى من جانب الدول العربية .. التفوق الجوي والسيادة الجوية حتى تكون أجواء الدول العربية مفتوحة أمام القوات الجوية الإسرائيلية .. الحرب الخاطفة وذلك بتدمير أي هجوم عربي في مراحله الأولى .

وكما ذكر المشير أبو غزالة الإستراتيجية الإسرائيلية ، ذكر في مقابلها الإستراتيجية العربية الجديدة للمواجهة ، والتي تبلورت بعد ثورة التصحيح ، وظهرت معالمها جلية في خطابات الرئيس السادات وكل أعماله ، وقد لخصها قائلًا : هناك أرض عربية يحتلها العدو ولا بد من تحريرها ، وهو يرفض أن يتخلى عنها .. إن العرب يرفضون الاستسلام ويصرون على استرداد الحق المغتصب ويؤمنون بقدراتهم وإمكانياتهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية استقطاب التناقض الموجود في العالم العربي ، والعمل على خلق جبهة عربية موحدة تحاصر العدو الإسرائيلي وترهقه ، بالإضافة إلى وجود كثير من نقط الضعف الأساسية في موقف إسرائيل يمكن استغلالها ، ويمكن للعرب أن يجعلوا بقاء إسرائيل في الأراضي المحتلة عبئًا ثقيلًا غالي التكاليف ، وتقصر عنه إمكانيات إسرائيل الاقتصادية ، يمكن أيضًا استقطاب المجال السياسي العالمي لصالح العرب ، وعدم ترك أي ميدان سياسي لإسرائيل تعمل فيه بحرية .. كذلك يجب البناء العسكري إلى جانب البناء الاقتصادية ؛ فيدٌ تبني ويدٌ تحمل السلاح .. وأخيراً وضع خطة من أربع مراحل : البناء والصمود والردع ثم التحرير (٢٥) .

(٢٥) سنتحدث لاحقًا عن دوره في هذه المراحل من تاريخ القوات المسلحة .

قبل أن نترك هذه الفترة يجب أن نشير إلى حدث مهم وكان للعقيد أبو غزالة رأي فيه .. وهو حرب اليمن .. وكان يقول من واجبنا أن نساعد اليمن ومن حق أي دولة عربية أن تساعد الشعب اليمني إذا كانت هذه رغبته ولكن ليس بالقوات المسلحة» .

إنه كان يقيم الأمور من تكوينه العسكري وحكم على اليمن ليس من ناحيتها السياسية التي كان يراها قادة يوليو ، لكنه نظر إليها من جانبها العسكري الذي كان يراه خطأ بكل المعايير ..

إن آراء أبو غزالة عن النكسة كادت تحيله إلى التقاعد من القوات المسلحة بعد ٦٧ .

نعود مرة أخرى لنكسة ٦٧ ورغم أنه لم يشارك فيها فإنه عبر عن رأيه فيما حدث .. ونتيجة لغضبه من سلبيات ذلك الوقت وتعبيره عن ذلك للصحفيين فإنه كان سيتم إحالته للتقاعد في هذه الفترة ، ومن أرشيفه الصحفي نجد هذه الواقعة والتي ذكرت في أكثر من موقع ومكان سواء في الصحف أو على شبكة الإنترنت يقول شيخ المحررين العسكريين حمدي لطفي [٢٦][٢٧] :

«لقد رأيت أبو غزالة وهو يجاوز الغضب والألم والحزن البشري بأعصاب فولاذية كان ذلك في ديسمبر ١٩٦٨ غرب القناة .. وقد ردد صحفيون أجانب ومصريون اسمه كثيراً ، كما ردده كثير من أعضاء مجلس الشعب والوزراء الذين استطاعوا زيارة جبهة غرب القناة التقي الجميع بالعقيد أبو غزالة ، استمعوا له ولحديثه الواعي وتحليله لأسباب النكسة ومسؤولية القيادتين السياسية والعسكرية معًا عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ ويعود الزوار وهم في دهشة من جرأة هذا الضابط وحدسه الخطير .. حدث هذا طوال عام ١٩٦٨» ..

(٢٦) يناير ١٩٨٧/ الأنباء .

(٢٧) الصحفي الراحل حمدي لطفي والذي كان يوصف بأنه عميد الصحفيين المصريين المتخصصين في الشؤون العسكرية من كتابة .. «عن ثورة ١٩٥٢» من موقع الكنانة ٢٧ يونيو ٢٠٠٠ .



العميد أبو غزالة والمقدم حمدى خليفة ومعظم ضباط الجيش الثانى ومتابعة لإحدى العروض الفنية قبل حرب أكتوبر ٧٣



اللواء عبد المنعم خليل قائد الفرقة الثالثة مشاة وقائد مدفعيتها العميد أبو غزالة بعد نكسة ٦٧ وبينهما أحد ضباط الجيش.



الفصل الرابع

الفترة من أواخر ١٩٦٧ وحتى ١٩٧٢

كنا في المدفعية نقوم في العام الواحد بنحو ٦٠ مشروع رماية بالذخيرة الحية، بينما المتوسطات العالمية لا تتجاوز مشروعًا واحدًا في العام، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة للمدفعية فحسب، بل كان في كل الأسلحة في المشاة والطيران وغيرهما والرئيس مبارك ، قد ذكر مرات عديدة أن طلعات الطيران كانت قبل ٦٧ محدودة للغاية، ثم تضاعفت كثيراً بعد ٥ يونيو ٦٧ وقبل ٦ أكتوبر ٧٣.. لقد كان الإعداد شاقًا ورهيبًا في تلك الفترة المهمة من تاريخ مصر وقواتها المسلحة..

من حديث للمشير أبو غزالة للإعلام

في نهاية ١٩٦٧ تولى العقيد أبو غزالة قيادة لواء مدفعية .. وشارك في وضع لبنات خطة الإعداد الفعلي لحرب أكتوبر .. بعد ذلك بشهور قليلة انتقل إلى الفرقة الثالثة المشاة وتولى قيادة مدفعيتها منذ أواخر عام ٦٧ وحتى ٦٩ .. تلك بداية العمل الحقيقي لرد الكرامة وحرب الاستنزاف .

وعن هذه الفترة ومن أرشيفه الصحفي يقول العقيد أبو غزالة [٢٨] :

«إن الإعداد الذي قامت به القوات المسلحة في الفترة من خمسة يونيو وحتى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ كان ــ وبحق ــ إعدادًا لا مثيل له ، ولا يمكن لبشر أن يتخيله إلا أولئك الذين اشتركوا فيه .. إعدادا مثاليا تاريخيا قامت به قواتنا المسلحة بصدق وإيمان وإخلاص وتفان وإصرار على أنها ستحارب وتنتصر .. وأذكر أنني عندما كنت قائدًا لمدفعية الفرقة الثالثة مشاة ميكانيكي ، كان التدريب يتم على عديد من المشروعات الضخمة وبكميات هائلة من الذخيرة ، وكانت المشروعات تستمر لبضعة أيام وفي أراض مجهولة لنا تمامًا .. وأذكر أن نحو أربعة وعشرين من أعضاء مجلس الأمة والقيادات السياسية في إحدى المحافظات أتوا إلى الجبهة لزيارتها .. كان قائد الفرقة في ذلك الوقت اللواء عبد المنعم

خليل [٢٩] الذي طلب مني مقابلة الضيوف ومرافقتهم .. واستقبلتهم عند تقاطع أبو سلطان وعرضت عليهم زيارة إحدى الوحدات ، حيث يجري رفع درجات الاستعداد أمامهم ، ويجري التحرك بالذخيرة الحية ؛ وذلك حتى يأخذوا فكرة ــ وعلى الطبيعة ــ عما وصلت إليه القوات المسلحة من تدريب مثالي ، ورحبوا بالفكرة وتحركنا .. كانت هناك كتيبة هاون ١٦٠ مللي ذات الوزن الثقيل ..

(٢٨) أحد أحاديثه الصحفية لمجلة أكتوبر / مايو ١٩٨٣ .. صبري أبو المجد .

(٢٩) تم تسجيل شهادته في هذا الكتاب .

كانت في الراحة طلبت من قائدها واسمه أحمد خلف القيام بالمهمة في زمن قياسي ، وتحركت الكتيبة إلى ميدان الرماية ، ونجحت في إصابة الأهداف ، وبقوة بعد دقيقة و ٥٧ ثانية ، كانت الكتيبة مؤلفة من ثماني عشرة قطعة . قوة النيران جعلت الضيوف يفرون هربًا من شدتها وكثافتها ..

وبعد أن انتهى المشروع ، وتناولنا الطعام مع الجنود في الجبهة كان هناك اهتمام بالتدريب لا مثيل له .. ويواصل ذكرياته في فقرة أخرى قائلًا : «طلبت مرة من قائد الجيش ــ وكان وقتئذٍ ــ اللواء أحمد إسماعيل على (٣٠) .. أن يحدد الأهداف التي يريدها في أحد المشروعات ، وتمت العملية ، وكانت الرماية ممتازة للغاية لدرجة أنه ذهل مما رأى» .

وينتقل بنا الحديث في غاية الأهمية ، هو بداية لرد الكرامة واستعادة هيبة مصر وقواتها المسلحة وظهور الأبطال المصريين الحقيقيين في حرب الاستنزاف ..

حرب الاستنزاف :

يقول المشير عبد الحليم أبو غزالة (٣١) : «لقد خدمت هذه الحرب القوات المسلحة إلى أبعد الحدود ، كانت أنسب وأفضل وسيلة لإعداد الجندي للقتال في ظروف الإعداد للقتال ، حيث يجب التطعيم ضد المعركة بمعنى تعريض المقاتل لأصوات القنابل وتفجير المتفجرات وإحاطة المقاتل بجو شبيه بالمعركة حتى يتعود عليه ، غير أننا عن طريق حرب الاستنزاف لم نكن بحاجة إلى هذا التطعيم ، فالجنود والضباط يعيشون حربًا حقيقية يتعرضون لغارات شديدة من الطيران الإسرائيلي ،

(٣٠) المشير أحمد إسماعيل وزير الدفاع خلال حرب أكتوبر ، سبق أن أعددت كتابًا عنه منذ عدة سنوات وطبع أكثر من مرة .
(٣١) أحد أحاديثه الصحفية مجلة أكتوبر / مايو ١٩٨٣ .. صبري أبو المجد .

يواجهون الموت كل ساعة ، بل كل دقيقة وكانت تقع خسائر كثيرة من جانبنا .. وكنا نتعاون جميعًا في تلك الحرب ، القوات الجوية والدفاع الجوي والمدفعية .. أي أننا كنا في خلال فترة الاستنزاف في حرب حقيقية ، وفي آخر مراحلها قبل وقف إطلاق النار في عام ١٩٧٠ تمت بعض العمليات» .

العقيد أبو غزالة شارك بشجاعة وفداء في هذه الحرب .. وعن دوره في مراحل البناء والصمود والردع والتحرير يقول اللواء عباس منصور [٣٢] :

الضباط المصريون كان لهم دور كبير في مرحلة بناء وإعداد القوات المسلحة ، وبما أننا نتكلم عن البطل محمد عبد الحليم أبو غزالة فإنني سأركز على دوره في هذه الفترة وعلى دور المدفعية التي كان أحد أبنائها الأبرار ..

وسأبدؤها بمرحلة البناء :

مرحلة البناء كانت مهمة شاقة ، حيث عادة معظم وحدات المدفعية من سيناء دون سلاحها والروح المعنوية للضباط والصف والجنود منخفضة ، ولكن السلاح كان في الطريق لإعادة البناء .. الأمر كان يحتاج لجهد جبار يقوم به رجال أقوياء أكفاء آمنوا بالله وبالوطن ، في ٥ يونيو ٦٧ كان العقيد أ . ح / محمد عبد الحليم أبو غزالة قائد جناح المدفعية بمدرسة المدفعية ، إذ تم اختياره في ٢٩ يونيو ١٩٦٧ لقيادة بعض ألوية المدفعية حتى ٥ نوفمبر ، حيث بدأ مع باقي وحدات المدفعية القيام بأولى خطوات البناء ألا وهي التدريب ..

(٣٢) قائد مدفعية الرئاسة العامة سابقا.

وقام بإعادة تشكيل لوائي مدفعية ، ودمجهما في لواء مدفعية بعد إعادة تسليحه بالعيار ١٣٠ مم ، وبدأ التدريب شاقًا عنيفًا ليلًا ونهارًا ، مع العمل على رفع الروح المعنوية للضباط والصف والجنود .. وبعد رماية اللواء بالذخيرة الحية (رماية فنية مستوى سرية وكتيبة) تم دفعه إلى جهة القناة بقطاع مدفعية الجيش الثالث الميداني ، ثم تم تدريب لواء آخر على النهج نفسه ، وتم دفعه أيضًا إلى جبهة القناة ، حيث كان على المدفعية أن تسبق الأسلحة الأخرى في توقيتات الاستعداد ، حيث إنها تمثل الذراع الطولي التي يمكن استخدامها في مرحلة الصمود التي يجب أن تبدأ بأسرع ما يمكن .

ويواصل اللواء عباس حديثه ونأتي للمرحلة الثانية .. مرحلة الصمود ، والتي يقول عنها ..

في ٦ نوفمبر ١٩٦٧ عُيِّن العقيد أ . ح / محمد عبد الحليم أبو غزالة قائدًا لمدفعية الفرقة الثالثة مشاة حتى ٧ ديسمبر ١٩٦٩ في منطقة جنوب الإسماعيلية (سرابيوم ــ الدفرسوار) ، وعليه اشترك في مرحلة الصمود التي بدأت بعد النكسة مباشرة واستمرت حتى أغسطس ١٩٦٨ م .

وتلخصت الإستراتيجية المصرية المتبعة في الالتزام بالهدوء وعدم جر العدو إلى معارك لإتاحة الفرصة للبناء ، مع تجهيز الدفاع على جبهة القناة ، والوصول به إلى الدرجة التي تمكنه من منع العدو من القيام بعمليات هجومية ناجحة ، قد يقوم بها لفرض إرادته على مصر ، ليس معنى الالتزام بالهدوء هو عدم الرد على أعمال العدو الاستفزازية بل من الممكن الرد عليه ولكن بحذر وحكمة مع تكبيده خسائر في المعدات والأرواح ؛ حتى يعلم أنه أمام جبهة ما زالت قادرة على القتال رغم الضربة التي تلقتها .

ولعبت المدفعية المصرية الدور الأساسي في مرحلة الصمود ؛ لأنها كانت السلاح الوحيد الفعال في ذلك الوقت ، إذ كانت الدفعية ترد على أعمال العدو بقصفات نيرانية مؤثرة على قواته ،، ولقد وَلّد إبداع رجال المدفعية وتفننوا في تعاملاتهم مع قوات العدو خلال هذه الفترة ، بل لقد استغلت هذه الفترة للتدريب أثناء التراشقات ، فكنت ترى قائد مدفعية الفرقة الثالثة العقيد أ . ح أبو غزالة موجودا في أحد مراكز ملاحظات المدفعية القائم بالاشتباك ، وقد أمسك بساعة زمنية يقيم بها ضابط الملاحظة ويعلن له في النهاية الدرجة التي يحصل عليها ..

وقد شهدت هذه المرحلة بعض الملاحم البطولية التي أظهرت المعدن الحقيقي للمواطن المصري ، فكانت معركة رأس العش وإغراق المدمرة إيلات وغيرهما [٣٣] .

نأتي للمرحلة الثالثة وهي مرحلة الردع .. الدفاع النشط وحرب الاستنزاف :

وفيها تمكنت القوات المسلحة من إعادة بناء قواتها المسلحة جزئيًا واستعادت قدرتها الدفاعية إلى حد لا بأس به .. وقررت القيادة العليا التحول إلى إستراتيجية الدفاع النشط والتي كان الهدف منها :

عدم السماح لإسرائيل بتحويل خطوطها إلى خطوط بقاء تقوم بتحصينها .. مع إقناع إسرائيل بأن الاحتفاظ بهذه الخطوط عبء مرهق تحت وطأة ضربات المدفعية المصرية ، وضرورة بقاء المشكلة الدولية ساخنة ليحس بها العالم ولا ينساها ، مع رفع معنويات القوات المسلحة المصرية والشعب المصري وبذلك يتم إحباط المخطط الإسرائيلي عن الحرب النفسية ..

(٣٣) تناولت هذه المعارك من قبل في كتبي السابقة عن الفريق عبد المنعم رياض ، والمشير أحمد إسماعيل واللواء حسن الجريدلي ، وكذلك تناولها العديد من القادة والكتاب .

ما زلنا مع اللواء عباس منصور والذي لا ينسى يوم المدفعية وعيدها والدور العظيم الذي قام به المشير أبو غزالة .

٨ سبتمبر ١٩٦٨ «يوم المدفعية»

يقول اللواء عباس : «كان العقيد أ . ح / محمد عبد الحليم أبو غزالة قائد مدفعية الفرقة الثالث المشاة أحد أبطال هذا اليوم تخطيطًا وتنفيذًا ، لقد كانت قصفة النيران يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ تمثل نهاية مرحلة الصمود وبدء مرحلة الردع (الدفاع النشط وحرب الاستنزاف) ، فقد تقرر في هذا اليوم تنفيذ قصفة نيران مركزة قوية ضد جميع الأهداف المعادية على طول مواجهة قناة السويس وبعمق حتى ٢٠ كيلومترا ، بغرض تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة في قوته البشرية وأسلحته ومعداته ، وتدمير الخط الدفاعي الأول الذي بدأ يبنيه على شاطئ القناة ، وفرض السيطرة النيرانية للمدفعية على جبهة القناة ، ورفع معنويات قواتنا وإثبات أن جيش مصر قد هب من كبوته ليقول كلمته في الصراع الدموي الدائر بين العرب وإسرائيل .

وعن خسائر العدو في هذا اليوم نجد أنه تم :

تدمير (٦ بطاريات مدفعية ١٣٠ مم ، ٨ مواقع صواريخ ٢١٦ مم ــ ١٩ دبابة ــ ٥ دشم مدفع ماكينة ــ ٢ منطقة شئون إدارية) وإسكات (١٧ بطارية مدفعية ــ موقع صواريخ ٢١٦ مم) .

نتيجة لهذا العمل الخالد فقد اعتبرت المدفعية المصرية يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ يوم المدفعية تحتفل به سنويًا في ذكرى هذا الانتصار العظيم .

بعد يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ بدأت المدفعية في الحصول على المبادأة النيرانية ، واستمرت معارك المدافع تتصاعد حتى مرحلة الاستنزاف في ٨ سبتمبر ١٩٦٩ ، وخلال تلك الفترة كانت سلطة الاشتباك مفوضة حتى مستوى قادة السرايا بمهمة ، منع تحركات العدو ، وإحداث أكبر خسائر ممكنة في أفراد العدو ومعداته ..

وكان قادة الوحدات الفرعية للمدفعية يفتحون النيران على أي قوات للعدو فور اكتشافها ، ولم يكن في استطاعة أفراد العدو التحرك إلا من خلال الخنادق العميقة داخل الدشم القوية .

ولقد كان لقصفات نيران المدفعية خلال هذه المرحلة الكثير من المميزات مثل : الحصول على المبادأة النيرانية وفرض السيطرة على العمق التكتيكي للعدو ، ورفع الروح المعنوية لقواتنا ، وخفض الروح المعنوية للعدو ، وإحداث أكبر خسائر ممكنة في أفراد ومعدات العدو .

وعلى الرغم من كبر حجم خسائر العدو في الأفراد والمعدات ، فإن هذه الخسائر في العدو لم تكن تتناسب مع كمية الذخائر المستهلكة ؛ نظرًا لاستخدام العدو للتحصينات والملاجئ الصغيرة والدشم .

في ٨ / ١٢ /١٩٦٩ عُيِّن العقيد أ . ح / محمد عبد الحليم أبو غزالة قائدًا للواء صواريخ حتى ٢٢ / ٢ / ١٩٧٠ ، حيث قام بتشكيل اللواء وتدريب الضباط والصف والجنود في دورة على الصواريخ بالتعاون مع الخبراء الروس .

وفي ٢٣ / ٢ / ١٩٧٠ عُيِّن رئيسًا لأركان مدفعية الجيش الثاني الميداني ، وفي ٨/٢٠/ ١٩٧١ عين قائدًا لمدفعية الجيش الثاني الميداني ، ورقي إلى رتبة العميد في ١٩٧١/١٠/١ .

نعود مرة أخرى لمن عاصروا المشير أبو غزالة في هذه الفترة ، ويتكرر لقاؤنا مرة أخرى بالفريق عبد رب النبي حافظ زميله في الكلية الحربية والذي يقول : «التقينا مرة أخرى بعد عدة سنوات من الافتراق في الفرقة الثالثة عام ١٩٦٨ ، كان فيها قائدًا لمدفعيتها ، وأنا قائد اللواء بنفس الفرقة .. كانت هذه الفترة من أهم فترات إعداد القوات المسلحة للحرب وأوج نشاطها ، وبحكم زمالتنا السابقة وصداقتنا وتفاهمنا الكبير كان التعاون بيننا وثيقًا ومثمرًا لأبعد مدى .. أذكر أنني في أحيان كثيرة كنت أطلب منه أن يتولى تدريب كتيبة المدفعية الموجودة ضمن تنظيم اللواء ، فكان يأتي في منتهى السرعة ويأخذها ويرفع درجة استعدادها وتظل معه عدة أيام يدربها في أرض التدريب في جميع مراحل المعركة مثل» عمليات التحرك وانتقالات وضرب تجمعات نيران وضرب غلالات ، وبعد تدريب شاق يعيدها إلى الفرقة على أكمل وجه ، وبفضل وجود أبو غزالة كانت كل عناصر المدفعية رائعة .. أبو غزالة طوال عمره محبًا للمشاركة الميدانية واعتبر من أفضل من يدير النيران .. وكما يقال: «كانت لعبته» .

اللواء عبد المنعم خليل قائد الفرقة الثالثة مشاة عام ٦٨ .. يحكي ذكريات هذه الفترة ويقول : «توليت قيادة الفرقة الثالثة مشاة بمنطقة الدفرسوار في أواخر عام ٦٧ .. وتم تجميع الوحدات القادمة من سيناء بعد انسحابها وتجميعها وإعادة بناء الفرقة وعمل تشكيلات من أجل المقاومة ، فترة كان الجيش فيها مبعثرًا .. وكان أبو غزالة قائدًا لمدفعية الفرقة الثالثة .. والحقيقة أنه ساعدني كثيرًا في العمل في الفرقة وإعادة بنائها مرة أخرى .. في هذه الفترة كلفنا بعمل مهمات استطلاعية وعمليات عبور للبر الثاني تقام لأول مرة ، واشترك معي أبو غزالة وعمل بكل إخلاص وتفانٍ .. وأنا كقائد كنت أطلب منه أن يرافقني أثناء مروري على الفرقة أو القيام بأي مهمة أريد تنفيذها .. وتوسمت فيه أشياء كثيرة وأثبتت لي الأيام صدق إحساسي بما توقعته له ،

فقد لاحظت أنه شخصية محبوبة من الجميع ، وكنت أشعر أن الله تعالى يبث فيه نورًا هو سر حب الجميع له .. وكثيراً ما كنا نتحدث في أمور وموضوعات كثيرة متنوعة وتعرفت عليه أكثر من خلال حديثه لي عن سفرياته ومغامراته وقصصه وذكرياته إلى روسيا والسويد وغيرهما ..

.. والحقيقة أن أبو غزالة ساعدني جدًا أنا وغيري من الضباط والقادة في فهم الخبراء الروس ؛ وذلك للباقته وفهمه للغة الروسية بطلاقة وترجمته وشرحه لنا ، خاصة أن ترجمة الروس لم تكن دقيقة أو واضحة في كل الأحيان .. صحيح أنني سافرت في بعثة إلى روسيا ولكنها كانت لأشهر قليلة لم تمكنني من إتقان اللغة الروسية مثله .. وتوطدت العلاقة بيننا مدة طويلة .. بعد ذلك نقلت رئيسًا لأركان الجيش الثاني وهو عين رئيسًا لأركان مدفعية الجيش .. وعدنا للعمل معًا مرة أخرى في فترة حرب الاستنزاف ، وكان معي في كل الخطوات هو والمقدم عبد المنعم سعيد وكان الآخر ضابط عمليات كفئًا وكنت أحبه أيضًا لنبوغه وجديته ومعرفته باللغة الروسية أيضًا .. وكثيراً ما كنا نتفقد الوحدات معًا .. كنت دائمًا أنادي أبو غزالة بمحمد ، وليس أبو غزالة كما يناديه الجميع ..

أبو غزالة في وقت فراغه كان يحب الرياضة ويمارسها ، ويلعب كرة القدم مع الضباط والجنود ويُكوّن فرق مدفعية رياضية تلعب ضد المشاة وهكذا .. وهذه الرياضة كان لها دور كبير في رفع الروح المعنوية وتقوية الرابطة والحب بين القادة والجنود والضباط ..

أذكر أن أبو غزالة لم يكن قائدًا للمدفعية كل الفترات .. وكان اللواء عمر الموجى هو قائد مدفعية الجيش الثاني وكان إنسانًا كفئا أيضًا وأبو غزالة كان نائبه ، ولكنه كان يتواجد معي أكثر بصفة خاصة ؛ لتمكنه من اللغة الروسية ولمهارته وكفاءته في العمل ولشعوري بالراحة في العمل معه ..

طريقة أبو غزالة كانت تعجبني جدًا ، كان يعامل الضباط والجنود وخاصة ضباط المدفعية معاملة خاصة ، فيها حب واحترام ، وكنت أرى ذلك وألمحه أثناء التعامل معهم وأثناء تنفيذ أوامره من مرؤوسيه وفهمهم له من نظراته دون أن يتكلم .. المعروف أن الحب ، إذا نشأ ينتج أشياء رائعة وقوية .. وهو فعلًا ما كان يحدث بينه وبين من يعمل معه ..

أذكر أن وحدات المدفعية كانت مشتركة في تكثيف الضرب في منطقة قبالة الإسماعيلية شرق وتقريبًا يوم ٨ سبتمبر ٦٨ ، وقد تمكنت من ضرب عدد كبير من قوات العدو ، وكان لها دور رئيسي فيما بعد .. أبو غزالة كان ينظم العمليات بطريقة سلسة جدًا .. وكان له دور كبير في مرحلة الاستنزاف» ..

وننتقل لزميل آخر في هذه الفترة ؛ كان طالبًا تعلم على يديه من قبل في الكلية الحربية .. وهو اللواء عبد المنعم سعيد والذي يقول : «بعد عودتي من دراسة بالاتحاد السوفيتي كنت برتبة رائد أركان حرب ، كان هو قائدًا لمدفعية الفرقة الثالثة ، وكان يأتي إلى قيادة الجيش ، وكنت ألتقي به كثيرًا ، وأخذت أتذكر أيام الدراسة بالكلية الحربية ، كانت سمعته جيدة جدًا .. كنا نلتقي به أثناء قيام قائد الفرقة بعرض موضوع ما هو وضباط العمليات المرافقين له دائمًا ، وكثيرًا ما كان يعرض تقارير ، ويجيب عن أي سؤال ، ويعرض أي موقف يختص بالمدفعية» .

شهادة أخرى لزميل وصديق آخر هو اللواء حسني سليمان مدير المدفعية ومساعد وزير الدفاع سابقًا .. والذي يقول :

«أثناء حرب الاستنزاف في الفترة الأولى من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧١ ، كان قائدًا لمدفعية الفرقة الثالثة مشاة .. هذه الفترة تم فيها إعادة تسليح وتدريب الوحدات ، وبداية العمليات التي كانت تتم مع الإسرائيليين والتراشقات وغيرها .. بعد عودتي من الدراسة في أكاديمية فرونز بروسيا عينتُ رئيسًا لأركان مدفعية الفرقة الثالثة معه .. دخلت إليه وسلمت عليه في ملجئه ، وطلب منى الأوراق والمذكرات التي كتبتها وتعلمتها في البعثة . ومن ثاني يوم لي في الفرقة كنت أمارس عملي معه ونمر على الوحدات .. والحقيقة أن العقيد أبو غزالة كان يبذل مجهودًا خرافيًا .. يبدأ يومه الثامنة صباحًا ؛ إما بالمرور على الحد الأمامي ومراكز الملاحظات . وإما في ميدان التدريب .. وينهي يومه في التاسعة أو العاشرة مساء ..

أبو غزالة هو الذي اكتشف ميدان تدريب مدفعية الجيش الثاني في أبو سلطان ، والذي ما زال يستخدم في تدريب وحدات المدفعية حتى الآن .. وهو الذي ابتكر أيضًا معسكرات تدريب المدفعية لوحدات محتلة ، فالنطاق الدفاعي للجيش يسحب نسبة من جنود الوحدات في معسكرات التدريب تأخذ جرعة تدريبية وتضرب نار ، ثم تعود وتذهب مجموعة أخرى »..

أثناء فترة الاستنزاف والتراشقات حدثت واقعة لم تمح من الذاكرة :

كنا في مركز الملاحظة بأبو سلطان ، في اليوم التالي لعملية تراشق بنيران المدفعية .. على الشط الغربي للقناة أمام النقاط القوية لأبو سلطان .. شاهدنا بالنظارات المكبرة طائرتي هليكوبتر ، وعربتي جيب إسرائيليتين ، ونزل منهم موشي ديان ، ومجموعة من كبار القادة الإسرائيليين ..

كان لنا خمس كتائب مدفعية وستون مدفع رابطة بيانات ، يعني لو ضربنا هنقضي عليهم كلهم .. كان في متناول أيدينا القضاء عليهم بقذيفة واحدة ، واستأذن العقيد أبو غزالة القيادة الأعلى بالضرب ولكن القيادة رفضت ، فنحن لم نكن استكملنا قوتنا وعدتنا بعد ، وعملية كهذه لو تمت بنجاح كان سيكون لها رد فعل كبير ضدنا من الإسرائيليين ..

هذه العملية كانت قبل استشهاد الفريق عبد المنعم رياض ونفس العملية قاموا بها واغتالوه .. وأنا شاهد على التاريخ وعلى هذه الواقعة .

نعود لشخصية أبو غزالة والذي كان دائم المرور على الوحدات ، يجلس مع القوات بصفة دائمة ، وفي المساء يدخل ملجأه ، ويأخذ دشًا بجركن مياه ، ويجهز كتبه وأوراقه ثم يقرأ ويترجم ، أو يجهز محاضرة .. فهو غاية في العلم وشعلة من النشاط .. كان يبذل جهدًا غير عادي .. وهو رجل ذكي .. الخبراء الروس كان لديهم قناعة بأنه متميز في ذكائه وجرأته وعلمه وقدرته .. في كل ما نتخيله .. أحيانًا كان الخبراء الروس يعجزون أمامه ..

كان أيضًا يمتاز بالهدوء والتروي ويعشق النظريات الرياضية .. في الوقت نفسه كان رجلًا رياضيًا يلعب تنس وكرة قدم ..

من مواقفه الإنسانية وكرمه وحبه لجنوده وزملائه .. أثناء فترة أبو سلطان وبعد عودته من الإجازة .. ينادي علينا من ملاجئنا تحت الأرض ؛ حتى نأكل معه مما أحضره من طعام ، كنا محرومين منه طوال وجودنا في الجبهة وطبعًا ندعو للحاجة زوجته» .

شهادة أخرى للواء يحيى خليفة ، مدير إدارة التجنيد سابقًا وصديق المشير أبو غزالة ، يقول فيها

« كنت أحب الرياضة وأمارسها ، وهو أيضًا ، وكان لي علاقة به على أساس أن الرياضة مرتبطة بكل وحدات المدفعية ، ولمست عن قرب خصال إنسان بسيط وجميل وسهل في تعاملاته .. في الفترة التي كان فيها قائد مدفعية الفرقة الثالثة كنت في البوليس الحربي ، وكنت على اتصال به، ثم عينت قائد لواء مدفعية بعد ذلك .. وبعد ثلاثة أشهر التحقت بالفرقة الثانية وكان الاتصال العرضي بيننا في قمة روعته وكفاءته .. وظهر ذلك في كل صور التعامل وتبادل المعلومات والتيسير على بعضنا بعضًا وكان لذلك مذاق خاص في الحرب .. وحضرنا حرب الاستنزاف بالكامل .

في فترة الاستنزاف كان نادرًا ما يأخذ إجازات .. ولكنه يمنح الضباط الصغار إجازات لأنهم لا يستطيعون المكوث مدة طويلة مثل القادة بعيدًا عن أسرهم ..

العميد أبو غزالة كان دائمًا يمر على الجنود في المواقع ويأخذ معه أفرادًا من أصدقائه أو زملائه المقربين ، وكنت أذهب معه ونأكل مع أطقم المدافع من أكلهم وكنت أقول له ضاحكًا .. : « بلاش مكرونة هي بتعمل تلبك معوي ونحن لن نستحملها» ..

فكان يقول : «لو قلنا للطباخين يطبخوا كويس لن نتعب .. نحن نأكل ونتعب حتى نغير الأكل للأحسن»

أتذكر أن طريقة تعامله مع الجنود كانت في منتهى البساطة ، والتواضع. كان قويًا وصحته جيدة لأنه كان رياضيًا ..

في هذه الفترة ورغم انشغاله في الميدان ، فإنه لم ينس العلم ولا القراءة ولا الرغبة في المعرفة المزيد .. وحصل على إحدى الدورات التي ذكرها اللواء منير شاش قائلًا :

«افترقنا أثناء حرب ٦٧ وعدنا مرة أخرى للدراسة في مرحلة الاستنزاف وذلك في الأكاديمية عام ١٩٧١ وللحصول على دورة كان بها العديد من الضباط الذين شاركوا في صنع نصر أكتوبر فيما بعد ومنهم .. أبو غزالة وأحمد بدوي ويوسف صبري أبو طالب ويوسف عفيفي وأنا» ..

ويقول اللواء عبد المنعم سعيد : «عندما كان قائدًا لمدفعية الجيش كنت أنا في عمليات الجيش وخدمت معه ومع اللواء عبد المنعم خليل الذي كنا نرافقه في أي مؤتمر يعقده كمترجمين ، بالإضافة إلى عملنا» ..

يقول الفريق صفي الدين أبو شناف .. رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقًا :

«أول مرة قابلت المشير أبو غزالة كنت رائدًا في عمليات المنطقة العسكرية الشرقية بعد ٦٧ وكان هو قائدًا لمدفعية الجيش .. كان محبًا للرياضة ولعب كرة القدم وكنا نلعب معه ومن هنا بدأت المعرفة والاحتكاك الأول به .. وبدأت أتلمس شخصيته وعرفته رجلًا فاهمًا ، متعلمًا ، واعيًا، جيدًا كل الأمور ، وبأقصى حد .. وظللت على علاقة به ، ولكن في إطار محدد إلى أن تم التجهيز لحرب ٧٣ ، وكنت في ذلك الوقت رئيسًا لأركان أحد اللواءات وهو قائدًا لمدفعية الجيش الثاني ، وباستمرار كنت أراه يحضر المشاريع ودائم المرور على كل الجيش ، وكان يحب أن يسألني ، والحقيقة أننا كنا نقدر بعض وكانت بداية الإعجاب المتبادل واستمرت علاقتنا إلى أيام الحرب وزادت العلاقة بيننا» ..

يقول اللواء عبد المنعم كاطو ، الخبير الإستراتيجي : معرفتي بالمشير أبو غزالة بدأت عندما عُيِّن رئيس أركان مدفعية الجيش الثاني في ٦٩ ، واستمرت إلى ما بعد ذلك ، وعندما عُيِّن قائدًا لمدفعية الجيش .. كنت في ذلك الوقت ضابطًا في شعبة عمليات الجيش برتبة رائد وهو عميد ، ورغم ذلك كانت علاقتنا يغلب عليها الاحترام والدفء كعلاقاته من الجميع ، ولاحظت أنه إنسان دؤوب في العمل ، مثقف لأقصى درجة ، وأتذكر أنه عندما بدأنا التخطيط لحرب أكتوبر زادت الروابط بينه وبيننا في شعبة العمليات ، حيث هيأ القائمين بعمليات التخطيط ، ووجدت التزامات للمدفعية والأفرع الأخرى بقيادة الجيش وتوطدت الصلة بيننا وفي هذه الأثناء التي كان فيها قائدًا لمدفعية الجيش ، كنا نراه متواجدًا معنا طوال الوقت ولا يربأ بنفسه أن يعمل على الخريطة ويخطط معنا ، ليس في المدفعية فقط ، بل في كل المستويات المختلفة ، ويمكن أن يستمر معنا حتى لأوقات متأخرة ، وكثيرًا ما كان يدلى برأيه ويناقشنا ببساطة شديدة ولو وجد رأيًا أصوب منه يأخذ به ، لذلك كان قائدًا ديمقراطيًا متعلمًا ومثقفًا وفاهمًا لأبعد حد ..

في هذه الفترة كان يجمعنا هدف واحد وهو أنه لا بد من الانتصار في الحرب القادمة ، وفي انتصارنا هذا نوفر كل قطرة دم لأي جندي مصري وكذلك النفقات .. فالذي نصيبه بطلقة لا نضربه بعشر طلقات وساعدنا الله تعالى على ذلك ..

يواصل اللواء كاطو كلامه عن المشير أبو غزالة عارضًا للوجه الآخر منه في بساطته .. قائلاً : «أتذكر أنه في أوقات الفراغ القليلة كان يقول لنا : انتو قاعدين ليه . تعالوا نلعب كرة» .

والشيء المضحك أنه كان يلعب معنا ، ولكنه لم يكن مهاجمًا أو مدافعًا ، بل هو مهاجم بالصوت ويدير المباراة بالصوت والحماس ولا يهمه أين تذهب الكرة المهم هو رفع الروح المعنوية للجنود والضباط وهذه المباريات كانت تزيد من جرعات الحب والزمالة بين أفراد الجيش .. في الوقت نفسه وخلال فترات الغداء ، كانت تدار مناقشات بينه وبيننا في كل شيء ثقافيًا ، عسكريًا ، أسريًا ، وغيرها من الموضوعات المهمة والبسيطة وميزته أنه كان يعطي الحرية التامة لكل فرد بأن يتكلم ويدلى برأيه بلا خوف أو تحفظ ..

بكل أمانة كانت فترة الإعداد للحرب فترة رائعة رغم صعوبتها ، فقد كانت من الفترات العصيبة التي مرت بها قواتنا المسلحة وزادت من عمر كل ضابط مسؤول ..

نعود مرة أخرى للفريق عبد رب النبي حافظ .. رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقًا والذي يقول

«في عام ١٩٧٠ توليت رئاسة أركان الفرقة الـ ١٦ المشاة وتولى هو رئاسة أركان مدفعية الجيش الثاني ، وفي عام ١٩٧١ توليت رئاسة الفرقة وهو قيادة مدفعية الجيش الثاني وكانت فترة الإعداد النهائية لعملية الحرب ووضع اللمسات الأخيرة وظهر التعاون بيننا في أوج صوره نتيجة المحبة والمودة والعشرة الطويلة التي عشناها سابقًا معًا ..

لا أتذكر أنه رفض لي مطلبًا قط وأنا أيضًا كنت أعاونه على قدر استطاعتي ، مرة وقبل الحرب كان عنده ثلاثة مدافع ١٥٥ مللي فرنساوي ثقيلة وقديمة جدًا ، وخاطبني قائلًا : تحب تاخدهم ؟! .. فقلت له بلا تردد طبعًا ، آخدهم .. هاتهم» ..

يقول اللواء منير شاش : «عينت في أواخر ١٩٧٢ رئيسًا لأركان مدفعية الجيش الثالث مع قائد مدفعية الجيش الثالث إلهامي الشيخ وأبو غزالة عين قائدًا لمدفعية الجيش الثاني .. في مارس ١٩٧٣ توفى العميد إلهامي الشيخ في منزله أثناء نومه، وعينت قائدًا لمدفعية الجيش الثالث .. وتوطدت علاقتي بأبو غزالة أكثر ، وفي الغالب ما يحدث تنافس بين ذوى المناصب الواحدة ولكن وبكل أمانة لم يحدث تنافس أو غيرة أو صراع مطلقًا بيني وبين أبو غزالة ، بل على العكس وجدت كل تعاون ومحبة وتقدير وحدث تنسيق كبير بين الجيشين .. فمثلًا أثناء العمليات عندما كان يطلب مني معاونة كنت أفعلها من قبل أن يطلب من قائد الجيش وأنا أيضًا لم أطلب منه شيئًا ويرفضه .

أثناء الثغرة ، كان مدى مدفعية الجيش الثاني لا يصل إلى الصواريخ ، فقمت بإطلاق كتيبة صواريخ للضرب على القوات في الثغرة ، رغم عدم تأثير ذلك علينا ، ولكنه تعاون ومعاونة أكثر من أي شيء آخر» ..

ننتقل لشهادة أخرى من اللواء عبد الرحمن الهواري الذي يقول :

«هذه الفترة هي المرة الثانية التي أتعامل فيها مع العميد أبو غزالة والفترة التي كان فيها رئيسًا لأركان مدفعية الجيش الثاني ثم قائدا لمدفعيته ، وكنت أنا رئيس عمليات المدفعية ، ومسؤولًا عن إدارة المحور المسؤول عن الجيش الثاني ، و «متابعة كل ما يحدث في عمليات الجيش الثاني» ، وكنت أزور الجيش الثاني فترات كثيرة وتعاملت معه ــ مباشرة ـ كثيراً ، ولمست من خلال تعاملاتي أنه محبوب للغاية من المرؤوسين بشكل غير عادي .. يظهر هذا الحب في أوج صوره أثناء فترات الراحة والغداء وممارسة الرياضة .. فترة ما قبل الحرب كانت فترة تخطيط وكنا نمكث مع الضباط نتناقش ونعرض الآراء وكان يهتم بكل الآراء ويناقشها

الفترة من (٧٠ ــ ٧٣) كانت مهمة جدًا .. كنا نحضر مشاريع ومناورات وكانت بالنسبة لي في غاية الأهمية تعلمت فيها التخطيط والعمل على مستوى القيادة والجيش .. الذي يحضرني هنا عندما كان ــ العميد أبو غزالة ــ يعرض مقترحًا للجيش كان يقدمه متكاملًا وواضحًا لو به تعديلات تكون بسيطة للغاية ، كنا نجمعه في إطار خطط خاصة .. وأنا كمسؤول عن المحور كنت أشعر بالراحة أثناء عرضي لتقاريره وخططه على قائدي ، فكل شيء به يكون متكاملا ومعلوماته متوفرة وكثيرة عكس المحاور الأخرى .. طبعًا ساعدني على ذلك وجود علاقة قوية سابقة معه» .

نعود مرة أخرى للواء عبد المنعم سعيد وحديثه عن أخلاقيات أبو غزالة يقول :

«وأنا في عمليات الجيش كنت مسؤولًا عن إعداد خطة عمليات الجيش ، وكنت أقوم بتجميع الخطط التخصصية التي تأتيني من كل أفرع الجيش ،

كنا نأخذ منها الأشياء الأساسية ، ونستعين بها في خطة العمليات الشاملة ، يقوم كل فرع بدفع مندوب من عنده لإمدادنا بما لديه ولمعرفة الموقف .. إلا قيادة مدفعية الجيش فكان العميد أبو غزالة يأتي بنفسه ، وكنا نقول له أرسل لنا أي أحد غيرك .. وأقول له يا أفندم لا تأتِ بنفسك .. أنا سآتي إليك .. أنت عميد وأنا مقدم ، فكان يقول : «.. يا عبد المنعم لا تفرق .. اقعد يا بني .. المهم الشغل» .

تواضع ، أشياء صغيرة وبسيطة لكنها ما زالت عالقة في الذهن ، ورغم مرور ما يقرب من الأربعين عامًا .. فإن شخصية المشير أبو غزالة نادرًا ما نجدها ثانية ..

أعترف بأن اقترابنا من بعضنا البعض في هذه المرحلة زاد من تعارفنا وارتباطنا ، وجعلنا نعرف كيف نفكر ونعمل كفريق عمل متوافق وهو ما أدى إلى زيادة روابط الصداقة بيننا وقواها .. بعد ذلك انتقل لقيادة مدفعية الجيش الثاني حتى حرب أكتوبر ٧٣ وقام بدور هائل في عملية إدارة نيران مدفعية الجيش ككل ، وأثناء عملية الثغرة قام بتعبئة عشرات الكتايب من المدفعية والصواريخ أرض ــ أرض ، من أجل تدمير العدو الذي اخترق من عند الدفرسوار ، وكان له دور رائع في هذه المرحلة الحاسمة »..

وقبل أن ننهي هذا الفصل نسجل شهادة أحد رجال الصاعقة والذي يتحدث عن المشير أبو غزالة بكل فخر ويشير إلى إحدى العمليات التي نفذت ، وكانت ردًا على استشهاد عبد المنعم رياض وكان لمدفعية الجيش والعميد أبو غزالة دور كبير فيها يقول الربان / وسام عباس حافظ كبير مرشدين ممتاز بهيئة قناة السويس : «كنت أعمل منذ فبراير ١٩٦٨ ضمن مجموعة القوات الخاصة البحرية» .

« في ١٩ أبريل ١٩٦٩ قامت مجموعة القوات الخاصة البحرية بقيادة المقدم أ . ح / إبراهيم الرفاعي بعملية إغارة هجومية على موقع لسان التمساح بالإسماعيلية ، واشترك معنا في نفس العملية عناصر كتايب صاعقة ، تابعة لوحدات القوات الخاصة بالقوات المسلحة ، وكان ذلك انتقاما لاستشهاد الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان القوات المسلحة .. وكان المشير أبو غزالة في ذلك الوقت برتبة العميد ، وكان قائدا لمدفعية الجيش الثاني الميداني .

وكانت خطة الهجوم تعتمد على تحضيرات المدفعية التي استمرت أكثر من سبعة أيام ليلا ونهارا قبل موعد الهجوم ، حيث تم استخدام مناورات القذف بالمدفعية على موقع لسان التمساح والمواقع الإسرائيلية الحصينة شمال وشرق وجنوب الموقع المستهدف ، بحيث لم يشعر العدو الإسرائيلي بنية الهجوم .

يوم ١٩ أبريل ١٩٦٩ استمر قذف المدفعية على موقع لسان التمساح والمواقع المجاورة شمالا وجنوبا ، وفي تمام الساعة السابعة مساء يوم ١٩ أبريل ١٩٦٩ ، تحرك عدد ١٥ قارب زودياك كوماندوز ماركة ٥ ، وكل قارب كان يحمل ١٢ فردًا من القوات الخاصة البحرية والقوات الخاصة المنضمة على المجموعة من كتائب الصاعقة ، وكان التحرك في اتجاه ٥٠٠ متر جنوب الموقع الإسرائيلي الحصين الواقع في شمال لسان التمساح ، وكان ضرب المدفعية على موقع لسان التمساح يساعد على تحديد اتجاه التحرك نحو الهدف بدقة ، ولما وصلت مجموعات القوات الخاصة على شاطئ لسان التمساح أثناء ضرب المدفعية ،

استمر تقدم القوات نحو الموقع الإسرائيلي الحصين سيرا على الأقدام حتى أصبحت المسافة من الموقع الحصين نحو ٥٠ مترا ، وكانت دقة ضرب المدفعية متناهية ، حيث كانت كل القذائف تسقط على الموقع الحصين بمنتهى الدقة ، مما أجبر جنود العدو على الاحتماء داخل الدشم الحصينة ولم يخطر ببالهم الهجوم المنتظر .

ولما صدرت إشارة وقف ضرب المدفعية المصرية ، بدأ الهجوم الخاطف على الدشم ، وتم إجبار الجنود الإسرائيليين على الخروج من الدشم ، وذلك بإلقاء القنابل اليدوية والقنابل الحارقة التي أجبرت الإسرائيليين على الخروج خارج الدشم ، حيث تم القضاء عليهم جميعا ، وكان الانتقام لاستشهاد الفريق عبد المنعم رياض» .

ونترك مرحلة الاستنزاف وشهادة هؤلاء الرجال على الدور الذي قامت به مدفعيتنا المصرية الرائعة ، والعميد أبو غزالة قائد مدفعية الجيش ، ونأتي لمرحلة مهمة بتسلسل الزمن والأحداث .. أكتوبر ١٩٧٣ .



الفصل الخامس

أبو غزالة بطل من أبطال أكتوبر

إن قواتي تعرضت طوال تقدمها من بالوظة، وحتى قيامي بالهجوم المضاد في قطاع الفردان، لقصف مؤثر من المدفعية أدى إلى تدمير أكثر من ٧٠% من مشاتنا الميكانيكية، ولقد تصورت أن دقة نيران المدفعية وتأثيرها الشديد لا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان هناك ضابط مدفعية مصري يقف على برج دبابته ويصحح النيران على قواته!!

من أقوال العقيد عساف ياجوري في نجاح المدفعية المصرية

حرب أكتوبر كانت البداية الفعلية والاختبار الحقيقي للجندي المصري والذي بدأ في حرب الاستنزاف ، في هذه الحرب ظهرت شخصية العميد أبو غزالة القائد والمقاتل الشرس الذي كان يهابه الجنود الإسرائيليون ، وكما ظهر في كتاباتهم .. أشاد الجميع به وبكل قادة مدفعية الجيشين (الثاني والثالث) .. إنجازات كثيرة حققها رجالنا البواسل ، رجال القوات المسلحة ، وبالتلاحم مع باقي أبناء الشعب المصري .. إنجاز وثأر ورد كرامة وبطولة توارثتها الأجيال ، وكانت أكبر رد على الظلم الذي لحق بنا والعار الذي غطانا ظلمًا وقهرًا ، ولم يظهر حقيقة المقاتل المصري الأصيل وذلك بعد نكسة يونيو..

ونأتي للمرحلة الأخيرة من مراحل الإعداد للحرب وهي مرحلة التحرير والتي شارك فيها العميد أبو غزالة بكل بسالة ، حتى أنه استحق أن يكون أبا المدفعية ، كما أطلق عليه اللواء محسن حمدي .. وسنعرف ذلك فيما بعد.

المرحلة الرابعة وهي مرحلة الإعداد للحرب .. (تخطيط وإدارة العملية الهجومية). وعن تخطيط استخدام المدفعية ودور أبو غزالة، يقول اللواء عباس منصور : بعد نجاح قواتنا المسلحة في إعادة بناء نفسها ، وشن حرب استنزاف ناجحة ، أدارت رأس العدو

الإسرائيلي ، وأفقدته اتزانه ، بدأ الإعداد للتحول العظيم .. التحول من إستراتيجية الدفاع إلى إستراتيجية الهجوم ، ويواصل حديثه قائلًا : «تخرجت في الدورة «٢٤» كلية القادة والأركان في أول أكتوبر ١٩٧١ ، وكان لي الشرف الكبير أن أعين بقيادة مدفعية الجيش الثاني الميداني بقيادة قائدها العظيم العميد أ . ح / محمد عبد الحليم أبو غزالة ، حيث تم خلال عامين قبل الحرب من أكتوبر ٧١ حتى أول أكتوبر ٧٣ ، إجراء عدة مشروعات ، وكانت هذه المشروعات مشابهة تمامًا لما سيتم في العمليات ، كما قامت إدارة المدفعية بإجراء مشروع إدارة نيران داخلي لمدفعية الجيش الثاني الميداني يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٣ م .

كما كان لي شرف الاشتراك معه في إعداد خطة الاستخدام القتالي لمدفعية الجيش الثاني الميداني في العملية الهجومية .

في فبراير عام ١٩٧٣ .. كنا ثلاثة : العميد أركان حرب أبو غزالة ، والعقيد أركان حرب نبيل مرسي ، وأنا ـ وكنا نعمل في سرية تامة ، ويمدنا بالمعلومات عن العدو شرق القناة المقدم أركان حرب رشيد يوسف ، رئيس استطلاع مدفعية الجيش ، وهنا عرفت أن العميد أركان حرب أبو غزالة ضارب آلة كاتبة ممتازة فكل وثائق الخطة كتبها بنفسه على الآلة الكاتبة في سرية تامة ، كما أنه كان يساعدنا في الرسم على الخريطة بنفسه .

كانت هناك مجموعة من العوامل التي روعيت في وضع خطة الاستخدام القتالي لمدفعية الجيش الثاني الميداني للعملية الهجومية أهمها :

١ ـ ضرورة الحصول على السيادة النيرانية في مسرح العمليات ، أو بتعبير أدق تحقيق التفوق على مدفعية العدو في كل محور .

٢ ـ ضرورة تركيز الجزء الأكبر من المدفعية في اتجاه المجهود الرئيسي .

٣ ـ تحقيق كثافة في المدفعية بمختلف أنواعها للدبابات وخاصة مدفعية الميدان والمدفعية المضادة بما يحقق إمكانية معاونة القوات على تحقيق معدلات عالية للتقدم والعبور وصد الهجمات والضربات المضادة

٤ ـ تحقيق الاتزان والثبات لجميع رؤوس الكباري .

٥ ـ الاحتفاظ باحتياطيات قوية وكافية ، حتى يمكن مواجهة أي تطور للموقف خلال أيام القتال .

وطبقًا لهذه الأسس تم وضع خطة الاستخدام القتالي التفصيلية لمدفعية الجيش الثاني الميداني ووزع الدعم على الفرق توزيعًا نوعيًا ، أي بالمعيار المناسب ، وتوزيعًا كميًا ، أي بالحجم المناسب ، لضمان إمكانية التعامل مع النقط الحصينة ، ومع مدفعية العدو وغير ذلك من المهام ، وكان التمهيد النيراني للهجوم .

كما كلف العميد ، أبو غزالة الرائد مصطفى زهدي ، مساعد رئيس استطلاع مدفعية الجيش بمهمة دراسة مدى الرؤيا في الليالي القمرية من الشاطئ الغربي لقناة السويس في اتجاه العدو بالعين المجردة ، وباستخدام الأجهزة البصرية المختلفة خلال ثلاث ليالٍ لاكتمال القمر والليالي الثلاثة السابقة واللاحقة على ذلك .. على أن يتم الرصد من آخر ضوء حتى شروق الشمس في اليوم التالي ..

إدارة العملية الهجومية:

ونأتي لإدارة العملية الهجومية ونتساءل : كيف أخفى العميد أ . ح أبو غزالة توقيت بدء الهجوم عن أقرب معاونيه والذي اشترك معه في مرحلة التخطيط وفي إعداد خطة الاستخدام القتالي لمدفعية الجيش الثاني الميداني للعملية الهجومية ؟! .

يقول اللواء عباس منصور .. «لم أكن أتصور مطلقًا أن يخفي عليَّ العميد أبو غزالة موعد الحرب ، وأنها خلال أيام ، وخاصة بعد اشتراكي معه في التخطيط لفترة طويلة ، ورغم وجودي معه في خندق واحد ، أنا والمقدم أ . ح رشيد يوسف رئيس استطلاع مدفعية الجيش بمركز القيادة المتقدم للجيش الثاني الميداني وتعليماته لنا بعدم مغادرة مركز القيادة لأي سبب ، والحقيقة أنه أخفى علينا تمامًا أن الحرب قادمة خلال أيام قليلة معدودة ، أذكر أنه «يوم الأحد ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣م» ، كنت أتناول طعام الإفطار رابع يوم رمضان مع العميد أبو غزالة ، قائد مدفعية الجيش ، الذي بادرني سائلا : هل تناولت طعام الإفطار مع أولادك هذا العام يا عباس ؟ فأجبت بالنفي .. فقال لي : انزل باكر افطر مع أولادك ..

وفعلًا نزلت في صباح يوم الإثنين أول أكتوبر ١٩٧٣ إلى القاهرة ، وقبل أن أنتهي من تناول طعام الإفطار ، إذا بجرس الباب يدق ، ففتحت وفوجئت بالعريف عبد الحكيم الذي يعمل معي بفرع العمليات ، يقول لي : إن قائد مدفعية الجيش يبلغني أن أعود باكر الثلاثاء ٢ أكتوبر ١٩٧٣ م .. وفعلا عدت صباح الثلاثاء ٢ أكتوبر إلى القيادة ، وقابلت مساعد فرع عمليات المساعد عبد المنعم سعد الذي كان في انتظاري ، وعلمت منه أنه قد تم رفع حالة استعداد قيادة الجيش الثاني الميداني ، وتحركت لفتح مركز القيادة المتقدم للجيش ، وأيضًا مركز القيادة الرئيسي للجيش ، وسلمني مظروفا كبيرا طلب منه العميد أبو غزالة أن يسلمه لي فور حضوري ، وكانت به بعض التعليمات التنظيمية للمشروع (الذي كنا نقوم به) الذي سيبدأ من يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، وتحركت أنا والمساعد عبد المنعم إلى مركز القيادة المتقدم ، ومعي خرائط ووثائق المشروع ، وتم الانضمام على مركز القيادة المتقدم لمدفعية الجيش مع القائد العميد أ . ح / أبو غزالة ، وكان معه المقدم أ . ح / رشيد يوسف رئيس فرع استطلاع مدفعية الجيش ..

تواجد العميد أبو غزالة بمركز القيادة المتقدم بقيادة السيد اللواء أ . ح / سعد مأمون قائد الجيش الثاني ، ومركز القيادة الرئيسي بقيادة اللواء أ . ح / تيسير العقاد رئيس أركان الجيش ، وصحبه من المدفعية العميد / فهمي جمعة رئيس أركان مدفعية الجيش الثاني الميداني وسائر عناصر القيادة .

مر يوم الأربعاء ٣ أكتوبر في هدوء وجرى الإعداد والتجهيز للمشروع [٣٤] من خرائط ووثائق وجدول سير الحوادث والذي سيبدأ خلال يومين ..

بعد ظهر يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣ .. أصدر قائد مدفعية الجيش العميد أبو غزالة تعليماته لإبلاغها إلى قادة مدفعيات الفرق : «٢١ مدرعة» ، «٢٣ مشاة ميكانيكي» والفرقة الثالثة مشاة ميكانيكا ، الأنساق الثانية بخصوص احتلال ألوية مدفعية الفرق الثلاث مرابض نيرانها الرئيسية غرب القناة مساء اليوم والإبلاغ عن حاضر سعت ٢١٠٠ «التاسعة مساء» الليلة ، وفعلًا احتلت الثلاثة ألوية مدفعية مرابض نيرانها الرئيسية وبلغت عن حاضر في الوقت المحدد .

وأتذكر أنه سألني «تفتكر إذا قامت الحرب بيننا وبين إسرائيل تكون الساعة كام ؟ .. فأجبته : «كما درسنا بكلية القادة والأركان تكون قبل آخر ضوء في الوقت الذي يسمح لطائراتنا بتوجيه الضربة الجوية المركزة والعودة في وضح النهار ، إن احتلال ألوية مدفعية فرق الأنساق الثانية للجيش لمرابضها الرئيسية معناه أن الحرب ستكون خلال ٤٨ ساعة ، وهذا ما تم فعلًا ..

(٣٤) ذكر هذا المشروع بالتفصيل في كتاب اللواء حسن الجريدلي (ذكريات ضابط مصري للكتابة) .

صباح يوم الجمعة ٥ أكتوبر تم دفع جميع وحدات الدعم المكلفة ، وكذا وحدات المدفعية الثقيلة ، وأيضًا الصواريخ أرض / أرض ، وبذلك تم اكتمال التجميع النهائي لوحدات المدفعية الجيش الثاني للعملية الهجومية ..

يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ استدعى قائد الجيش الثاني الميداني القادة ، ومنهم قائد مدفعية الجيش العميد أ . ح / أبو غزالة ليبلغهم عن سعت «س» ، وكانت تعليماته تنص على أن يبدأ تبليغ قادة اللواءات بها في الساعة التاسعة من صباح ٦ أكتوبر ؛ حيث بدأ تسلسل وصول التوقيت إلى القادة على التوالي في سرية تامة إلى أن يبلغ للجنود الساعة ١٢٠٠ وليس قبل ذلك .. وقد تم تنفيذ تعليمات قائد الجيش بكل دقة ، حيث جُمع القادة عند قائد مدفعية الجيش وسلمهم مظروفا كاكيا صغيرا سعت ١٣٠٠ (الواحدة ظهرًا) بعد ظهر يوم الجمعة ٥ أكتوبر على أن يفتح المظروف سعت ٩٠٠ صباح ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ..

سير القتال

وننتقل إلى سير القتال .. يقول اللواء عباس منصور : «يوم السبت ٦ أكتوبر عندما أشارت عقارب الساعة إلى سعت ١٣٠٠ أي الساعة الواحدة ظهرًا .. يوم ٦ أكتوبر .. كانت مراكز الملاحظة على مختلف المستويات قد اتخذت أماكنها في سرية تامة ولم يلحظ العدو الإسرئيلي أي تغيير في أوضاع القوات .

في الفترة من سعت ١٣٠٠ وحتى سعت ١٤٠٠ قامت مراكز ملاحظة المدفعية بتأكيد أهداف المدفعية ، كما صدرت الأوامر بالتدمير لنحو ألفي مدفع على مستوى الجبهة بالكامل منها نحو ١٤٥٠ مدفعا من مدفعية الجيش الثاني الميداني ، في الساعة ١٤٠٠ أخذت البلاغات تتوالى عن استعداد القوات فقام قائد مدفعية الجيش الثاني بإبلاغ قائد الجيش الثاني الميداني «النيل» (اسم رمزي لمدفعية الجيش الثاني) حاضر لتنفيذ مأمون «الاسم الرمزي للقصفة الأولى من التمهيد النيراني» ووصل أمر قائد الجيش «كل شيء في ميعاده» ..

تنفيذ التمهيد النيراني

كانت عقارب الساعة تشير إلى الساعة ١٤٠٤ «الثانية وأربع دقائق» من بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر عندما مرقت الطائرات المصرية فوق بحيرة التمساح متجهة نحو أهدافها شرق القناة ، وقد شاهدتها بنفسي ــ ما زال الحديث للواء عباس منصور ، أكثر من عايش المشير أبو غزالة في هذه الفترة ، وكان شاهدًا على هذه الأحداث .. يقول : «في لحظة لن أنساها طوال عمري .. وفي الساعة ١٤٠٥ أصدر قائد مدفعية الجيش الثاني الميداني العميد أبو غزالة الأمر« نيل اضرب .. فانطلقت آلاف المدافع تهدر وتصب حممها على النقط الحصينة لخط بارليف وبطاريات مدفعية العدو ومراكز قياداته وأماكن تمركز احتياطية .. كان التمهيد النيراني للمدفعية من القوة لدرجة أن معظم بطاريات مدفعية العدو (أكثر من ٩٠% منها) أسكتت منذ اللحظة الأولى ، ولم تتمكن من إنتاج أي نيران مؤثرة على قواتنا ، وكان ذلك أول بادرة للنصر الذي حققه جيش مصر الباسل .

وطبقًا لتخطيط العميد أ . ح /أبو غزالة بدأت مساعدات المدفعية للهجوم في نطاق الجيش الثاني الميداني بالاستيلاء على مصاطب الدبابات ، وبعد نحو ٥ ساعات دفع العدو باحتياطاته المحلية لمقابلة الهجوم لقواتنا ، وكان يعتقد أنه سينجح في تدميرها وردها على أعقابها ، وهنا حدثت المفاجأة فقد واجهته الصواريخ مقذوفات مدفعية مضادة للدبابات «فهد» فدمرت معظم هذه الاحتياطيات ، وإن تمكنت بعض الدبابات الفردية من الاختراق والوصول إلى الشاطئ ، ولكن سرعان ما تمكنت قوات العبور الرئيسية من تدميرها وبذلك فشل الهجوم المضاد المحلي ..

وفي أقل من ٦ ساعات وعلى وجه التحديد حوالي الساعة ١٩٣٠ (السابعة والنصف) كانت قواتنا قد استولت على أكثر من نصف نقاط العدو الحصينة وعزلت الباقي منها ، وبدأت القوات في تصفيتها ، واستعدت لتطوير الهجوم في العمق ..

مدفعية الجيش الثاني تصد الضربات المضادة بقيادة العميد أ . ح / محمد عبد الحليم أبو غزالة :

ويذكر اللواء عباس منصور بعض الأمثلة المهمة لدور مدفعية الجيش الثاني الميداني في معاونة قواتنا في صد الهجمات المضادة للعدو والتمسك برؤوس الكباري ابتداءً من يوم ٧ أكتوبر قائلًا :

«قبل بزوغ فجر يوم ٧ أكتوبر كانت قواتنا قد وصلت إلى عمق من ٥ ــ ٦ كيلو مترات ، وعبرت أعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية ، وخلال نهار السابع من أكتوبر بدأت قواتنا في تطوير هجومها شرقًا ووصلت إلى عمق من ٨ ــ ١٠ كيلو مترات ، حيث بدأت تستعد لصد الهجمات المضادة المتوقعة للعدو» ..

ولكن كيف حشد العميد أ . ح / أبو غزالة نيران ٢٢ كتيبة مدفعية على العدو ؟

يقول اللواء عباس منصور : «في فجر يوم ٨ أكتوبر أبلغ أحد مراكز ملاحظة المدفعية الذي تم دفعه في العمق ليلة ٦ ــ ٧ أكتوبر عن وجود لواء مشاة ميكانيكي للعدو ، مدعمًا بعدد كبير من الدبابات على الطريق الأوسط يعيد الملء بين الفرقة الثانية والسادسة عشرة مشاة ، وبسرعة تم تقدير الموقف واتضح أنه في مرمى نحو ٢٢ كتيبة مدفعية على هذا اللواء ، واشترك في هذا الحشد مدفعية الفرقة الثانية مشاة ، ومدفعية الفرقة ١٦ مشاة ، مجموعتا مدفعية الجيش الثاني الميداني فرعية رقما ١ ــ ٢ ، وكم كانت سعادة الجميع عندما وصل بلاغ من مجموعة استطلاع مؤخرة العدو كانت قد دفعتها قيادة الجيش في العمق يؤكد أن النيران كانت مؤثرة وأن الحرائق تشتعل في كل مكان ، وأن هذا اللواء تعرض لخسائر جسيمة جعلته غير قادر على دخول المعركة لفترة طويلة، وأن الكثيرين منه قد فروا من الجحيم .. وأكدت نتائج استطلاع اللاسلكي هذا البلاغ عندما التقطت استغاثات قائد اللواء وبلاغاته عن خسائره الجسيمة ..

وفي قطاع الفرقة ١٨ مشاة قامت مدفعية الجيش الثاني بحشد نيران ١٠ كتائب مدفعية على لواء مدرع حاول التقدم من بالوظة في اتجاه القنطرة لتوجيه ضربة مضادة ضد قوات الفرقة ١٨ مشاة ، واشترك في هذا الحشد وكانت النيران مؤثرة وناجحة ، وارتد على إثرها اللواء المعادي مذعورًا دون أن يوجه هجمته المضادة، وكان هذا نجاحًا باهرًا لرجال المدفعية شهد به قائد الفرقة ١٨ مشاة ورجالها الأبطال ..

وكم كانت سعادة العميد أ . ح / أبو غزالة عندما اتصل به أحد قادة مدفعيات الألوية من الفرقة ١٨ المشاة ليبلغه أن قائد اللواء المشاة يثني على رجال المدفعية الذين منعوا العدو من الوصول إلى الحد الأمامي لدفعات قواته ، وأنه زاد اقتناعه بأن نيران المدفعية تدمر ما يزيد على ٣% من دبابات العدو وهو المعدل العالمي المعروف ..

وهنا أذكر أنني قمت بحساب زمن السبق وكان متبقيًا دقيقة واحدة على أمر الضرب فأمرني العميد أبو غزالة قائلًا :

اضرب .. فقلت له: باقي دقيقة .. فأمرني بصوت عالٍ .. بأقولك اضرب .

وعلى الفور قلت اضرب .. وإذا بالرائد يسرى محمد حسن قائد كتيبة المدفعية / لواء المدفعية المضادة / الفرقة ١٨ مشاة الذي يدير النيران يبلغني «كرر» لأن الضرب طبعًا مؤثر على العدو ، فقال لي سيادة العميد أبو غزالة .. مش قلت لك .. مش قلت لك .. وكررها مرتين وكان في غاية السعادة ..

في ٩ أكتوبر تم أسر عساف ياجوري .. في قطاع الفرقة الثانية مشاة

في التاسع من أكتوبر كان موقف القوات الإسرائيلية سيئًا فقد نجحت في القوات المصرية في توسيع رؤوس الكباري إلى عمق ١٥ كيلو مترًا ، وفشلت الهجمات والضربات المضادة التي شنتها القوات المدرعة الإسرائيلية بحشود كبيرة ووقع في الأسر الكولونيل عساف يا جورى ، الذي قام لواؤه بتوجيه ضربة مضادة في اتجاه الفردان ، وتصدت لها نيران مقذوفات موجهة مضادة للدبابات كتيبة فهد من وحدات المظلات بقيادة الشهيد الرائد صلاح حواش ، ونيران كثيفة من نيران مدفعية الرمي غير المباشر وبواسطة قوات الفرقة الثانية مشاة ، بالتعاون مع احتياطي مدفعية م د الجيش تم تدمير اللواء المدرع وأسر قائده ..

معركة الطالية:

لقد نفذت المدفعية معركة «الفرقة ١٦ مشاة» مهامها ــ كما هو الحال على طول المواجهة ــ وأدت دورًا كبيرًا في نجاح صد هذه الهجمات والضربات المضادة ، وكانت إدارة النيران على مستوى عالٍ من الكفاءة ؛ الأمر الذي أمكن من حشد نيران عدد كبير من كتائب المدفعية وصل في بعض الحالات إلى «١٧» كتيبة مدفعية على هجمة مضادة للواء مدرع إسرائيلي كان من نتيجتها أن دمرت لهذا اللواء ٢٢ دبابة ، وارتد اللواء مذعورًا دون أن ينفذ هجمته المضادة ..

ودمرت صواريخ مقذوفات المدفعية المضادة للدبابات .. اللواء المدرع المعادي الذي تابع تقدمه وتم تدميره فيما عدا ٤ دبابات من هذا اللواء نجحت في الوصول إلى تبة الطالية ، فقام رجال الفهد بالتعاون مع رجال المشاة بالقواذف «ر . ب . ج» بتدميرها ، لقد ظهر في رصد هذا الهجوم التعاون الوثيق الممتاز بين المدفعية والمشاة فكانت سيمفونية رائعة لم تشهد الحروب لها مثيلًا ..

أما رجال الفهد من الكتيبة فهد / فرقة ١٦ مشاة قيادة الرائد عبد الجابر أحمد علي [٣٥] أحد أبطال حرب أكتوبر ، فالحديث عنهم يحتاج إلى كتاب خاص ، رجال ضربوا المثل في البطولة والتضحية ، ولقد سمعنا الكثير عن صائدي الدبابات وعلى رأسهم الرقيب عبد العاطي صائد الدبابات الذي دمر بمفرده ٢٣ دبابة إسرائيلية ، وزملاؤه بالكتيبة الأبطال إبراهيم حسن الذي دمر ١٨ دبابة ، والبطل إبراهيم عبد العال الذي دمر ١٧ دبابة ، والبطل بكر العادلي الذي دمر ١٤ دبابة ، وأبطال آخرون ..

(٣٥) كانت لنا معه مقابلة وتسجيل بعض الذكريات ..

لقد كانت حرب أكتوبر أول اختبار فعلى لهذا السلاح القاتل للدبابة ، ولهذا تتهافت الدول على مصر لتعرف خبرتها في استخدام هذا السلاح ، وكيفية تدريب عمال التوجيه .. ومعرفة معدلات الخسائر الناجمة عن استخدامه .. وكيف يمكن مقاومة هذا السلاح الجديد ؟! ..

١٥ ــ ١٦ أكتوبر .. معركة المزارع الصينية :

من المعروف إستراتيجيًا وتعبويًا أن أضعف نقط في أي دفاع هي نقط الاتصال بين القوات ، كما أن البحيرات المرة الكبرى تعتبر مانعًا طبيعيًا ضد أي عمليات عبور بقوات كبيرة ، وتعتبر أيضًا عنصر تأمين لجانب أي قوات تتقدم شمالًا بحذاها متمركزة بجانبها الأيسر على هذه البحيرات ..

وفي الخامسة مساء يوم الاثنين ١٥ أكتوبر قام لواء مدرع إسرائيلي يتمركز شمال طريق الطاسة ــ البحيرات بتوجيه هجوم مضاد في اتجاه الغرب ، أي في اتجاه الإسماعيلية ، وكان هجومًا خداعيًا لجذب انتباه قواتنا بعيدًا عن نقطة العبور ، ولقد قوبل بمقاومة عنيفة من القوة الرئيسية للفرقة ١٦ مشاة مع قوات (الفرقة ٢١ المدرعة) .

بعد ذلك بساعة تحرك اللواء المدرع الثاني للعدو جنوبًا ، وفي جنح الظلام انحرف غربًا تجاه البحيرات .. وبوصوله إلى الطريق اتجه شمالًا تؤمنه البحيرات المرة الكبرى من الجانب الأيسر . . وتم تقسيم القوات إلى ثلاثة أقسام وبدء الهجوم المضاد .

ولم تتحقق أهداف العملية ، فحتى فجر يوم ١٦ أكتوبر لم يكن كوبري العدو قد أنشئ ، بل لم تتمكن القوات الإسرائيلية من تأمين الطرق المؤدية إلى المعبر ، وتعرض الهجوم الذي شنه اللواء المدرع الإسرائيلي شمالًا لمقاومة شديدة من قوات لواء ١٦ مشاة ووقع تحت نيران كثيفة من المدفعية المصرية وبدأ يظهر أن الأمر سيستغرق يومي قتال آخرين ..

في ليلة ١٦ أكتوبر ، شنت كتيبة مشاة هجومًا مضادًا ودارت معركة عنيفة في المزرعة الصينية «قرية الجلاء» ، وكاد هذا الهجوم المدعم بالقوات الجوية يقضي على قوة العبور الإسرائيلية وعزلها عن باقي القوات ، ولم ينقذ الموقف إلا وصول قوات مدرعة إسرائيلية جديدة بقيادة برن ، وتمكن جزء منها من العبور وتأمين رأس الكوبري في الدفرسوار ..

يوم ١٧ أكتوبر ونيران الإيقاف الصندوقية في المواجهة وعلى أجناب إحدى كتائب اللواء ١٦ مشاة قيادة المقدم أ . ح / حسين طنطاوي (في ذلك الوقت) تمكنت من إيقاع أكبر الخسائر بقوات العدو الإسرائيلي وتمسكت بمواقعها الدفاعية .

اختراقات دفاعات اللواء ١٦ مشاة :

يقول اللواء عباس منصور : بعد فشل معركة اللواء المدرع الإسرائيلي المدعم بالمدفعية مع كتيبة المشاة عاودت القيادة الإسرائيلية تنفيذ الهجوم مرة أخرى وفعلًا سعت ٥٠٠ يوم ١٧ أكتوبر دفعت لواء بالكامل عدا كتيبة ، حيث هاجمت من الجانب الأيمن للكتيبة المدافعة نفسها ،

وظلت الدبابات الإسرائيلية في مواجهة الجانب الأيمن تطلق نيرانها على المواقع الدفاعية للكتيبة من مسافة ١٠٠٠ متر .. ووجهت القيادة الإسرائيلية هجومًا آخر في نفس الوقت بكتيبة دبابات على الجانب الأيسر لكتيبة المشاة ، وصدرت أوامر قائد مدفعية الجيش الثاني الميداني العميد / أبو غزالة بتخطيط نيران إيقاف صندوقية على الجانبين ، وفي مواجهة كتيبة المشاة ، تم تكرار القصف ، حيث كانت نيران المدفعية مؤثرة مما نتج عنها إيقاف الهجوم وصمود دفاعات كتيبة مشاة .. ومع أول ضوء بدأت المدفعية المصرية تقذف المزرعة الصينية ، وعلى الشاطئ الشرقي كان اللواءان المدرعان الإسرائيليان اللذان بدآ العملية يوم الإثنين ما زالا يقاتلان معركة غاية في الشراسة ، وبكل المقاييس العسكرية المعروفة كانت محاولة إرئيل شارون إنشاء رأس كوبري مأساة ومخاطرة ، ورغم أنه بدأ هجومه بقوة فرقة مدرعة ، فإنه لم يتمكن خلال معركة مدتها ١٦ ساعة إلا من عبور ما لا يزيد عن كتيبة مدعمة بعدد محدود من الدبابات ، ولم يكن هناك كوبري قد أنشئ ، ونتيجة قصف المدفعية المصرية فقد فشل المهندسون عدة مرات في إنشاء الكوبري وتأخر إنشاؤه أكثر من ١٢ ساعة .. وإذا نظرنا إلى كمية النيران التي ألقتها مدفعية الجيش الثاني الميداني بقيادة العميد أبو غزالة على مثلث الطاسة ــ البحيرات ــ الإسماعيلية فإن الموقف لم يكن يعطي أي بادرة أمل في نجاح الجانب الإسرائيلي .

ضرب المعبر .. وطلب القائد الإسرائيلي إيقاف عملية العبور أكثر من مرة:

ويستكمل اللواء عباس منصور ويقول : نتيجة استطلاع اللاسلكي على مستوى القيادة العامة أبلغتنا إدارة المدفعية بإحداثي المعبر وطلبت فتح النيران عليه ، وكانت النتائج باهرة ، حيث أبلغنا العميد أبو غزالة بسعادة مدير المدفعية ، حيث إن نتائج استطلاع لاسلكي تؤكد أن الضرب كان مؤثرًا جدًا على قوات العدو ، وأن قائد القوة القائمة بالعبور يبلّغ أنه يواجه مقاومة شديدة من نيران المدفعية ،

وأحدثت به خسائر جسيمة ، ويطلب إيقاف عملية العبور ، وقد تكررت هذه العملية ، ولقد التقطت عدة محادثات بين القائد الإسرائيلي والقيادة العليا يطلب فيها إلغاء العملية لجسامة الخسائر التي تكبدها ، وتحدثت إليه القيادة العليا ترجوه الثبات ، وتقول له: إن مستقبل إسرائيل متوقف على نجاح هذه المغامرة ..

المناورة بنيران المدفعية من الشرق .. على قوات العدو بالثغرة

وينهي اللواء منصور ذكرياته قائلًا : لابد أن أشيد بنيران وحدات المدفعية بالشرق وبالتحديد لواء مدفعية / الفرقة الثانية مشاة من محور شمال الإسماعيلية شرقًا على قوات العدو الموجودة بالثغرة بالغرب على محور جنوب الإسماعيلية مع تغيير وضع المدافع ١٨٠ درجة لتحقيق هذه المهمة بالتعاون الوثيق مع وحدات المدفعية الموجودة بالضفة الغربية حول الثغرة .

لقد كانت كفاءة وحدات مدفعية الجيش الثاني وقواتها مفاجأة للعدو ، كما أن نجاح رجال المدفعية في استخدام الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات (المالوتيكا) كان مذهلًا للعدو وجعل دباباته حطامًا .



الفصل السادس

حرب أكتوبر في عيون رجالها

حرب أكتوبر كانت بالفعل أداءً وإنجازًا من أروع وأشرف وأعظم ما يكون ..

حرب أكتوبر كانت عدة معارك مذهلة، وليس معنى أننا خسرنا معركة مثل معركة الثغرة، أننا خسرنا الحرب، إطلاقًا.. فمصر بكل المقاييس كسبت هذه الحرب، وحرب أكتوبر – كما هي غايات الحروب – غيرت الموقف الإستراتيجي والسياسي في كل المنطقة ..

من كلمات المشير أبو غزالة

حرب أكتوبر كما يتذكرها المشير أبو غزالة

يتذكر المشير أبو غزالة يوم السادس من أكتوبر [٣٦] ومن أرشيفه الصحفي يقول : «كنت في ذلك اليوم قائدًا لمدفعية الجيش الثاني أقود ٢٢٢٢ مدفعًا .. وكان لي شرف أن تكون أول أسلحة التعامل مع العدو في اللحظة نفسها التي كانت فيها طائراتنا قد عبرت القناة وبدأت تتعامل مع أهدافه ، فالتنسيق رائعًا في هذا اليوم بين وصول طائراتنا إلى أهدافها وصب قنابلها وصواريخها فوقها وانطلاق الـ ٢٢٢٢ مدفعًا في لحظة واحدة ، إن الطائرات عبرت القناة فوق رؤوسنا في تمام الساعة ١٤٠٤ بلغة العسكريين ، أي الثانية وأربع دقائق ، كانت الطائرات قد بلغت أهدافها وكانت مدفعيتنا تفتح فوهاتها لتصب طلقاتها فوق أهداف تختلف أعماقها من كيلو متر واحد إلى ٢٧ كيلو مترًا» .

*** وعن أكثر اللحظات سعادة في أكتوبر يقول :**

«في الواقع كانت هناك أكثر من لحظة سعادة ، ومن المؤكد أن من أسعد هذه اللحظات عندما أعطيت الأمر لمدفعية الجيش الثاني ببدء التمهيد النيراني ، هذه في رأيي كانت أسعد لحظة لي في هذه الحرب .. ومن ثم فإنني أتذكرها ليس بالساعة فقط ، بل بالدقيقة .. كانت الساعة الثانية وأربع دقائق ونصف الدقيقة بعد ظهر السبت ٦ أكتوبر ٧٣ ، كان قد مر فوقنا بنصف دقيقة آخر فوج من أفواج الهجوم الجوى ، وبدأنا انسجامًا وتنسيقًا معه نطلق مدافعنا ..

كان لدى في مدفعية الجيش الثاني ٢٢٣٨ قطعة مدفعية اشتركت جميعها في الضرب فيما عدا عددًا قليلًا جدًا (١٦ قطعة) .

(٣٦) مجلة أكتوبر مايو ١٩٨٣ . صبري أبو المجد .

اللحظة السعيدة الأخرى التي أتذكرها كانت يوم ١٩ أكتوبر عندما زاد الضغط على الفرقة ١٦ مشاة لأنها تعرضت لاختراق من جانب إسرائيل بما نسميه عسكريًا رأس كوبري ، كان بيني وبين قائد مدفعية هذه الفرقة .. اللواء عبد العزيز الجوهري .. (مدير المدفعية فيما بعد) .. اتصال لاسلكي مفتوح استطاع من خلاله أن يحدد لي وصفًا للاقتحام الإسرائيلي الذي كان يتم بدبابات عددها كبير ، وكان على قائد هذه الفرقة أن يحدد لي لحظة إطلاقي النيران على هذه الدبابات ..

وفجأة انقطع الاتصال بيني وبين قائد الفرقة ١٦ مشاة ، يمكن دقيقة أو أكثر مرت عليّ سنة ، أو كأنها الدهر كله ، خُيِّل إليّ أن الموقع سقط وانتهى وأن كل الذين فيه ماتوا ، طبعًا لم أكن أرى الموقع ، وبالتالي كانت عملية إطلاق نيران مدفعيتي مغامرة كبيرة ؛ إذ كان هناك احتمالٍ أن تسقط هذه النيران على قواتنا ، ولكن مع مرور الثواني البطيئة الطويلة جدًا دون أن أسمع أي صوت عبر الاتصال اللاسلكي قررت المغامرة وأصدرت الأمر إلى ٢٥٠ مدفعًا كانت تحت قيادتي أن توجه طلقاتها إلى موقع لا يتجاوز عرضه ٦ كيلومترات

ويسترجع الأحداث قائلًا :

في لحظة إطلاق النار سمعت صوت عبد العزيز الجوهري في اللاسلكي يصرخ قائلًا: أضرب يا افندم .. أضرب يا افندم .. .. ويواصل روايته قائلًا : قلت له : بسرعة.. الطلقات في طريقها إليك .. الجملة طلعت دون أن أعرف سببًا لقولي هذه الكلمات لأنه في العلم العسكري ليس لدينا بلاغ بهذا المعنى ولكن بالفعل هذا ما حدث . وقبل أن أستعيد تفكيري فيما قلته سمعت صوتًا يهتف عبر جهاز اللاسلكي «الله أكبر .. الله أكبر» وكانت العبارة أقوى من أي وصف لأن الذي حدث أن النيران نزلت تمامًا فوق الدبابات الإسرائيلية ودمرت عددًا محترمًا .. أتذكر أنه إما ٢٢ أو ٢٤ دبابة وبقية اللواء الذي كان مشتركًا في الهجوم الإسرائيلي ارتد في ذعر ويأس وتحول الموقف من موقف بائس إلى موقف انتصار [٣٧] .

ويسترجع الأحداث ويكمل قائلًا :

ربما لم يكن هناك متر من تلك المنطقة لم تسقط فيه قذيفة ، ورغم ذلك لم يرتد جندي مصري منهم إلى الخلف .. لقد تصورت أن المصريين ربطوا الجنود بسلاسل في الأرض ، ولكن كانت المفاجأة عندما نجحت دبابة أو اثنتان في اختراق ذلك الخط ، كنت تجد ذلك الجندي المصري يستدير لكي يدمرها بقذيفة «آر . بي . جي » أو مقذوف مدفعية مضادة للدبابات [٣٨] ..

(٣٧) حديث في مجلة أكتوبر مايو ١٩٨٣ . صبري أبو المجد .

(٣٨) المرجع السابق .

المشير أبو غزالة لم ينس جنوده وضباطه ، ودائمًا كان يفخر بما أنجزوه من بطولات وأعمال في غاية الروعة .. ومن بعض نماذج البطولات يقول المشير أبو غزالة (٣٩) .

مثلًا بطولات إحدى كتائب الفرقة ١٦ مشاة ، هذه الكتيبة كانت في يمين الجيش الثاني وقد تحملت ضغط القوات الإسرائيلية التي كانت تعمل من أجل وقوع الثغرة وظلت هذه الكتيبة تقاوم ببسالة ثلاثة أيام كاملة .

وكذلك كتيبة الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات التي دفعت لرأس كوبري الفرقة الثانية مشاة لكي تتقدم في اتجاه منطقة عرام ، وكذلك الأداء البطولي للرائد صلاح حواش الذي استشهد ـ يرحمه الله ـ هذا بالإضافة إلى من أطلق عليهم قناصو الدبابات مثل عبد العاطي ومصطفى في كتيبة صلاح حواش ، والملازم ثان أحمد شرف الذي لم تكن معه سوى ثماني قطع صواريخ موجهة، ووصل عندنا وكانت الثغرة في بدايتها ، وقد كلفته بأن يذهب ويحتل منطقة جنوب ترعة الإسماعيلية ، وقد استطاع هذا الضباط وحده بدون دبابات أو مشاة سوى بالعناصر القليلة التي كانت معه أن يقاتل بشجاعة وأن يصمد وأن يحول دون احتلال الإسرائيليين للإسماعيلية ، وكذلك مجموعة الصاعقة التي دخلت منطقة أبو جاموس ، وبدأت تعمل عند جبل مريم ، وعين غوصين وقد قاتلت تلك المجموعة لواء مشاة إسرائيلي كاملًا ، وأوقفته .. والبطولات كثيرة تبعث على الفخر والاعتزاز» .

(٣٩) المرجع السابق.

وكما تحدثنا عن البطولات ، وجب أن نشير إلى الأحداث والثغرة ، لأننا لا نستطيع أن نتحدث عن حرب أكتوبر دون المرور عليها ، خاصة أن البعض يقلل من انتصار أكتوبر بسبب حدوثها .. المشير أبو غزالة كان له رأي فيها وسنعرفه في السطور التالية ..

رأي المشير في الثغرة:

المشير أبو غزالة أكد على وجود أخطاء لا ننكرها .. ويجسدها في خطأين أساسيين والباقي أخطاء يمكن أن تحدث في كل جيوش العالم .. بمعنى أنه في كل الجيوش يجوز مثلًا قائد سرية أو سرية لم تقاوم كما يجب ؛ فهذه لا تعتبر أخطاء وإنما ظروف .. ومن أهم هذه الأخطاء في رأيه [٤٠] :

أنه بعد الثغرة كانت الجيوش الميدانية قد دفعت احتياطاتها الموجودة في الشاطئ الغربي للقناة بأوامر من القيادة العامة للتخفيف من الضغط الذي كانت تواجهه سوريا في ذلك الوقت .. وعن رأيه في موضوع دفع هذه القوات للتخفيف عن سوريا يقول : كان من الممكن تلافيه ، وكان من الممكن الاحتفاظ بهذه القوات القوية المدرعة غرب القناة ، ولم تكن تحدث الثغرة إطلاقًا ، لأن نجاح هذه الثغرة كان يقتضي أولًا نزولًا للقوات الإسرائيلية في مكان على الشاطئ الغربي لا وجود للقوات المصرية فيه ، وهذا ما كشفته لهم طائرات وأقمار الاستطلاع بخلو المنطقة التي نزلوا فيها من أية مقاومة مصرية والوثائق الإسرائيلية التي نشرت تقول معلوماتها إن المنطقة التي اختاروها بعمق ٤٠ كيلو مترًا خالية من القوات المصرية ..

(٤٠) صلاح منتصر . مجلة أكتوبر في أكتوبر ١٩٨٢ .

ويضيف قائلًا : مع هذا أمكن للقوات المسلحة ، وهذا إحقاقًا للحق وللقيادة العامة أن تلافى بعد ذلك ما حدث في خلال ٤٨ ساعة التي مضت بأن بدأت محاصرة الثغرة .

ربما كان من أخطائنا أيضًا احترامنا قرار وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر وتصورنا أن الآخرين سيحترمونه ، الثغرة كانت في ذلك الوقت صغيرة ولم تكن وصلت لمؤخرة الفرقة السابعة والفرقة الـ ١٩ مشاة ولكنهم بكل أسف استغلوا قرار وقف إطلاق النار في توسعة الثغرة بسرعة شديدة ..

*** لا توجد حرب بلا أخطاء .. ولكنها أخطاء لا تقلل من النصر الكبير الذي تحقق في أكتوبر.**

أبو غزالة يؤكد أنه لولا خروج الخبراء الروس من مصر . ما تحقق النصر

في أحد الأحاديث الصحفية سُئل المشير أبو غزالة : هل لو بقى الخبراء السوفييت في الجيش المصري كانت حرب أكتوبر ستنتهي بالنتائج التي انتهت إليها [٤١] ..

وأجاب قائلًا : ..

ــ لو كانت وقعت هذه الحرب والخبراء السوفييت في القوات المصرية لكان أول ما سيقال: إن هؤلاء الخبراء هم الذين قادوا الحرب .. وكانوا هم سينالون أية انتصارات تتحقق ، بينما القيادات المصرية وحدها كانت هي التي ستتحمل كل ما يقع من أخطاء ، ولكنني أشك أن الحرب كانت ستتم أصلًا لو لم ينه الرئيس السادات مهمة السوفييت ، ربما لأن وجودهم في القوات المصرية كان يملى عليهم تقدير أن وقوع أي حرب قد يؤدي إلى صدامهم مع أمريكا ،

(٤١) صلاح منتصر . مجلة أكتوبر في أكتوبر ١٩٨٢ .

على اعتبار أنها القوة العظمى التي تساند إسرائيل ، وهذا طبعًا يؤثر كثيرًا على أي قرار يتخذونه .. هذا بالإضافة إلى شكهم في نجاحنا في العبور وقد سمعنا هذا منهم وقد سمعته بنفسي من جنرال سوفييتي كان يعمل معي اسمه (سيرجى) ومن عدد آخر من خبرائهم ، فعندما كنا نحلم بالعبور أمامهم كانوا يحذروننا من أننا لو فكرنا في مثل هذا ، فإن اللون الأزرق لمياه القناة سوف يتحول إلى لون أحمر من كثرة دماء المصريين الذين سوف يلقون نهايتهم في هذه المياه ، وكانوا يقولون لنا : إذا عبرتم فستواجهون بمشكلة أكبر من أن تحلوها لأن الساتر الذي أمامكم رهيب جدًا وأنتم في حاجة لأسلحة نووية حتى تستطيعوا اجتيازه

وسئل سؤالًا آخر عن خطة العبور ، وهل لم يبدأ وضعها إلا بعد خروج الخبراء السوفييت .. فأجاب قائلًا [٤٢] :

في وجودهم وضعت خططًا ، لكنها لم تكن هجومية بالمعنى الشامل لكل القوات ، وإنما كانت خطط الهجوم في أيامهم لعمليات إغارة محدودة ، تدخل في إطار حرب الاستنزاف ، ومع الخبراء السوفييت أجرينا مشروعات تدريبية على أعمال هجومية كانت كلها محدودة ، أما خطة الهجوم الإستراتيجي الشاملة لكل القوات المسلحة فلم يتم وضعها إلا بعد خروج السوفييت ، والذين وضعوا هذه الخطة كلهم من المصريين ..

حرب أكتوبر في عيون القادة

نترك كلمات المشير الراحل البطل أبو غزالة ، ونتجه لقادة آخرين سُجلت كلماتهم في لقاءات إعلامية وكتابات وأوراق كتبت عن حرب أكتوبر نختار منها :

(٤٢) صلاح منتصر . مجلة أكتوبر في أكتوبر ١٩٨٢ .

* كلمات للمشير محمد حسين طنطاوي ، القائد العام للقوات المسلحة وزير الدفاع والإنتاج الحربي السابق الذي يقول في حوار تليفزيوني مع الصحفي مفيد فوزي أذيع خلال احتفالات أكتوبر ١٩٩٤ :

«كانت المزرعة الصينية في اتجاه المحور الرئيسي الذي ركز فيه الإسرائيليون هجومهم للعبور في اتجاه غرب القناة ، وقد دارت معارك كبرى ليس على مستوى كتيبة المشاة فقط ، ولكن على مستوى الفرقة ١٦ مشاة ، كانت معارك على أعلى مستوى[٤٣] [٤٤] ..

مع أول ضوء للنهار كانت أصوات الطائرات تملأ المكان ، عندما علمت ــ أنا قائد كتيبة المشاة ــ التي كانت تعمل في النسق الأول بوجود أفراد قوات من العدو (من لواء المظلات الإسرائيلي) تتقدم في اتجاه الكتيبة ومع أول طلقة إشارة ضوئية من سلاحي الخاص ، اندلعت نيران كل أسلحة الكتيبة على العدو والمجموعات التي كانت تقاتل قاتلت كما يجب أن يكون القتال» .

وأضاف قائلًا : «استغرقت المعركة نحو ساعتين ونصف الساعة ، ومن حسن حظ القوات الإسرائيلية أن الضباب جعل تركيز النيران عليهم في الصباح ليس بالكفاءة الكافية .. مما أمكنهم من سحب خسائرهم ، وبعض من تبقى على قيد الحياة .. كان كل همي في هذه المعركة ألا يرجع أي فرد إسرائيلي جاء للموقع .. والحقيقة ــ كما ذكرت ــ أن المجموعات التي كانت تقاتل قاتلت كما يجب أن يكون القتال» ..

(٤٣) المقدم محمد حسين طنطاوي قائد كتيبة مشاة في حرب أكتوبر / نقلًا عن اللواء عباس منصور .
(٤٤) حرب أكتوبر ١٩٧٣ مذكرات محمد عبد الغني الجمسي ــ الطبعة الثانية عام ١٩٩٨ .

يقول لواء محمد عبد الغني الجمسى ، رئيس هيئة العمليات بحرب أكتوبر ١٩٧٣ في مذكراته : «في الوقت نفسه الذي كانت قواتنا الجوية تهاجم أهدافها في عمق سيناء ، كان هناك أكثر من ٢٠٠٠ مدفع على طول جبهة القناة من مختلف الأعيرة ومجموعة من الصواريخ التكتيكية أرض ـ أرض تفتح نيرانها ضد الأهداف الإسرائيلية في حصون بارليف ، وما خلف هذا الخط من مواقع دفاعية ومواقع المدفعية ، واستمر القصف لمدة ٥٣ دقيقة وكان معدل قصف النيران شديدًا ، بحيث سقط على المواقع الإسرائيلية في الدقيقة الأولى ١٠٥٠٠ دانة مدفعية بمعدل ١٧٥ دانة في الثانية الواحدة» ..

ننتقل لشهادة أخرى للمدفعية وسجلها الحافل وهي شهادة للمؤرخ العسكري المصري جمال حماد والذي يقول : «في الساعة الثانية وخمس دقائق بدأت ٢٠٠٠ قطعة مدفعية وهاون ولواء صواريخ التكتيكية أرض ـ أرض التمهيد النيراني الذي يعد واحدًا من كبرى عمليات التمهيد النيراني في التاريخ ، وقد قام بالتخطيط له اللواء محمد سعيد الماحي مدير المدفعية ، واشتركت فيه ١٣٥ كتيبة مدفعية وعدة مئات من مدافع الضرب المباشر ، كانت تتبع العميد محمد عبد الحليم أبو غزالة قائد مدفعية الجيش الثاني ، والعميد منير شاش قائد مدفعية الجيش الثالث .. وفي الساعة الثانية وعشرين دقيقة كانت المدفعية المصرية قد أتمت القصفة الأولى من التمهيد النيراني التي استغرقت ١٥ دقيقة والتي تركزت على جميع الأهداف المعادية التي على الشاطئ الشرقي للقناة إلى عمق يتراوح بين كيلومتر واحد وكيلو متر ونصف الكيلو متر في اتجاه الشرق وفي اللحظة التي تم فيها رفع نيران المدفعية لتبدأ القصفة الثانية لمدة ٢٢ دقيقة على الأهداف المعادية إلى عمق يتراوح ما بين ١ ، ٥ ، ٣ كيلومترات من الشاطئ الشرقي للقناة ، في هذه اللحظة بدأ عبور الموجات الأولى في القوارب الخشبية والمطاطية» .

ويقول كل من اللواء حسن البدري ، وطه المجدوب وعميد أركان حرب ضياء الدين زهدي في كتابهم حرب رمضان [٤٥][٤٦] : «وتوالت البلاغات عن مدى تأثير النيران ، والخسائر التي أحدثتها بالعدو ، وعن نجاح المدفعية في فتح جميع الثغرات المخططة في موانع الأسلاك الشائكة والألغام ، على الميل الأمامي . للساتر الترابي وحول النقط القوية والحصون والقلاع المعادية ..

في الساعة ١٤٢٠ بدأت الموجة الأولى لقواتنا في عبور القناة ، ومعها أسلحتها الخفيفة .. ورافق المشاة في اقتحامها ضباط ملاحظة المدفعية ووحدات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات وفي اللحظة نفسها كانت صواريخنا التكتيكية تشق عنان السماء بأمر فوري من مدير المدفعية لتصيب أهدافها عن عمق سيناء وتحيلها إلى دمار .. وكانت تلك أول ضربة بالصواريخ التكتيكية في تاريخ الشرق الأوسط ..

لقد نفذ التمهيد النيراني كما خطط له بالضبط .. وكانت نتائجه أكثر مما نأمل .. إلى درجة أنه لم تتمكن دبابة معادية واحدة من صعود الساتر الترابي واحتلال المصاطب الجاهزة به لتوقف عبور قواتنا ، واستمرت نيران المدفعية تزحف أمام القوات الأخرى التي تابعت توسيع رؤوس الكباري، وذلك بفضل ضباط ملاحظة المدفعية الذين عبروا مع الموجات الأولى لقواتنا ، وكذا جماعات ملاحظة المدفعية التي كانت تعمل خلف خطوط العدو والتي انتشرت مع بداية المعركة على طول مواجهة وعمق العدو ، لإدارة نيران المدفعية على أبعد مدى ممكن» .

(٤٥) كتاب حرب رمضان .. الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة لكل من اللواء حسن البدري ، وطه المجدوب والعميد أركان حرب ضياء الدين زهدي ـ طبعة عام ١٩٧٤ .

(٤٦) سعيت أكثر من مرة لمقابلة اللواء ضياء الدين زهدي ، لأنه الوحيد الذي على قيد الحياة ممن كتبوا هذا الكتاب ، ولأني أعرف أنه كان صديقًا للمشير أبو غزالة وزميلًا في الدراسة بروسيا ، وقام بتأليف عدد من الكتب ، ولكني للأسف لم أتمكن من تسجيل شهادة رغم موافقته نظرًا لمرضه .

في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ وفي مناظرة أجراها التليفزيون البريطاني B.B.C مع الجنرال إيريل شارون عن معركة المزرعة الصينية قال : «إنني لن أنسى قتال الجنود المصريين في الفرقة ١٦ مشاة في منطقة المزرعة الصينية .. شرق القناة ، لقد استخدمت القوات الإسرائيلية جميع وسائل النيران المتيسرة لديها ، حتى حولنا هذه المنطقة إلى جحيم .

شهادات حية ومقابلات لأبطال شاركوا في صنع النصر

شهادات من رجال القوات المسلحة وأبناء مصر الأبرار سجلتها بكل أمانة ودقة .. نبدؤها برئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق .. الفريق عبد رب النبي حافظ .. قائد الفرقة الـ ١٦ مشاة حرب أكتوبر والذي يقول : «حرب أكتوبر من الفترات الحاسمة في تاريخ القوات المسلحة خاصة ، وتاريخ مصر عامة ، ومن المواقف التي لا تُنسى ، يوم ١٠ أكتوبر. كان فيه تركيز العدو على الفرقة الـ ١٦ بعد هجوم يوم ٩ أكتوبر الذي كان يهدف إلى الوصول إلى القناة وبعد نجاح الفرقة في صد الضربة المضادة بالاحتياطي التعبوي . حضر إلينا العميد أبو غزالة وتولى بنفسه إدارة النيران من مركز القيادة المتقدم يوم ١٠ أكتوبر مساءً ، وحتى يوم ١١ أكتوبر صباحًا يدير نيران مدفعية الجيش الثاني من مركز ملاحظة الفرقة الـ١٦» .

يقول اللواء محسن حمدي ، مساعد وزير الدفاع سابقا : «كنت أسمع عن العميد أبو غزالة وهو قائد لمدفعية الجيش الثاني الميداني .. وفي حرب ٧٣ لقبته بأبي المدفعية» .

التحضير النيراني قبل العبور ليس له مثيل في التاريخ ، ٢٠٠٠ مدفع تقريبا تضرب في لحظة واحدة ، تصب جحيم النيران على سيناء قبل العبور .. ضرب غير عشوائي ، حسابات .. تدقيق وتخطيط وأهداف ومسافات وكمية ذخيرة نوع الذخيرة .. ضرب على خرسانة أو موقع وتوجيه وضرب رادار ودراسة موقف أي اتجاه يتم قصفه ..

خطة المدفعية كانت بارعة وهي أساس العبور .. جندي المشاة لا أستطيع أن أطلب منه دخول سيناء والعدو أمامه كان لابد من تثبيت العدو أمامه .. وبالتالي المدفعية ثبتت كل شيء .. تثبيتا نيرانيا .. ولذا أعتبره ملك المدفعية في الحرب» ..

اللواء حسني سليمان ، مدير المدفعية الأسبق ورئيس أركان مدفعية الفرقة الثانية ، والذي عمل طويلًا مع أبو غزالة يقول : «أثناء قيادة العميد أبو غزالة لمدفعية الجيش ، لم أكن معه ، ولكني أعرف أنه اشترك في التخطيط لعمليات ١٩٧٣ .. وكان ضمن المجموعة التي خططت للعملية والتي نفذت في الحرب .. كانت هذه المجموعة برئاسة اللواء الجمسي رئيس هيئة العمليات ، واللواء الماحي مدير إدارة المدفعية وعدد من القيادات ، واختاروا مجموعة من الضباط في الجيوش والقيادة لمشاركتهم في التخطيط ، وتم اختيار مجموعة منتقاة ، للحفاظ على عامل السرية ، وكان العميد أبو غزالة من هؤلاء الضباط المختارين .. العميد أبو غزالة كان له نشاط غير عادي في الجيش .. في عمليات الإعداد والتخطيط قام بدور كبير وفي عملية تجهيز المواقع للضرب المباشر وتدريب الوحدات وتجهيزها للحرب» .. وينتقل بنا الحديث لمواقف أخرى وذكريات عطرة مع اللواء عبد المنعم خليل الذي تولى قيادة الجيش الثاني في أعقاب حدوث الثغرة ، ويقول :

«عندما عُينت قائدًا للجيش الثاني الميداني في يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ .. كان أبو غزالة قائدًا لمدفعية الجيش الثاني ، وأول يوم وصلت فيه ذهبت مباشرة إلى غرفة عمليات الجيش وجدته ــ أبو غزالة ــ يتابع الموقف بنفسه وأخذته بالأحضان وكان لقاءً رائعًا ــ كعشرة قديمة ــ ولكن في يوم صعب للغاية .. الثغرة كانت من الأيام العصيبة عليّ وعلى كل أفراد القوات المسلحة والجيش الثاني ، خاصة بعد تطور الأمور وزيارة الفريق الشاذلي للقوات في الجيش الثاني ، ويوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ قابلتنا متاعب كثيرة جدًا في الجيش الثاني .. فقد قام الإسرائيليون بتركيز الطيران وضرب منطقة الإسماعيلية ودمروا الكباري على الترعة الحلوة .. وتوقعت أنهم سيقومون بهجوم لاقتحام الإسماعيلية من عدة اتجاهات وطلبت من محمد أبو غزالة أن يركز المدفعية على هذه المنطقة ، وطلبت منه أيضًا أن يطلع حتى الكوبري العلوي الموجود جنوب الإسماعيلية والذي كان بمثابة المفتاح الذي يرغب الإسرائيليون في الوصول إليه ، ومن خلاله يتمكنون من إحداث كوارث وخسائر كثيرة لنا .. وفعلًا ذهب هناك وعمل نقاط ملاحظة وبدأ يضرب بالمدفعية واتصل بي ، وفي تلك اللحظات كان العدو فعلًا بدأ الهجوم ، ولولا وجود قوات الصاعقة التي وضعناها وقيامها بتدمير القوات القادمة للعدو لحدثت خسائر فادحة .. وأخذ أبو غزالة يركز في ضرب القوات الإسرائيلية المتقدمة التي سوف تأتي بعد ذلك ، وفعلًا قام بذلك وركز المدفعية ولم يستطيعوا الاقتراب ..

عند حدوث الثغرة أخذت أذكر أبو غزالة عندما كنا في منطقة الدفرسوار ومناطق تجمع الإسرائيليين والتي ينامون فيها واستنتجنا تواجدهم بها أيضًا في هذا الوقت ، وقلت له: اضربهم وركز عليهم ، وفعلًا قام بضرب هذه الأماكن وحققنا إنجازًا رائعًا رغم أننا لم نكن نشاهدهم ولم توجد نقاط ملاحظة لدينا ولكنه استنتاج ومعرفة سابقة للمنطقة ولما سوف يفعله العدو ويختبئ فيه» .

وأشهد للتاريخ ، أنه لولا المدفعية ودور العميد أبو غزالة في صد الهجمات المضادة التي قام بها الإسرائيليون على قواتنا في الثغرة لكانت نسبة الخسائر لنا فادحة» .. وننتقل لشهادة أخرى ..

يقول اللواء على هيكل ، قائد إحدى كتائب الصاعقة خلال حرب أكتوبر :

«بدأت معرفتي بالمشير أبو غزالة في ميدان القتال ، أثناء حرب أكتوبر جمعنا مركز قيادة واحد، كان هو قائد مدفعية الجيش الثاني وأنا قائد لمجموعة الصاعقة التي كانت تتشكل من أربع كتائب، تقوم بالعمل من بور سعيد حتى الدفرسوار وفي العمق حتى خمسين كيلومترًا ، خلال عمليات معينة ما بعد عبور قوات إسرائيلية لغرب القناة .. أبو غزالة كان دارسًا على مستوى عال في العلوم العسكرية الإستراتيجية ، وأيضًا على المستوى السياسي كان على خبرة جيدة بالجيش الثاني ، لأنه خدم في منطقة جنوب الإسماعيلية عندما كان قائدًا في الفرقة الثالثة ومدفعية الجيش ، و «مذاكر» جيدًا لقطاع الجيش الرئيسي «الفرقة الـ ١٦ والفرقة الثانية» ، في الوقت نفسه كان يعرف الأرض جيدًا ومن السهل جدًا التعامل مع أي هدف أثناء التخطيط أو أثناء القتال الفعلي ..

عندما نتكلم عن قائد مدفعية الجيش الثاني نجد أن كل أسلحة الضرب المباشر هو الذي يخطط لها ، أي أن كل مدفع يضرب مباشرة الهدف أمامه حتى ولو دبابة أعدت لضرب هدف غير مباشر أو صاروخ مضاد للدبابات أو مدفعية مضادة للدبابات .. علاوة على ذلك يخطط لجميع المدفعيات للضرب غير المباشر وكنت أراه وهو في القيادة يستخدم ١٢ كتيبة مدفعية في وقت واحد وهذا رقم مهول ، ليس موجودا عند الإسرائيليين أنفسهم ولا يمكن أن يتوفر عندهم في قطاع واحد مثل الذي كان فيه .. وأشهد أنه برغم كونه قائد مدفعية الجيش ، فإنه في كثير من الأوقات كنا نجده في الحد الأمامي من الجيش ،

كنت أزور الفرقة الـ ١٦ لمتابعة دوريات خاصة لنا في العمق ولتنسيق أعمال هناك .. ورأيته يضرب أهدافا ويبلغ بنفسه شخصيًا مدفعيات قياداته بجوار قائد الفرقة الـ ١٦ العميد عبد رب النبي حافظ ، وكنت أشاهده بنفسه يطلب المدفعية ..

ما زلنا مع اللواء هيكل والذي يقول : «من أغرب ما لمسته في شخصية المشير أبو غزالة . قدرته العظيمة على حفظ الأرقام ، كنت أشاهده يضرب أهدافا لها أرقام معينة على الخريطة ، ويتذكرها جيدًا وأيضًا عندما كنت أطلب أي رقم تليفون يعطيني إياه دون تفكير .. أبو غزالة كان ينزل للخط الأمامي بشجاعة ودون خوف .. على الرغم من أن كثيرا من القادة يلتزم بوجوده في مركز القيادة» ..

أذكر أن العميد أبو غزالة قائد مدفعية الجيش الثاني الميداني يوم ١١ أكتوبر كان يزور الفرقة الـ١٦ والفرقة الـ١٨ في يوم واحد وشاهد وأعطى ملاحظاته على الواقع ..

عندما بدأ العدو في اختراق منطقة الدفرسوار ، قدم إلينا الفريق سعد الدين الشاذلي ليقود أعمال الجيش الثاني الميداني في هذه الفترة الصعبة أتذكر أنه تقريبًا يوم ١٨ أكتوبر جمعنا رئيس أركان حرب القوات المسلحة في الإسماعيلية لسماع تقارير الرؤساء وأفكارهم لمواجهة الموقف .. وقدم العميد أبو غزالة كلمة بوصفه قائدًا لمدفعية الجيش ، وأذكر أنه طبقًا لدراساته وخبرته وضع أفكارًا على مستوى تعبوي .. واقترح ألا ندفع بقوات صغيرة في مواجهة عدو لا نعرف قوته وواضح أنه يستطيع هزيمة هذه القوات الصغيرة ..

كان العدو له مدرعات مؤثرة ، ولديه تفوق جوى كاسح ، فكان يستطيع أن يهزم هذه القوات الصغيرة ، كان يقول عند حدوث أي هجوم لا بد أن نوقف العدو ، ويوم ١٨ ، قال: إنه من وجهة نظره حتى نوقف تقدمهم لا بد أن نوقفهم في منطقتين «حيويتين» هما عند تقاطع أبو سلطان طريق المعاهدة ثم تقاطع سرابيوم طريق المعاهدة ، ولو تمكنا من ذلك سيكون العدو تحت أيدينا ، هو في الموقع الأسفل ونحن في الموقع الأعلى .. ما يخصني معه ، كان عندي حوالي كتيبة ونصف الكتيبة في أبو سلطان ، كنا نقاتل يوم ١٧ أكتوبر ، وفي يوم ١٨ أكتوبر بدأت قوات العدو في الضغط بقوة على الكتيبة الموجودة في المنطقة ، وكان لي كتيبة أخرى في سرابيوم ، قائد الكتيبة طلب في أوقات كثيرة معاونته بالمدفعية لضغط العدو عليه وخسائره التي تتزايد ، وكنت أطلب المدفعية مباشرة من أبو غزالة فكان يقول : «حاضر يا هيكل حدد لي المكان ..» وقد كان جهاز اتصالي مع قائد الكتيبة مباشرة وعندما يزيد الطلب مني كنت أوصل الجهاز لقائد الكتيبة يشرح له الموقف ويحدد الهدف الذي يريد ضربه ، بعد ذلك أطلب قائد الكتيبة علاء الصاوي ، فيقول: تمام قدرنا نوقفهم ، وبعد انتهاء الضرب يطلب مدفعية أخرى وأطلب أبو غزالة فيقول لي : «يا هيكل نحن اليوم نضرب في مواجهة جيش كامل ، الذخيرة في تناقص» ، فأعده بأنها آخر مرة ولكن ليس أمامي أي فرصة ولا أستطيع سحب القوات في النهار وأعده بأنني سأسحبها في الليل ، ويقول لي آخر مرة يا هيكل .. ورغم ذلك لو طلبت مرة أخرى لا يتأخر . والواقع أن مدفعية الجيش كانت مؤثرة جدًا .. وأؤكد أن العميد أبو غزالة لم يرفض أبدًا في أي فترة من الفترات مساعدتنا ، لقد كان يقدر جيدًا وحداتنا الموجودة في المنطقة ..

أؤكد أيضًا أن أكبر خسائر للعدو كانت في منطقة الدفرسوار من ضربات المدفعية ، يعني شاهدت كتيبة صواريخ كاتيوشا واقفة ما بين بلدة سرابيوم وعين غوصين ، وكانت تطلق نيران الكتيبة الواحدة تضرب ٤٠٠ متر في العمق .. وهذه أيضًا كانت تتبع مدفعيات الجيش وكان يطلق عليهم نار جهنم ..

في بداية تفكير العدو لعمل الثغرة كانت خسائره كبيرة ، وأعتقد أن كبرى خسائره كانت تأتيه من ضرب المدفعية والصواريخ .. دخول الفرقة الأولى بقيادة شارون كان عملية مكلفة ، في منطقة الدفرسوار فقط بداخل الوحدة الصحية وأبو سلطان ضربنا أكثر من ٢٦ قطعة مدرعة منها ١٢ دبابة ، كل هذه العمليات جعلتهم يفكرون في إلغاء العملية كلها .. والذي حدث هو استخدام فرقة أخرى بقيادة «إبراهام آدان» ودخلت في اتجاه مطار فايد وتتجه للجيش الثالث .. وكانت عنده الفرصة لاستخدامها بنظام الحشد ، وأوقات كثيرة كان يستخدم مدفعيات الفرق الموجودة في الضفة الشرقية من أجل ضرب العدو الذي يخترق ، كان عندهم نار جهنم .. يوم ١٨ أكتوبر في سرابيوم بعض الجنود قالوا لي : «إحنا يا افندم في وسط نار جهنم .. مدفعياتنا تضرب الإسرائيليين أيضًا والطيران المصري والإسرائيلي .. السما كلها مولعة ، الضرب في كل مكان .. العملية ليست سهلة .. فالواقع أن ١٨ و ١٩ أكتوبر كانت نار جهنم على العدو» .

وننتقل لشهادة أخرى للواء عبد الجابر أحمد عبد الكريم والذي يقول : «وأنا برتبة رائد توليت قيادة مدفعية صواريخ مضادة للدبابات .. تابعة لمدفعية الجيش الثاني التي كان يرأسها اللواء عمر الموجي والعميد أبو غزالة رئيس أركانها ..

وبعد ذلك تولى قيادة مدفعية الجيش .. ميزته أنه يعرف الوحدات التي يمكن أن يقع عليها عبء في الحرب ، وكانت الصواريخ المضادة للدبابات من الجيل الأول مالوتيكا الروسي ، لكن كان عليها عبء كبير جدًا في الحرب ، إذا حدثت مشكلة أثناء العبور .. كان الجنود يعبرون بقوارب ستقابل دبابات من غير كباري من ست إلى ثماني ساعات ، فكان لا بد من وجود سلاح يردع الدبابات حتى تستمر مسيرتنا شرق القناة .. كان أبو غزالة يهتم بالكتيبة بمعسكر المأمون بفايد ولا يمر أسبوعان إلا ويمر علينا ويلعب كرة مع الموجهين والكتيبة ويسأل عنهم ويعرف كل فرد بالاسم (عبد العاطي ومرسي والضباط حسين السوسي ومحمد السيد وغيرهم) . وفعلًا هو قائد قائد .

استمرت التدريبات ، واستمر اهتمامه بالكتائب بطريقة كبيرة ، إلى أن قامت الحرب وأقول لك وأنا مسؤول عن هذا الكلام .. كتيبة المشاة بالمزرعة الصينية هي التي حملت لواء الدفاع عن شرف مصر ..

الإسرائيليون في الأيام الأولى للمعركة يكفي أنهم في أحد كتبهم قال شارون .. نحن دفعنا بأفضل مدرعاتنا حتى نصد المصريين بعد عبورهم إلا أنهم نتفوا ريشنا .. تعبير قاس ، وقال : إن يوم الاثنين ٨ أكتوبر سيظل عالقًا بذهني ولن أنساه مدى الدهر .. وبعد ذلك قال : إن الموقف الذي رآه .. أن قواته مع الفرقة الـ١٦ وهم يعبرون الغرب أمرضه وسيظل يمرضه لآخر يوم في حياته ..

أثناء الحرب وبعد الأعمال الرائعة التي قامت بها الصواريخ ، قامت الفرقة الـ١٦ بمجموعة عمليات ضخمة من ناحية البحيرات وأتى إلينا أبو غزالة ولم يتركنا لحظة ، وقام بدور رائع هو وكل طاقم المدفعية .. وهذا كان يوم ١٥ أكتوبر تقريبًا ..

باختصار أبو غزالة كان يتغلب على أي مشكلة .. كان ضابط مدفعية رائعًا وذكيًا ..

كان شخصية علمية فذة ، أذكر مرة أنهم أحضروا لنا آلة تقدير مسافة من الأسلحة القديمة في الجيش ، وكنا لا نعرف كيف نستخدمها ولم نتدرب عليها وعلم هو بذلك ، ووجدته يتصل بي ويخبرني بأنه سيأتي وعليّ أن أحضر له الآلة .. وقَدِم وافترش على الأرض وأحضر معه صف ضابط وطلب أن نتركهما .. وبدأ يكتب مواصفات الآلة وكيف تستخدم وفيمَ تستخدم وغيره وكتب عدة صفحات دقيقة عن الآلة وبدأنا فعلًا في استخدامها كأنه هو الذي صنعها .. باختصار لم يكن يعوقه شيء» ..

اللواء مسعد ششتاوي ، وكان يعمل بفرع عمليات الجيش الثالث خلال حرب أكتوبر ٧٣ يقول : عندما كنا نقوم بعمل تنظيم تعاون لحرب أكتوبر ، وأنا رئيس فرع تخطيط الجيش الثالث ، كان مركز القيادة في الجيش الثالث ، والجيش الثاني كان يقوم بعمل تنظيم تعاون أيضًا ، وكان يحضر منه مندوبون مثلما يحضر منا أيضًا مندوبون معهم أثناء عملهم لتنظيم التعاون .. وحضر رئيس فرع تخطيط عمليات الجيش الثاني وقائد مدفعية الجيش الثاني العميد أبو غزالة ، وكان قائد مدفعية الجيش الثالث هو العميد منير شاش ، وعلى تختة الرمل حدث سجال بين ثلاثة أفراد العميد أبو غزالة ، والعميد منير شاش ورئيس فرع تخطيط عمليات الجيش الثالث الذي كنت أمثله ، وكان الرأي الراجح في أحد المواقف التي فرضت للعميد أبو غزالة . حيث كنا نفرض مواقف ونعرض لكيفية حلها وكيف يحدث تعاون بين الجيشين ونقط الاتصال بينهما ،

خاصة وجود مسافة كبيرة تفصلها شريحة كبريت في الشرق .. وكان يظهر التعاون على أصوله .. نحن لنا طلبات وهم أيضًا .. دوريات . قوات قد تتحرك من الجيش الثاني والثالث وهكذا .. وكان ذلك يتطلب منا ساعات كثيرة وبالطبع كان يتخللها فترة راحة .. وأثناء الاستراحة في ميس الجيش لتناول الغداء .. دردشنا وحدث موقف لطيف وأخذ يتحدث عن المدفعية والجيش الثاني والمشاة والأسلحة بالكامل وجرت مناظرة بين ضباط المدفعية والمشاة بأسلوب يميل أكثر من الهزل ..

وكنا نقول المشاة سادة المعارك .. ووجدنا أبو غزالة يرد قائلًا والمدفعية في كل مكان ..

فرددت عليه قائلًا : «وللخلف ما أمكن» !! ..

فقفز من مكانه وجرى خلفي بالعصا وهو يضحك .. وهذا يدل على مرحه وبساطته وإنسانيته ..

بعد الثغرة يوم ١٧ أكتوبر دفعنا لواءً مدرعًا من الشرق لكي يتجه ناحية الجيش الثاني ليسد الثغرة أو ليشتبك بالتعاون مع الجيش الثاني في سد الثغرة في منطقة الدفرسوار .. ووجدنا منه معاونات كثيرة وضخمة ، وطلبنا من الجيش الثاني ممثلًا في العميد أبو غزالة أن يشتبك في تأمين دفع اللواء من عندنا .. من الشرق للشرق شمالًا ، وكان له الفضل الكبير في قيام اللواء بأداء بعض المهام التي كلف بها وارتد مرة أخرى تحت ستر نيران مدفعية الجيش التي كان يديرها العميد أبو غزالة ومنير شاش في اتجاه كبريت .. بعد أن أدى الدور على قدر الإمكان من أجل سد الثغرة ، رغم أنه لم يوفق ١٠٠ % ، لكن الدور الذي قامت به المدفعية في الجيشين كان له أكبر الأثر في إحداث خسائر لا يتصورها بشر في الجانب الإسرائيلي» .

ونختم هذه الشهادة بكلمات الخبير الإستراتيجي وأحد أبطال أكتوبر اللواء عبد المنعم كاطو ، والذي يؤكد على ظهورٍ شخصية أبو غزالة القائد والمقاتل خلال حرب أكتوبر ويواصل كلماته قائلًا : «الحقيقة أنه لم تنطلق طلقة مدفعية واحدة إلا وقائد مدفعية الجيش العميد أبو غزالة موجود في نقط الملاحظة .. بكل بساطة كان موجودًا في كل مكان في الجيش .. تراه في الفرقة الثانية ثم السادسة عشرة وغيرهما من أماكن الجيش الشاسعة والمتفرقة ..

العميد أبو غزالة كان يفكر في كيفية إيجاد طريقة مبتكرة لإدارة نيران المدفعية .. والواقع أنه لأول مرة يتم عمل تخطيط لإدارة ست عشرة كتيبة مدفعية على منطقة واحدة يوم ١٤ أكتوبر وهذا جهد غير عادي وقد نجح العميد أبو غزالة فيه .. وأيضًا كان يدير بنفسه كل شيء ..

أتذكر أنه من تحركاته الكثيرة تعرض مرة أو أكثر للإصابة ، وعندما اصطدمت سيارته بلغم وأصيب هو ومات من كانوا معه ، رفض الذهاب إلى المستشفى وفضل علاج الطبيب الموجود بالقيادة .. وقال: إنها إصابة بسيطة ..

العميد أبو غزالة ظهرت عبقريته في التخطيط والإدارة والقيادة منذ بدايته .. ونصر أكتوبر كان الدافع لظهور قائد ينبئ بأنه سيكون وزيرًا للدفاع فيما بعد ..

وننتقل لأحد رجال المدفعية البطل محمد المصري ، أحد صائدي الدبابات في حرب أكتوبر وعن دور المدفعية وتنفيذًا لتعليمات قائد مدفعية الجيش الثاني العميد أبو غزالة يقول (٤٧) : «أما الدبابة رقم ٢٧ في عدد الدبابات الإسرائيلية التي دمرتها فكانت بعشرة جنيهات .. فقد انتقلنا إلى منطقة أبو سلطان تنفيذا لأوامر العميد (محمد عبد الحليم أبو غزالة) قائد مدفعية الجيش الثاني ، ثم انتقلنا مرة أخرى إلى منطقة الجفرة بالجيش الثالث الميداني وتجمعت كتائب لواء مظلات والذي أعتبر نفسي أحد أبنائه ومن صلب تشكيله وكان هناك ٣ دبابات إسرائيلية مستترة خلف إحدى التبات وتطلق طلقات طائشة في أي وقت وصدرت إلينا الأوامر من اللواء (عبد المنعم واصل) قائد الجيش الثالث الميداني بجمع موجهي الصواريخ واختيار ٣ من موجهي الصواريخ وتم اختياري مع زميلين ، وأنا من طبعي أقوم بدراسة الموقف جيدا ولذلك كنت الضارب الثالث .

.. ففي البداية قام زميلي بإطلاق صاروخه على الدبابات فأصابها ، وقام زميلي الثاني بإطلاق صاروخه على الدبابة الثانية ففرت هاربة ، وبقيت الدبابة الثالثة من نصيبي ، ولم يظهر منها إلا جزء من فوهة الماسورة فظللت أراقبها لمدة ٣٦ ساعة دونما طعام أو شراب وبمجرد ظهور جزء من المأسورة أطلقت صاروخي على فوهة المأسورة فانفجرت الدبابة وبعد نصف ساعة حضر إلى الموقع البطل (عبد المنعم واصل) وهنأني وأعطاني عشرة جنيهات وقال : والله يا بطل ما في جيبي غيرها .

(٤٧) محمد المصري في حوار مع إبراهيم خليل في جريدة الشرق ١٩٩٩ .

نعود مرة أخرى إلى الفريق عبد رب النبي الذي يقول : «حرب أكتوبر من الفترات الحاسمة في تاريخ القوات المسلحة ، خاصة وتاريخ مصر عامة ، ومن المواقف التي لا تنسى ، يوم ١٠ أكتوبر كان كل تركيز ضرب العدو على الفرقة الـ١٦ بعد هجوم يوم ٩ أكتوبر الذي كان يهدف إلى الوصول إلى القناة ، وبعد نجاح الفرقة في صد الضربة المضادة بالاحتياطي التعبوي ، وحضر إلينا العميد أبو غزالة تولى بنفسه إدارة النيران من مركز القيادة المتقدم يوم ١٠ أكتوبر مساءً وحتى يوم ١١ أكتوبر صباحًا كان يدير نيران مدفعية الجيش الثاني من مركز ملاحظة الفرقة الـ١٦» .

محمد رفعت على عيد .. محارب قديم شاهد عيان على عصره .. يقول :

«كانت الرياضة البدنية أحد الطوابير اليومية المنتظمة التي يحرص عليها قائد الكتيبة الرائد ماجد قنديل ، ويشجع دائمًا ضباط وجنود وحدته على ممارستها بانتظام أثناء مرحلة الاستنزاف قبل أن تلتهب مواجهات القصف المدفعي المتبادل بين بطاريات العدو وبطاريات مدفعيتنا ، التي كان لها السبق دائمًا في معرض البراعة في ديناميكية احتلال مواقع النيران وإخلائها في زمن قياسي مدهش ، وكذلك سرعة تلبية النيران والدقة في إصابة الأهداف مهما يتضاءل محيطها ، وهذا ما أجمع عليه خبراء وأساتذة أشهر الأكاديميات العسكرية في عالمنا المعاصر ، وفوجئنا بقائد مدفعية الفرقة أتانا ضيفًا ، ليمارس لعبته الأثيرة ورأس الفريق الأحمر الذي كنت جناحه الأيسر ، بدأت المباراة وانهمك الفريقان في اللعب وحمى وطيسه وتعالى الحماس ، لكن الشباك ظلت عذراء لم تهتز حتى ملكت الكرة وحانت لحظة الانتصار ، وتقدمت نحو مرمى الفريق الأزرق فإذا بالقائد أبو غزالة يشير بيده لأمرر الكرة إليه .. وفعلت فاندفع بها الرجل برشاقة ومهارة وأسكنها شباك الخصم كقذيفة لا تخطئ ، ولم تنته المباراة إلا بهزيمة الفريق الأزرق بأربعة أهداف للاشيء ، أحرز بطلنا الهمام ثلاثة منها .

ومن الرياضة إلى طابور التدريب العملي لمناورة اشتباك مدفعي مع العدو انهمكت كل عناصر الكتيبة في تنفيذ مراحلها ، بدأ القائد أبو غزالة راضيًا عن آلية العمل الدائر ، فالرائد ماجد عرفت عنه البراعة التي تصل إلى حد العبقرية في إدارة نيران المدفعية بأساليب غير نمطية ، فهو تكفيه فواصل أصابع قبضة يده ليحدد بها زاوية أي هدف يراد قصفه ، كما أشيع عنه عدم حاجته إلى أكثر من دانة واحدة ، ليحدد بها ذلك الهدف بدقة متناهية ، ثم يدمره بعد لحظة وجيزة تدميرًا شاملًا بنيران مدافعة كلها ، لذا ارتسمت على شفتى مايسترو المدفعية ابتسامة عريضة كلها ثقة وإعجاب ، وهو يجلس على مقعده «النقال» الذي يطويه ويحمله دائمًا في جولاته التفتيشية التي لا تنقطع .

وجوده الحاضر بين الجنود وقربه بثًّا في أفئدتهم تلك الحماسة ، التي تجسدت جلية في ملامحهم المصرية التي تؤكد إصرارهم العنيد على تحقيق نصر مؤكد على عدو لئيم وهزيمة أسطورة تفوقه الغبية واستعلائه العرقي الكاذب .

وبعد يومين أقيم مؤتمر عام لضباط وصف وجنود مدفعية الفرقة ، وفوجئنا بقائدنا الحبيب يعتلي المنصة خطيبًا مفوهًا ، فيأسر العقول بثقافته العسكرية وبلاغته الرائعة ثم حول المؤتمر قبل ختامه بدبلوماسية فائقة الذكاء إلى منتدى حر للأدب والشعر ، واستهله بقصيدة أجاد نظمها ، ونالت الإعجاب والاستحسان وتقاطر بعده كل صاحب موهبة من الجند ، وكذا الضباط وضباط الصف يقدم كل منهم ما عَنَّ له من الأدب والشعر والزجل ، مما جعل المنتدى يزخر بتلاحم الرتب والدرجات الأخرى من مقاتلي المدفعية في عناق حميم مع قائدهم الذي يؤكد أصالة المصري وعظمته منذ القدم .

والرجل لم يكن فظًا يرهبه مرؤوسوه أو يتحاشى أغلبهم لقاءه خشية تجهمه وغضبه ، ولم يكن كذلك بيروقراطيًا جامدًا لا أمل لهم في عرض مطالبهم عليه طمعًا في تحقيقها ، لقد كان أبو غزالة في الحقيقة نعم القائد المهيب الذي ترفع يدك لتحيته عسكريًا ، وقلبك يخفق مبتهجًا قد انتابه سرور لا نعرف له ترجمة فورية ، وكان خير أب يمكن لجندي بسيط أن يقف أمامه غير وجل ، فينقل إليه شكواه في إنسانية رائعة .

ونختم هذه الشهادة بكلمات لقادة إسرائيليين . تناقلتها كتبهم ووكالات الأنباء ، تؤكد الدور الكبير والهائل الذي قامت به مدفعيتنا المصرية .

هناك رأي مأثور مؤداه أن أحسن من يحكم على القائد العسكري هو خصمه في ساحة المعركة، ويذكر أنه عندما التقى وزيرا الدفاع المصري والإسرائيلي في واشنطن خلال عام ١٩٧٩ ، حضر اللقاء الملحق العسكري المصري في واشنطن اللواء أبو غزالة ، وأشار عيزرا وايزمان إليه مخاطبًا إحدى مساعديه قائلًا : «لقد كان الجنرال أبو غزالة قائدًا لمدفعية الجيش الثاني خلال حرب أكتوبر ، ونظر إليه الجنرال الإسرائيلي الذي خاطب وايزمان والذي تبين أنه كان يتولى قيادة المدفعية الإسرائيلية في سيناء خلال حرب أكتوبر ، نظر إليه طويلًا قبل أن يقول : مسرور للقائك .. لكن وايزمان بادره ضاحكًا .. ماذا ، هل كان إنجازه حسنًا خلال الحرب ؟! فرد الجنرال الإسرائيلي قائلًا : نعم .. لقد كان إنجازه حسنًا إلى حد اللعن [٤٨] .

(٤٨) الأهرام ٥ يونيو ١٩٨٠ .

المدفعية في عيون القادة الإسرائيليين .. اعترافات إسرائيلية :

أكد أحد القادة الإسرائيليين الذي كان مسؤولًا عن خط بارليف لمجلة شيتون الألمانية الغربية: «أن المدفعية المصرية صبت على هذا الخط كمية غزيرة من النيران بصورة لم يشهدها من قبل ـ على الإطلاق » وأضاف قائلاً : «إنني أعتقد أن الجندي الإسرائيلي قد أذهلته المفاجأة ولم يفهم حقيقة ما حدث!» .. (بي . بي . سي ، ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣) .

قال الجنرال شمويل جونين ، قائد الجبهة الجنوبية: «إنه يبدو أن حجم القوات ضخم ، وعملية الهجوم ضخمة ، والعتاد ضخم ، والمدفعية المضادة للدبابات ضخمة» .. (بي . بي . سي ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣) .

بعث الضابط آموشي برسالة إلى زوجته جاء فيها : «إذا كانت قد كتبت لي النجاة في تلك الليلة ليلة ١٨أكتوبر ١٩٧٣، فإن ما حدث كان معجزة ، ذلك أن قذائف المدفعية المصرية لم تكف عن تدمير تجمعاتنا ومواقعنا طوال الليل ، إنني لا أستطيع أن أفهم كيف نجوت مع بعض الجنود من هذا الجحيم .. (من كتاب حرب كيبور) .

«برهن المصريون على مقدرة جنودهم على القتال ، وقدرة ضباطهم على القيادة ، وقدرتهم على استخدام أحدث الأسلحة ، (صحيفة التايمز البريطانية ١٦ أكتوبر ١٩٧٣) .

وتنتهي جولتنا مع حرب أكتوبر ودور المدفعية الجبار ، وبراعة العميد أبو غزالة وكل قيادات المدفعية المصرية في الجيشين الثاني والثالث في إدارتها .

ونهي هذا الفصل بكلمات القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الجمهورية الراحل محمد أنور السادات بعد انتهاء حرب أكتوبر وفي تحية المدفعية قائلًا :

«لقد أدت المدفعية المصرية دورها في حرب العاشر من رمضان .. وكما أدته في جميع المعارك التي خاضتها في ماضيها وحاضرها على أكمل ما يكون الأداء ، وكما سوف تؤديه في مستقبلها ..

إن المهام التي حققتها المدفعية خلال مراحل المعركة المختلفة منذ عام ١٩٦٧ في مرحلة الصمود والردع والاستنزاف واقتحام القناة والاستيلاء على رءوس الكباري ، كانت مهمة خطيرة، وبدأت المعركة بتمهيدها النيراني وفرضت إرادتها كاملة على أرض القتال ، ومكّنت مشاتنا ومدرعاتنا من تحقيق أهدافها ، وكان للمدفعية اليد الطولي ولا تزال في ردع العدو في عمق أعماقه .

لقد تدافع رجال المدفعية لتأدية واجبهم ، واستشهد منهم من استشهد وهو يقاتل على مدفعه ، لم يتركه قط حتى ذاق الممات يحدوهم في ذلك تقاليدهم وأصالتهم ..

إننا نحييهم رجالًا آمنوا بوطنهم وبثورتهم وبحقهم في حياة حرة كريمة ..



الفصل السابع مناصب مهمة يختتمها بتوليه رئاسة أركان القوات المسلحة قبل اعتلائه قيادة القوات المسلحة

النجاح في الحرب هو الذي يخلق خط وخيط التفاوض، وكلما كانت لدينا الخبرة والقوة المساندة لهذا التفاوض كنا أقوى في إقناع الطرف الآخر، حقيقة كان هذا درسًا لدول المنطقة بما فيها إسرائيل ولكن هذا الدرس بدأ عام ١٩٧٤، وأثمر نتائجه عام ١٩٧٩ بعد اتفاقية كامب ديفيد.

ليس هناك وفاق إستراتيجي بين إسرائيل والدول العربية في الوقت الذي تصر فيه إسرائيل على عدم قبول إقامة وطن للفلسطينيين وحقهم في تقرير المصير .

من أقوال المشير أبو غزالة

وتنتهي حرب أكتوبر المجيدة ويكرم الضباط ويمنحون أوسمة ونياشين القتال ، ومنهم العميد أبو غزالة ، الذي يحصل على نجمة الشرف ولهذه النجمة قصة سنرويها بعد قليل ــ ثم يرقى العميد أركان حرب أبو غزالة إلى رتبة اللواء ويعين رئيسًا لأركان مدفعية القوات المسلحة ..

يقول الفريق عبد رب النبي : بعد حرب أكتوبر افترقنا مرة أخرى ، وعين اللواء أبو غزالة رئيسًا لأركان سلاح المدفعية عام ١٩٧٤ ، وأنا عينت سكرتيراً عامًا لوزارة الحربية (أمين عام وزارة الدفاع الآن) ، وكان التعاون قائما بيننا كعادتنا ، واستمر الاتصال .. وأي موضوعات تختص بالمدفعية كان يتصل بي ويبلغني بها أو يستفسر مني عنها ..

يقول اللواء حسني سليمان [٤٩] : «كان اللواء أبو غزالة رئيس أركان المدفعية .. وكان يقوم ــ كعادته ــ بنشاط غير عادي ، كنت رئيس فرع البحوث ، واللواء أبو غزالة كان مسؤولا عن أعمال كثيرة ويقوم بها مثل الرياضة وإعداد الكتب والمراجع والإشراف عليها وعلى مكتبة المدفعية ، بالإضافة لتجهيز معمل المدفعية ، كان يذهب بنفسه لمعرض الكتاب وينتقي الكتب التي لها علاقة

بالإستراتيجية والتاريخ العسكري والقتال والمدفعية وكل ما يفيد الضباط ويحضرها إلى المكتبة ، مما جعلها من أحسن المكتبات الموجودة في القوات المسلحة بفضله في تلك الفترة .. في تلك الأثناء كان يخدم مع اللواء يوسف صبري أبو طالب ، مدير المدفعية ، وكانوا يبذلون جهدا غير عادي في تدريب وحدات المدفعية سواء مدفعية الرئاسة العامة أو الجيش وإعداد كل ضباط المدفعية» .

(٤٩) مساعد السيد وزير الدفاع سابقًا .

وتمر الأيام ويُختار لوظيفة ملحق عسكري بالولايات المتحدة الأمريكية ولهذه الوظيفة قصة ..

أبو غزالة ملحقًا عسكريًا :

في ١٩٧٦ يعين اللواء عبد الحليم أبو غزالة ملحقًا حربيًا بالولايات المتحدة الأمريكية .. وعن هذا المنصب يقول اللواء منير شاش ، والذي كان يشغل في ذلك الوقت قائد مدفعية الجيش الثالث الميداني: «أخبرني أبو غزالة أنه أرسل خطابًا إلى المشير الجمسي وزير الحربية في ذلك الوقت ، يطلب منه الالتحاق بوظيفة ملحق دفاع .. والحقيقة أنني في قرارة نفسي كنت أتمنى أن ألتحق بوظيفة ملحق دفاع أيضًا .. ولكني عندما وجدت رغبته لم أتكلم وصمت .. ولكني تمنيت له كل الخير .. وعين ملحقًا عسكريًا بواشنطن ولم تنقطع صلتي به لحظة واستمرت علاقتنا كما كانت ، وأذكر أنني ذهبت إليه في أمريكا ــ ذات مرة ــ ومكثت في منزله الخاص لمدة شهرين كانا من أمتع أيام حياتي .. وأجزم بأن الله أراد لمصر وللقوات المسلحة الخير والصالح عندما اختير أبو غزالة لهذا المنصب .

«وبكل أمانة وبعد كل ما حققه أبو غزالة في منصبه كملحق عسكري في أمريكا .. فإنني أحمد الله على أنه هو الذي اختير لهذا المنصب وليس أنا لأنني لو كنت مكانه ما استطعت أن أحقق ما حققه هناك .. وهذا ما ساعده على تولي إدارة المخابرات بعد ذلك ، خاصة عندما شاهده الرئيس السادات ولمس ما يقوم به من دور كبير في التسليح والمفاوضات والتعامل مع الأمريكان ،

فالمعروف أن العلاقات معهم كانت غير جيدة ومتوقفة بعض الشيء .. وقام هو بتنشيطها عن طريق عمل ندوات ومحاضرات كان لها تأثير جيد وتوضيح وتحسين صورة مصر للشعب الأمريكي ، بالإضافة طبعا للمجهود الذي قام به الرئيس السادات في تحسين العلاقات بين مصر وأمريكا ».

وعن ذكريات رجل آخر تعامل معه خلال هذه الفترة .. اللواء بحري محسن حمدي ، أحد أعضاء فريق التفاوض المصري خلال مباحثات السلام المصرية ـ الإسرائيلية والذي يقول :

«عندما كان اللواء عبد الحليم أبو غزالة ملحقًا عسكريًا في الولايات المتحدة الأمريكية .. كنا نقوم بمباحثات السلام .. كان يحضر معنا المباحثات التمهيدية والرسمية التي كانت تدار بيننا وبين إسرائيل ، وتشاركنا فيها أمريكا .. كان دائم الحضور إلينا في فندق «الميدسون» ، خاصة في جناح الفريق كمال حسن على .. وكثيراً ما كان يجلس معنا ونتحاور في كل مناحي الحياة .. كان إنسانًا رائعًا ، وشخصية مرحة وبسيطة ومفكرة ومقنعة وجذابة ..

كان اللواء أبو غزالة نظيفًا ونزيهًا وعنده العمل عمل والمجاملات في العمل ليس ليس لها مجال .. أذكر أنه تميز بأخلاقه الريفية الأصيلة ، إذ كان شهمًا مخلصًا ، كريمًا ، صريحًا ، شفافًا .. ثريًا في فكره وعمله .

ويضيف موقفًا آخر عنه قائلًا : «من كرمه أنه أثناء المباحثات في واشنطن كان يوجه دعوات غداء وعشاء لكل أعضاء الوفد المصري الذي كان يتكون من عسكريين وسياسيين وسكرتارية وأمن ومخابرات وسائقين وغيره ، يعني أكثر من خمسين فردا أعضاء الوفد ..

بالرغم من التكلفة المرتفعة .. كنا نقيم في فندق «الميدسون» في الدور التاسع وإسرائيل تستخدم الدور العاشر بالكامل .. سبعين يومًا كنا نتباحث فيها ونتفاوض صباحًا ومساءً ولم نغادر الفندق لحظة .. تخللها بعض التوقفات وسرعان ما عدنا لها مرة أخرى .. وتكررت دعواته للغداء والعشاء ».

ما زلنا مع اللواء محسن حمدي ، والذي ينتقل لذكريات أخرى ويقول : «في هذه الفترة بدأت أقترب أكثر من اللواء أبو غزالة .. وكان شخصًا متعاونًا لأقصى الحدود . مرة أثناء المباحثات شعر اللواء لبيب شراب ، مدير المخابرات الحربية والذي كان ضمن الوفد ببعض الآلام .. وقام اللواء أبو غزالة بسرعة فائقة بالاتصال بفرع الملحقين العسكريين في أمريكا وحجز له في أفضل مستشفى هناك «ووترليد» وعمل كل الفحوصات المطلوبة .. وأذكر أن اللواء أبو غزالة قال لي : لماذا لا تذهب وتعمل أنت أيضًا فحوصات ؟! .. وبالفعل ذهبت إلى هناك وكانت ترافقني مرافقة أمريكية برتبة مقدم ، وأدخلتني كل العيادات وعملت تقريرا بحالتي الصحية واطمأننت على نفسي..

خلاصة القول: أن اللواء أبو غزالة كان يذلل كثيرًا من العقبات التي تواجهنا أثناء المباحثات ، ولأن عمله كان مع العسكريين ، فإنه كان يعرف كيف يتعامل معهم .. أثناء التفاوض كان يوجد جنرال أمريكي اسمه لورانس يعرف اللغة العربية نظرًا لخدمته في السعودية وكان يتناقش في فرقة مشاة أمريكية وعندما لا يعجبنا رأيه أو ما يريده الجانب الآخر .. كان يأتي دور أبو غزالة ويقول: إن التسليح عندنا يكون كذا والفرقة كذا ، ويوضح له كثيرًا من الأمور التي يعرفها ببراعة وهو ما يزيد الإقناع ويساعدنا على اجتياز هذه العقبة والتفوق على الآخر والانتصار لصالحنا» .

وعن كيفية نجاحه في علاقاته مع الأمريكان .. يقول اللواء محسن حمدي كل المواصفات التي ذكرتها سابقًا عنه ، بالإضافة لما كان يتمتع به من ذكاء اجتماعي ومهارة في التعامل مع الجميع .. وهو ما أهله لأن يصدقه الأمريكان ، ويسعوا لعمل علاقات عمل معه .. خاصة أنه كان يتعامل بطبيعته والأمريكان معروف أنهم صعب أن يندمجوا مع أي أحد بسهولة .. بكل صراحة أقول رغم أنني كنت أجيد التعامل معهم ومع الإسرائيليين فإنني لم أكن أستطيع أن أفعل مثله .. وأستطيع أن أقول أيضًا إنه درس الأمريكان جيدًا وفهمهم وفهم كيفية التعامل معهم» ..

«نترك اللواء محسن ونتجه لشهادة الدبلوماسي دكتور بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة الأسبق وفي كتابة «طريق مصر إلى القدس» وعن مباحثات السلام يقول : «مر علينا عيد الأضحى أثناء المباحثات وقام الملحق العسكري المصري عبد الحليم أبو غزالة بتوجيه دعوة لأعضاء الوفد كله في منزله احتفالًا بعيد الأضحى وقد كان احتفالًا يسوده الدفء الأسرى» ..

وعن الخدمات الأخرى التي قدمها في منصبه للجميع وليس للعسكريين فقط ، يقول الوزير توفيق عبده إسماعيل ، زميل الكلية الحربية ووزير الطيران والسياحة الأسبق : «في يونيه ١٩٧٨ .. زرت واشنطن ضمن وفد مصري برئاسة المرحوم سيد مرعي رئيس مجلس الشعب ولما علم اللواء أبو غزالة بوجودي اتصل بي في الفندق وتقابلنا وعرض مساعداته وخدماته وهو الشيء الذي تعودناه منها دائمًا ، وبالفعل ساعدنا في إنجاح زيارتنا ، وكانت اتصالاته فورية وقوية ومتعددة .. كما عرض المساعدة في أي مطلب شخصي وخاص .. وهذه لفتة جميلة قلما نجدها في الغربة .

وعن تقييم هذه الفترة عسكريًا يقول الفريق صفى الدين أبو شناف .. رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقًا :

وجود أبو غزالة في هذه الفترة ملحقًا عسكريًا في واشنطن كان نتيجة اختياره من الضباط المتميزين لغة وفهما وقراءة .. وامتيازه بتخيل وبعد سياسي وعسكري كبير ، كان لديه قدرة مذهلة على جعل الناس يلتفُّون حوله ، عندما كان ملحقًا عسكريًا كوّن صداقات كثيرة مع الأمريكان ، وكان يلقي محاضرات وجميع الرتب سعت لمعرفته وساعدت معاملته الجيدة معهم على عقد علاقات جيدة مع كثير من أعضاء الكونجرس أيضًا ، وساعده ذلك في التسليح والمساهمة في إسقاط كثير من الديون عن مصر وحل مشاكل كثيرة أثناء مباحثات السلام ، وأيضًا في إرسال بعثات وعلاج كثير من الضباط المصريين في أمريكا .. فالواقع أن الأمريكان كانوا يحترمونه وكما هو معروف أنهم لا يحترمون إلا من يجدونه وطنيا وفاهما وواقعيا ومنطقيا وصادقا .

أبو غزالة .. وبعض أدواره مع الأمريكان :

يقول اللواء حسني سليمان ، مدير سلاح المدفعية ومساعد الوزير سابقًا :

«خلال توليه هذا المنصب ، وأثناء مباحثات كامب ديفيد كان له دور رائع أثناء عملية تحرير الرهائن في إيران .. أتذكر قيام الأمريكان بعمل تحليل لأسباب فشل عملية تحرير الرهائن في كلية الحرب العليا الأمريكية ، واختاروا اللواء أبو غزالة للحضور في هذا التحليل الذي لم يوجد فيه غير القادة وكان هو الشخصية الوحيدة الأجنبية الموجودة وطبعًا اختياره لم يأت من فراغ ..

اللواء أبو غزالة كان مدرسًا في كلية الحرب العليا الأمريكية ، وكوّن صداقات كثيرة بأعضاء الكونجرس الأمريكي وغيرهم من القيادات الأمريكية وكثيرًا ما كانوا يزورونه عندما يأتون لمصر..

«أتذكر أنه أخبرني مرة أن أحد أعضاء الكونجرس زار مصر ــ بعد تقاعده ــ وأثناء وجود هذا الضيف بالفندق شعر ببعض الآلام والقيء فلم يتصل بالسفير الأمريكي ولكنه قام بالاتصال بالمشير أبو غزالة لإنقاذه وبسرعة ذهب إليه هو وزوج ابنته الطبيب وأسعفاه ولم يتركاه إلا بعد الاطمئنان عليه» .

يقول كبير المحررين العسكريين الراحل جمال كمال :

«أبو غزالة تعلم عندما كان ملحقًا عسكريًا في أمريكا كيفية الإدارة العسكرية بالأسلوب الأمريكي .. والإعلام كان أحد مصادر القوة وهو ما يوجد حتى الآن» ..

اللواء حسام خيرت ،، مساعد وزير الدفاع للتسليح سابقًا ، يقول : «عندما عين اللواء أبو غزالة ملحقًا حربيًا في أمريكا ، كنت أزوره في كل إجازة له في القاهرة ، وكان يخبرني بكل جديد شاهده هناك ونتناقش في أي تطوير أو ابتكار جديد نستطيع أن نضيفه للتسليح في مصر» .

يقول اللواء عبد المنعم سعيد .. رئيس هيئة العمليات الأسبق :

«أثناء عمله كملحق عسكري في واشنطن كان يدرس بالأكاديمية المصرية وأكمل دراسته وهو في الخارج ، فكان يأخذ المراجع والكتب التي تدرس هنا ويذاكرها ويتابعها ، وقبل التخرج أتى لعرض مشروع التخرج .. وهو عبارة عن دراسة أو بحث يقدم وتأتي لجنة وتقيمه وحصل به على الزمالة بتفوق» .

نترك الزملاء والأصدقاء ونأتي لشهادة فرد من العائلة .. وعن علاقته بأسرته وأقاربه في هذه الفترة ، يقول زوج ابنة شقيقته السيد مختار نوح : «وتمر السنون وترتقي مصر بالرجل حتى يصبح ملحقًا عسكريًا في الولايات المتحدة الأمريكية .. وكان يعود من مهمته ليوزع الدقائق بين بيوته الأربعين فلا يجور حق أسرته على حق الرحم ولا ينسيه الاشتياق إلى أبنائه حق الوفاء لغيرهم ..

ويعود اللواء أبو غزالة من رحلته إلى أمريكا ليكون مديرًا للمخابرات الحربية أياما قليلة ثم نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا للدفاع ، ولم يغب عن ذهني أنه لم يملك سيارة في حياته حتى تخطى رتبة اللواء وربما كان أعلى من ذلك حين تملكها ، وإن كنت لا أذكر ماركة السيارة ولا سنة صنعها، إلا أنني أذكر يوم دخولها من ميناء بور سعيد وهي تسدد كامل جمركها تقريبًا من عام ١٩٨٠ ».

من هذه الكلمات نعرف إلى أي مدى كان رجلًا نزيهًا عصاميًا بسيطًا لم يتربح من المناصب التي تولاها سابقًا ولم تعقه ظروفه المادية البسيطة عن الوفاء بحق بلاده وخدمة كل من طلبوا منه المساعدة ، وكذلك لم يستغل عمله كملحق عسكري في الخارج بعمل أي شيء يحقق من وراءه مكاسب أو أموالا بأي صورة وتحت أي مسمى ..

فترة تعيينه مديرًا للمخابرات :

يقول اللواء محسن حمدي : «اللواء أبو غزالة مكث في منصب مدير المخابرات الحربية أيامًا قليلة .. أي أنه لم يخدم في هذا المنصب وسرعان ما عين رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة» .

يقول الفريق صفى الدين أبو شناف : «بعد الحرب عُينت رئيسًا للجنة المصرية العسكرية ، وعين هو لفترة بسيطة مديرًا للمخابرات الحربية ، وكانت تربطنا علاقة طيبة .. في هذا المنصب لم يمارس دوره إلا قليلًا ، وسرعان ما سلم القيادة إلى اللواء لبيب شراب ، الذي كان أيضًا ضابطًا كفئا وكان له دور مميز في التجهيز لمباحثات السلام المصرية ــ الإسرائيلية ، أتذكر عندما عينت رئيسًا للجنة العسكرية المصرية ، قال لي اللواء أبو غزالة في تلك الفترة : «أنا سعيد يا صفى بتوليك هذا المنصب فأنت ضابط كفء ، حاربت كل الحروب وخدمت في الاستطلاع ، وتفهم العدو جيدًا ، وأجدت دورك في الحرب وهذه الخلفية تعطي لك قوة عند الجانب الآخر أثناء مباحثات السلام» (٥٠) .

وأذكر موقفًا آخر له وللواء لبيب شراب حيث اتفقا على تزويدي ببعض الكتب المتنوعة لقراءتها والاستفادة منها في معرفة العدو الإسرائيلي ، ونصحني اللواء أبو غزالة بالتعمق في الناحية الاجتماعية وأمدوني بنحو ١٨ كتابًا في هذا المجال وكانت بالفعل كتبًا منتقاة ، استفدت منها كثيراً وخدمتني أثناء التعامل مع الإسرائيليين .. وأثناء المباحثات كان فيه استلام الأرض ومشاكل وتصوير وتليفزيون وغيره ، وكثيراً ما كان يتصل بي ويوجهني ويتابع ويراقب الموقف ويسعد لأي إنجاز نحققه» .

وسرعان ما اختاره الرئيس السادات رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة خاصة لما لمسه فيه من جدية وعقلية رائعة وعمل دؤوب خلال مقابلته له أثناء مباحثات كامب ديفيد في أمريكا .. ويكون المنصب التالي والذي يثبت فيه كفاءته المعهودة ..

(٥٠) يقول الفريق صفى الدين أبو شناف ، وللتوضيح فإن مهمة ضابط الاستطلاع هي فهم العدو وتسليحه واقتصاده وتكتيكه ويكون فاهمًا للأرض ومسرح العمليات جيدًا .. باختصار شارب العدو ــ كما يقال .

فترة تعيينه رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة :

يصدر الرئيس محمد أنور السادات قرارًا جمهوريًا بتعيين اللواء محمد عبد الحليم أبو غزالة رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة وذلك عام ١٩٨٠ مع ترقيته إلى رتبة الفريق اعتبارًا من تسلم المنصب .. ومن خلال هذا المنصب كانت له أدوار كثيرة .. وساعد في إنجاح كثير من المهام التي كان لها دور في إبراز قوة القوات المسلحة ..

وكتبت الصحف المصرية تقول : «بدأ صباح أمس ــ ١٧ مايو ١٩٨٠ ــ الفريق محمد عبد الحليم أبو غزالة رئيس أركان حرب القوات المسلحة في مباشرة مهام منصبه الجديد .. وكان الفريق أبو غزالة قد وصل إلى القاهرة مساء الخميس الماضي قادمًا من واشنطن ، حيث كان يرأس مكتبنا العسكري هناك [٥١] .

يقول الفريق عبد رب النبي حافظ الذي خدم معه بعد ذلك رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة مدة لا بأس بها وحقق معه إنجازات كبيرة في صفوف القوات المسلحة :

«عُيِّن أبو غزالة رئيسًا للأركان وكنت وقتها رئيسًا لهيئة العمليات وبدأت العلاقات تزداد من جديد ، فرئيس العمليات يعتبر نائبًا لرئيس الأركان وبالتالي كان الاتصال بيننا يوميًا حتى مكاتبنا كانت متلاصقة» .

(٥١) جريدة الأهرام المصرية ١٨ مايو ١٩٨٠ .

ونتنقل لشهادة أخرى يقول اللواء محسن حمدي ، رئيس جهاز الاتصال ، وأحد أعضاء فريق مباحثات السلام في واشنطن : «في فترة تعيينه رئيسًا للأركان كنت أتعامل معه أكثر وأعرض عليه شروط المعاهدة وأخبره بما تم أثناء المباحثات وما بدر من الإسرائيليين من أجل الانسحاب ، وأعرض عليه أهم المواقف وآخذ رأيه .. فقد كنت أقوم بعمل تقارير تعرض أولًا على مدير المخابرات ، ثم رئيس الأركان ثم وزير الدفاع .. هذا طبعًا بجانب ما يعرضه الجانب السياسي ، وكان يتسع لكل كلمة بتمعن تام ، ويثق في كل كلامنا ويشكرنا على الدور الذي نقوم به .

ونسجل شهادة أخرى عن هذه الفترة، يقول اللواء أحمد فخر ، مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا سابقًا : الفريق أبو غزالة كان متواضعًا جدًا ، أثناء رئاسته أركان حرب القوات المسلحة .. عندما كنت أزوره في منزله صباحًا .. أجده يرتدي الجلابية ويتناول إفطاره الذي تعده له زوجته الفاضلة الحاجة أشجان ، والذي يتكون من ثلاث بيضات وملح وفلفل وقطعة جبنة اسطنبولي وقطعة عيش .. بكل سعادة ولذة .. رئيس أركان حرب القوات المسلحة الذي يقول كلاما يهز العالم .. هذا هو إفطاره .. وبعدها يقول : «الحمد لله» .. كان بسيطًا ولم يكن نهمًا أو شرها في أي شيء» ..

يقول اللواء عبد المنعم سعيد : «عندما تولى أبو غزالة رئاسة الأركان كنت أدرس بالأكاديمية، كان الفريق أحمد بدوي هو وزير الدفاع في ذلك الوقت .. وهو الذي وعدني أنه لو حصلت على المركز الأول سأسافر لأمريكا للدراسة هناك .. وكان الفريق أبو غزالة يعلم موضوعي وسفري ونجحت وحصلت على المركز الأول وحدث موقف محزن من الولايات المتحدة .. فكان من شروطهم عدم قبول ضباط من نفس الدول سنويًا ونحن حصلنا على ثلاث دورات متتالية .

ودورتي كانت الرابعة ، ورفضوا في البداية وتضايقت جدًا .. اللواء لبيب شراب مدير إدارة المخابرات ، اقترح سفري إلى فرنسا أو إنجلترا .. لكن الفريق أبو غزالة رفض وأصر على سفري لأمريكا .. في هذه الفترة كان رئيس هيئة أركان حرب الولايات المتحدة في زيارة إلى مصر ، وأبلغني الفريق أبو غزالة أنه أبلغه بالموضوع .. ثم أخبرني بما قاله له بالنص قائلًا : «إنني أخبرته أنكم ستستفيدون من هذا الضابط أكثر من استفادته هو منكم .. ولو رفضتموه سيكون لنا موقف آخر معكم» ..

شكرته .. وبعد سفر رئيس الأركان الأمريكي ، أرسل فورا التصديق لي بالسفر والدراسة .. وسافرت في ١٩٨١ لمدة عام ونصف العام وعدت إلى الأكاديمية» ..

«يقول اللواء عبد المنعم كاطو .. الخبير الإستراتيجي : «كنت عميدًا في هذه الفترة ، وكان يحضر عندنا في الجيش الثاني لمتابعة مناورة أو مشروع ، وبمجرد أن يلمحنا ، نجده يرحب بنا ويسلم علينا بحفاوة وترحيب شديدين وبالاسم ، كان ودودًا ولا ينسى من عمل معه بل يقدره ويعتز به .. وكما ذكرت سابقًا أنني عملت معه فترة من أمتع الفترات في حياتي رغم قسوتها وهي فترة الاستنزاف والحرب» ..

كبير المحررين العسكريين جمال كمال يقول : «أول احتكاكي به أثناء رئاسة أركان حرب القوات المسلحة واقتربت منه .. كان تعامله مع الصحافة والإعلام يجري بشكل مختلف عمن سبقوه .. كان رجلًا واثقًا من نفسه» .

ونأتي لحدث في غاية الحزن راح على إثره العديد من خيرة رجال القوات المسلحة ، إثر تحطيم طائرة عسكرية كان على متنها وزير الدفاع المصري الفريق أحمد بدوي وعدد من قادة ورؤساء ومديري القوات المسلحة .. وتوفى الوزير بدوى والقادة .. ومن كان غير الفريق أبو غزالة مؤهلًا لهذا المنصب ولقد وقع عليه الاختيار لقيادة القوات المسلحة في مرحلة من أصعب ما يمكن .. مرحلة البناء والتعمير والتغيير ... وكعادته أثبت كفاءة وعمل بجد وإخلاص وتأنٍ ، وكان له مواقف وأحداث كثيرة لن ينساها له الجيش والشعب المصري والعالم العربي والغربي .. وتكون الوظيفة التالية ..



أعضاء الوفد العسكرى فى مفاوضات السلام بواشنطن برئاسة الفريق أول كمال حسن على
ود. بطرس غالى واللواء المجدوب واللواء أبو غزالة واللواء محسن حمدى



اللواء أبو غزالة الملحق العسكرى فى واشنطن يحضر أول اللقاءات بين الوفدين المصرى
والإسرائيلى .. اجتماع تمهيدى فى جناح الفريق كمال حسن على .. أكتوبر ١٩٨٧



دراسة وتحضير لجلسات التفاوض (واشنطن ١٩٧٩) فى بلير هاوس دار الضيافة للبيت الأبيض ومشاركة اللواء أبو غزالة الملحق الحربى فيها .. الذي يظهر فى الصورة ومعه اللواء محسن حمدى



دعوة على الغداء على شرف وفد مصر الرسمى للمفاوضات بمقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) فى وجود الفريق كمال حسن على والسفير أشرف غربال واللواء أبو غزالة واللواء لبيب شراب وشخصيات عسكرية وسياسية مصرية وأمريكية



الفصل الثامن

الفريق محمد عبد الحليم أبو غزالة قائدًا عامًا للقوات المسلحة

الفريق محمد عبد الحليم أبو غزالة وزير الدفاع والإنتاج الحربي والقائد العام للقوات المسلحة.. أدى اليمين القانوني أمام الرئيس أنور السادات، حضر أداء اليمين السيد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية، والدكتور فؤاد محيي الدين رئيس الوزراء ومنصور حسن وزير الدولة لرئاسة الجمهورية والثقافة والإعلام واللواء عز الدين مختار أمين أول رئاسة الجمهورية، واللواء حسن علام كبير الياوران.. أعقب حلف اليمين اجتماع مع الرئيس السادات وحضره السيد حسني مبارك.. أعطى الرئيس السادات توجيهاته للفريق أبو غزالة وزير الدفاع، والفريق عبد رب النبي حافظ رئيس أركان حرب القوات المسلحة فيما يتعلق بمستوى الإعداد والتدريب والتسليح للقوات المسلحة.. كما أعطى الرئيس توجيهاته بأن تتولى القوات المسلحة رعاية ابن الشهيد المشير أحمد بدوي ورفاقه الشهداء

٨ مارس ١٩٨١

جميع وسائل الإعلام المصرية

لم يكن أحد يعلم أن الطفل ثروت الذي أنقذه ابن عمه عبد العظيم من الغرق في ترعة الحاجر ، سيصبح فيما بعد المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، ذلك الرجل الذي أحبه الجميع ، وظل حتى وفاته بطلًا شعبيًا في عيون المصريين ..

إنجازات كثيرة تحققت في عهده داخل صفوف القوات المسلحة والتي أسهمت بتوجيه منه في التنمية الشاملة للدولة ومساعدتها للدول العربية والإسلامية .. مشروعات كثيرة لا تحصى ، اخترت بعضًا منها في هذا الفصل .

وعن هذه الفترة يقول الفريق عبد رب النبي حافظ : «في مارس ١٩٨١ وقع حادث مؤسف .. كان تحطم الطائرة الذي راح ضحيته الفريق أحمد بدوي وعدد من كبار قادة القوات المسلحة ، وتولى أبو غزالة قيادة القوات المسلحة ، وعينت رئيسًا لأركانها وكان التعاون وثيقا ومثمرا ، كالعادة عملت معه بأقصى طاقتي لمدة تقرب من العامين ونصف العام ، حققنا خلالها إنجازات كثيرة للقوات المسلحة وكان التفاهم بيننا واضحًا ، كلانا كان يفهم الآخر وطبيعة عمله واختصاصه .. خلت هذه الفترة من الصعوبات والتعقيدات بيننا ، وأسلوب التعامل كان واضحًا وصريحًا» .

الواقع أن المشير أبو غزالة .. سعى جاهدًا لتطوير وتحديث الجيش المصري جنودًا وسلاحًا ، كان يضع في الاعتبار طيلة الوقت ما يخدم الأمن القومي المصري .. اهتم بالتصنيع الحربي ، فأنشأ مصانع وزارة الدفاع ، ومنها مصنع ٢٠٠ ومصنع ٩٩ المتقدم ، وأثناء الحرب العراقية ــ الإيرانية والغزو السوفييتي لأفغانستان ، ازدهر الإنتاج الحربي لمصر في عهده لتتعدي صادرات مصر العسكرية مبالغ كبيرة عام ١٩٨٤ ، كما كان دائمًا يسافر للعراق يتابع مع القادة العراقيين ما يحدث بحربهم مع إيران ، وكان صاحب أفكار قوية جدا في هذه الحرب ضد إيران ..

ذلك على مستوى التسليح ، أما في مجال التنمية الشاملة للدولة والخدمة الوطنية وغيرهما فقدم الكثير والكثير ، هذا طبعا غير ما قدمه من تطوير داخلي كبير في القوات المسلحة واهتمامه بالضباط والجنود والعمل على كل ما يرفع روحهم المعنوية ، ويخدمهم وذلك حتى يكون العطاء والانتماء هدفيهم الأول والأخير» .

المشير أبو غزالة خدم معه ثلاثة رؤساء أركان حرب من أفضل ما يمكن .. قادة شاركوا من قبل في حروب مصر المعاصرة ، وأبلوا بلاءً حسنًا في حرب أكتوبر وهم صديقه ودفعته الفريق عبد رب النبي حافظ ، والفريق إبراهيم العرابي زميل ورفيق الميدان والحرب .. والفريق صفى الدين أبو شناف صديقه وزميل الميدان ، واستطاع بالتعاون معهم أن ينجز أعمالا في غاية الأهمية والروعة .. وقد غلب التناغم والوفاق على كل الفترات فلم يحدث خلاف أو تعارض بينه وبين أي منهم ، فهو منذ البداية يحدد الاختصاصات والواجبات ويطلق الحرية لكل منهم في إنجاز مهمته دون تدخل منه طالما في إطار ما تنص عليه اختصاصات وصلاحيات المنصب ..

يقول الفريق صفى الدين أبو شناف : «الفترة التي قضيتها في العمل معه في رئاسة الأركان كانت فترة مهمة ، امتازت كلها بالعمل والمجهود الشاق .. مرحلة بناء وتحولات كثيرة في الجيش المصري ومصر كلها .. وبرغم وجود صداقة قوية بيننا فإنها لم تؤثر على سير العمل ، فكل منا كان له دور للقيام به ، لكنها فترة ساعدت على زيادة التفاهم وإتقان العمل .. في البداية كنت أخشى حدوث احتكاك أو تضارب في الاختصاصات بيني وبينه ، وأتذكر أنه قال لي حتى يزيل هذا الإحساس :

«خذ كل اختصاصاتك كما يقول قانون الخدمة بالقوات المسلحة» .. وبدأنا ننطلق في العمل .. المشير أبو غزالة كان رجلًا متعلمًا وقائدًا عظيمًا ، لديه رؤية إستراتيجية عميقة وقدرة على اتخاذ القرار الصائب في وقت قصير . إنسانًا بمعنى الكلمة .. فمن المواقف التي أتذكرها له من الناحية الإنسانية أنه لم يرفض مطلبًا إنسانيًا أبدًا ، خاصة في موضوع المرض والعلاج ، فكثيراً ما كان يحتاج بعض الضباط للعلاج بالخارج وبدون تفكير يذلل لهم كلٍ العقبات من (وقت وروتين وغيره) ، ويأمر بسفر الواحد منهم وعلاجه فورًا على نفقة القوات المسلحة ، وكثيراً ما حظي الجنود وصف ضباط بجانب كبير من هذا الاهتمام .. فعندما اهتم بالقوات المسلحة لم يفرق بين قائد وضباط وجندي وصف ضابط ، ولذا فإنه قدم جميع الخدمات ليستفيد منها الجميع تبعًا للرتبة ومدة الخدمة في صفوف القوات المسلحة ، فقدم لهم (المساكن ، دور ونوادي الأسلحة والعلاج .. إلخ) ..

كان أيضًا دائم المرور على كل القوات المسلحة والأسلحة ليشاهد كل شيء بنفسه ، عندما فكر في إنشاء دور لجميع أسلحة الجيش كان هدفه التيسير على الضابط الذي لا يقدر على الذهاب هو وأسرته للغداء أو عمل فرح أو الترفيه في الخارج أو بالنوادي باهظة التكاليف ، ففكر في إنشاء مكان يتواجد فيه هو وأسرته ويكون بأسعار مناسبة ويحقق له شيئا من الخصوصية .. في الوقت نفسه أسس المدن العسكرية ، القوات المسلحة كانت موجودة داخل المدن .. أرض المعسكرات السابقة بدأ يبيعها وبثمنها أقام مدنا عسكرية مثل الهايكستيب ، والحمام بالمنطقة الشمالية وفي دهشور وغيرها .. مدنًا مشرفة تستوعب أعدادًا كبيرة من الضباط وصف ضباط وشرفيين» ..

ويقول الفريق عبد رب النبي رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقًا :

«من أهم المشروعات والإنجازات التي تحققت خلال هذه الفترة وكنت مشاركًا فيها أو عاصرتها ، مشروع إسكان القوات المسلحة ، وأنا شخصيًا كنت مسؤولًا عنه ، ويعتبر من أكبر المشروعات التي قامت بها القوات المسلحة وحققت هدفا نفسيا كبيرا ، نبعت فكرة هذا المشروع أثناء زيارتنا للوحدات والتشكيلات وشكوى كثير من الضباط «الرتب الصغيرة» من عدم توفر مسكن ، لهم وعدم تمكنهم من الزواج لظروفهم الاقتصادية الصعبة ومشاكل كثيرة جعلتنا نبحث الموضوع وندرسه بعناية ، وفعلًا استطعنا حل هذه الأزمة بفكر سليم وإمكانيات لا بأس بها .. ووجود الأجهزة التي عاونتنا مثل الهيئة الهندسية في عمل التصميمات والتخطيط والمتابعة والإشراف ، وتم إنجاز المشروع بنجاح .. في البداية كان المشروع مبنيًا أساسًا على منح كل ضابط يريد أن يتزوج شقة وبعد ذلك (وحتى الآن تطور المشروع وكبر وأصبح من حق كل ضابط الحصول على شقة) ، ولم يكن المشروع مقصورًا على الضباط فقط ، بل كان يشمل طلبة الكليات العسكرية منذ التحاقهم بالكلية ، حيث يقوم الواحد منهم بدفع مبلغ معين كل عام وفي فترة معينة وبرتبة معينة يحصل على الشقة مع سداد أقساط بسيطة على عدد من السنوات تخصم من مرتبه .. ولم يقتصر المشروع على الضباط فقط ، بل اشتمل صف ضباط وشرفيين .. وتم التوسع في هذا الموضوع وثبت نجاح القوات المسلحة في هذا المشروع ويعود الفضل الأول للمشير أبو غزالة ومن تولى رعاية المشروع من بعده» .

ومن أرشيفه الصحفي ، يقول المشير أبو غزالة : «على مستوى الخدمات سعينا كي لا نترك الفرد في القوات المسلحة لسوق العرض والطلب ، اقتحمنا مجالات الإسكان بإنشاء مجمعات مدن عسكرية متكاملة لكي نؤمن له المسكن الملائم وبسعر مناسب .. ونحن نسعى لكي نوفر لأفراد القوات المسلحة السلع الغذائية الأساسية بطريقة كريمة ، كما أننا نرتفع بمستوى الخدمة الطبية للجميع ضابطًا وجنودًا .. وليعلم الجميع أنني لا أعطي أفراد القوات المسلحة مسكنًا أو خدمة بأقل من تكاليفها ، فالقوات المسلحة ليست مؤسسة متميزة في مصر ، ولكني أعتقد أن من حق أفرادها أن يستفيدوا من قدرتها على التنظيم والاقتصاد والتنفيذ والمتابعة دون وسطاء ، وإن أسعار القوات المسلحة في مجال التشييد والبناء تقل عن سعر السوق المحلية بمتوسط يصل إلى ١٨% في بعض الأعمال بمتوسط يصل إلى ٣٠% لأن التنفيذ يتم بأسلوب علمي واقتصادي ، كما تتسم الإدارة بالإيجابية والسرعة في التغلب على مشاكل الروتين ، وأعتقد أن من حق الضابط والجندي أن يستفيد من ذلك» ..

عملية تسكين الوحدات :

نعود مرة أخرى للفريق عبد رب النبي حافظ والذي يقول : «بعد الحرب كانت الوحدات العسكرية تسكن الصحراء ، وبعد توقيع معاهدة السلام في ١٩٧٩ كان من الضروري إيواء أفراد تشكيلات القوات المسلحة داخل المعسكرات ، فنصفها تقريبًا دمر في القتال ، بالإضافة لزيادة حجم القوات المسلحة بنحو ثلاثة أضعاف ، وكان من الضروري إنشاء معسكرات جديدة وكانت عملية صعبة ومكلفة جدًا ، وانتهينا لإصدار قرار جمهوري بإنشاء جهاز بيع الأراضي يتبع القوات المسلحة ونستطيع أن ننشئ من خلاله المدن العسكرية ، وفعلًا تم البدء في المشروع عام ١٩٨٢ /١٩٨٣ ومن هذه المدن سيدي براني والهايكستيب والحمام وغيرها من المدن» ..

وعن نقل المعسكرات خارج المدينة ، يقول المشير أبو غزالة : عندما بحثنا إقامة مدن عسكرية ، أو كما نطلق عليه «إيواء عسكري» كتوزيع إستراتيجي للقوات المسلحة لمواجهة التهديدات بسرعة ، فأي دولة إن لم تكن قواتها موزعة توزيعًا سليمًا فلن تنجح في درء هذه التهديدات ، ورسمنا خطة معينة لهذا التوزيع الاستراتيجي ، وجدنا أنها ستكلفنا ٢٥٠٠ مليون جنيه وميزانية الدولة لا تسمح ، فرأينا أنه من الأفضل أن نبدأ في بيع الأراضي الموجودة داخل نطاق المدن ثم نبني بثمنها هذه المدن ، بحيث نغطي ثلثي التكلفة المطلوبة ويتوقف إخلاء كل المعسكرات الموجودة بالمدينة على سرعة وقدرة عمل قطاع الإنشاءات [٥٢] .

ونعود إلى الفريق عبد رب النبي حافظ والذي يكمل حديثه قائلًا : «مشروع آخر يذكر له وهو مشروع العربات ونجحنا فيه بحوالي ثمانية آلاف جنيه فقط يستطيع الضابط الحصول على سيارة على الزيرو ، ووجدت مشروعات الأمن الغذائي والتوسع فيها والهدف منها هو تدبير احتياجات القوات المسلحة بواسطة إمكانياتها من أجل عدم سحب احتياجاتنا من السوق المحلي ، وبدأنا بمشروعات الدواجن واللحوم والبيض والخضراوات وتربية العجول .. إلخ . وكانت تغطي احتياجات الكليات العسكرية والمستشفيات وفي نهاية المرحلة صار إنتاجنا متاحا للبيع خارج القوات المسلحة [٥٣] .

(٥٢) مكرم محمد أحمد ، حمدي لطفي ، يوليو ، ١٩٨٢ ، مجلة المصور المصرية .
(٥٣) نفس الإنجازات والمشروعات ذكرها الفريق صفى الدين أبو شناف .

دور القوات المسلحة بدأنا في إنشائها عام ١٩٨١ ، وتم تحديد الأماكن والأراضي وذلك حتى تكون موجودة بجانب إدارة النوادي بالقوات المسلحة وكنا نريد الارتقاء بهذه العملية وبدأنا بإدارة المشاة والمدرعات والمدفعية والدفاع الجوي والقوات الجوية إلى أن اكتملت كل الدور وغطت جميع الأسلحة بعد ذلك ، والمشروع كان ضخمًا وناجحًا ، وأفاد جميع الضباط وأسرهم وكذلك المدنيون والدور كانت متنفسًا لكثير من الضباط والمدنيين وساعدت على توفير قاعات لإقامة الحفلات والأفراح بأسعار مناسبة تقل كثيراً عن خارج القوات المسلحة .

في هذه الفترة ، وبرغم قلة الإمكانيات وعدم توفرها بصورة كبيرة وبرغم خروجنا من الحرب بسنين قليلة فإننا استطعنا عمل مشروعات كبيرة وناجحة ..

في اعتقادي أن أهم مشروع تم أثناء توليه الوزارة هو جهاز مشروعات الخدمة الوطنية ..

«وللأمانة فإن المشير أحمد بدوي بدأ في وضع بذوره ، وبدأنا في العمل به معه ، فقد كان أبو غزالة رئيس الأركان وأنا رئيس هيئة العمليات ، ولكن في نطاق ضيق إلى حد ما ، وعندما تولى أبو غزالة وزارة الدفاع تبني هذا المشروع ، ورعاه جيدًا وتوسع فيه حتى صار من أكبر الأجهزة على مستوى القوات المسلحة كلها وأيضًا أنشأ جهاز بيع الأراضي» ..

وفي حديث للمشير محمد عبد الحليم أبو غزالة مع أبو بكر عمر لمجلة الإذاعة والتليفزيون ، نشر في أكتوبر ١٩٨٣ قال : تردد كلام كثير حول أنه أصبح في القوات المسلحة جهاز خدمة وطنية وأمن غذائي وخلافه وسأعطيكم بعض الأرقام .. فقبل عام ١٩٦٧ قبل النكسة كانت متوسطات المشاريع التدريبية داخل القوات المسلحة ٨٠ مشروعًا في العام ، ما بعد النكسة ومن سنة ١٩٦٩ وحتى سنة ١٩٧٣ وعندما بدأت القوات المسلحة تقف على قدميها كان العدد ٤٠٠ مشروع في العام وقبل عام ١٩٦٧ ، كان أعلى مستوى كتيبة لا يقترب من ربع هذا العدد في العام ، لواء بالرماية وفرقة بدون رماية ، أما في هذا العام ١٩٨٣ /١٩٨٤ ــ فجرى تنفيذ ٣٨٣ مشروعا فيها فرقة بالرماية ، وانتهينا بمشروع على مستوى القوات المسلحة بين فرقتين متضادتين ، وهذا لم يحدث في تاريخ القوات المسلحة .. وهذا يوحى بأن العدد للمشروعات التدريبية يمثل تقريبًا ما كان لإعداد القوات لحرب أكتوبر ، وهذا يطمئن كل إنسان وكل مصري مخلص لبلده على القوات المسلحة التي ما زالت المسلحة ، ولا يوجد قائد لم يحصل على أركان حرب أو ليس حاصلًا على كلية الحرب أو دراسات عليا في تخصصه .. كذلك لا بد من حضوره المشاريع وهناك أسلوب معين في الترقي فلا بد أن يكون القائد قد تدرج في القيادة ، وأن يكون عنده خبرة معينة وحضر عددًا معينًا من المشروعات ، وبدأت الأمور تسير على أساس علمي سليم وحتى حرب أكتوبر كان لدينا الكثير من النقص وكان لدينا نقاط سلبية وضعف .

«ما زلنا مع الحديث عن جهاز الخدمة الوطنية .. ومن حديث له مع مجلة المصور في يونيو ١٩٨٢ ، وعن فلسفة إنشاء جهاز للخدمة الوطنية داخل القوات المسلحة .. أوضح المشير أبو غزالة أن جهاز الخدمة الوطنية يوجد به فرعان رئيسيان أساسيان ، مجموعة تسمى مجموعة المشروعات الغذائية والحيوانية ، ومجموعة تعمل في المشروعات الهندسية ، والمشروعات الغذائية والحيوانية تضم مزارع للبيض والدجاج وتربية الماشية والألبان ، والهدف الرئيسي منها توفير الغذاء لأفراد القوات المسلحة لمستلزمات إعاشتها يعني تخفيف العبء عن المجتمع ، فضلًا على اقتصاد النفقات ، وأشار إلى أن هذه المشروعات قد نجحت تمامًا ــ في هذه الفترة ــ في إحداث اكتفاء ذاتي من البيض واللحوم ، ووعد بأنه سيكون لدى القوات المسلحة اكتفاء ذاتي لباقي مستلزمات الطعام لاحقًا» .

وبالفعل هذا ما حدث ، وبالنظر لما وصلت إليه القوات المسلحة الآن ، نرى مدى نجاح هذا المشروع وتغطيته لكل القوات المسلحة ، وخدمته خارج القوات المسلحة أيضًا ، ومساهمته في توفير كثير من السلع الاستهلاكية بأسعار في متناول الجميع وتقل كثيراً عن السوق المحلي وبجودة تفوقه .. ليس ذلك فقط ، بل نجد مساهمته في الكوارث والأزمات المحلية والعربية والإسلامية والعالمية والمعونات التي ترسل إلى كثير من الدول في أزماتها المختلفة من زلازل وبراكين وحروب وأعاصير ومجاعة وغيرها ، ومن هذه الدول السودان وأفغانستان وأثيوبيا وجزر القمر ولبنان وحتى أمريكا في إعصارها السابق .. وغيرها من الدول .

نعود مرة أخرى لحديث المشير أبو غزالة عن الشق الآخر في جهاز الخدمة الوطنية ويقول : أما فيما يتعلق بالمشروعات الهندسية فإنه لدينا في القوات المسلحة طاقات هندسية ، وهي غالبًا ما تكون خاملة في وقت السلم ، إلا من بعض الأنشطة المحدودة ، فلدينا كتائب إنشاءات هندسية عملها إنشاء تجهيزات الحرب كالدشم والتحصينات وغيرهما ، لدينا كتائب لإنشاء الطرق هي التي أنشأت كل الطرق في مشروع الصالحية ، لدينا أفواج الإشارة مهمتها أن تقوم بمدِّ الكابلات للقوات المسلحة .. فماذا يمنع أن يعمل هؤلاء كل في مجاله وقت السلم .. سوف يوفر ذلك طاقات هائلة لمصر وفي الوقت نفسه فإن ما يفعلونه يمثل تدريبًا عمليًا لهم ، ومرة أخرى أقول: إننا لا نبتدع شيئًا جديدًا .. الأمريكيون لديهم لواء مهندسين في كل ولاية أمريكية مهمته المساعدة والنجدة في النكبات وتنفيذ المشروعات التي لا يجد القطاع الخاص أنها سوف تدر عليه عائدًا مجزيًا ..

والشيء نفسه نقوله هنا وهو ما آلت إليه القوات المسلحة الآن ، وما تقوم به من مشروعات وإنجازات عملاقة ومساهمة في الكوارث أيضًا والنكبات الداخلية والخارجية .. وكأن القوات المسلحة بمنظومتها الكبيرة تسعى لتأمين أمن البلد داخليًا وخارجيًا وتساهم في كل ما تقدر عليه من أجل خدمة الوطن وأبنائه .. سلسلة من العطاء والفداء يتناقلها القادة وتتوارثها الأجيال وهذه إحدى ميزات القوات المسلحة الكثيرة ..

نعود مرة أخرى للأمن الغذائي وفي حديث صحفي خلال فترة توليه وزارة الدفاع .. نجده يشير إلى أن الرئيس السادات طلب من القوات المسلحة الاشتراك في مشروعات الأمن الغذائي ، لذلك تم وضع خطة متكاملة تتم على مرحلتين :

المرحلة الأولى : مرحلة الاكتفاء الذاتي للقوات المسلحة من اللحوم والدواجن والبيض والألبان .. المرحلة الثانية : يصل فيها إلى مرحلة توفير الإنتاج بما يفيض عن احتياجات القوات المسلحة ، فقد تم إنشاء ١١ ألف وحدة إنتاج لحوم طاقتها ٣٣ ألف رأس سنويًا بالوجه البحري والقبلي .. ويجري إنشاء خمس وحدات أخرى .. أشار المشير أبو غزالة أيضا إلى أن القوات المسلحة تسهم في الخدمة المدنية فهي تشارك في تطوير وتحديث السنترالات .. وقد كلفت بإصلاح ٩٥ ألف خط تليفون في القاهرة والجيزة بأسعار تقل ٤٠% عن المناقصات العالمية ..

إن هذه الحقيقة هي التي دفعت الوزير محمد عبد الحليم أبو غزالة أن يحقق حركة الاكتفاء للضباط الشبان ليملك الضابط سيارته وشقته وكرامته في آن واحد .. وهو ما تحدثنا عنه سابقًا .

في حديث آخر يقول المشير أبو غزالة .. «لقد أقمنا قطاعًا للأمن الغذائي بعيدًا كل البعد عن التشكيلات والوحدات ، وهو في واقع الأمر مؤسسة متكاملة ، وتتيح إنشاء مزرعة بأساليب الميكنة الزراعية يعمل فيها ١٠٠ عسكري . هؤلاء لا يشكلون عبئًا على تدريبات القوات المسلحة ، ونحن نحمل المشروع تكلفته تمامًا من البداية للنهاية ــ فليس هناك أي تحميل على ميزانية وزارة الدفاع ، فنحن نعتبرها وحدة اقتصادية متكاملة تصرف على نفسها والناتج تشتري به القوات المسلحة ما تشتريه من السوق ، ونحن نتمنى أن نكون قادرين على الخروج من قطاع الاستهلاك لنوفر للمقاتلين وأسرهم الأمن الغذائي والاكتفاء للقوات المسلحة .

التسليح .. والبحث العلمي:

يقول اللواء دكتور حسام خيرت : «بالنسبة للتصنيع الحربي أنشأنا مصانع حربية والكل يعلم ذلك في فترة توليه قيادة القوات المسلحة ، وهي مصانع لم تنشأ من قبل ويصعب إنشاؤها بعد ذلك بعد أن علم الغرب بحصول مصر عليها ولوجود حظر دولي على جميع الدول في هذه المجالات ، فرصتنا كانت جيدة في الحصول على التسهيلات التي تمت والتمويل الذي توفر وحققنا من خلاله ، قاعدة صناعية عسكرية لا يمكن استيرادها من الخارج ولا يمكن منحها سواء كانت من الروس أو الأمريكان ، والحقيقة أن جميع الرؤساء ووزراء الدفاع المصريين تابعوا موضوع التسليح ، وكانوا يريدون أن يساعدوا في تطوير الأسلحة .. وكثيراً ما كنت أذهب للرئيس الراحل السادات والمشير أحمد إسماعيل والمشير أحمد بدوي والمشير أبو غزالة ، والذي اعتبر آخر وزير عملت معه قبل إحالتي للتقاعد ، أتذكر أنني كثيراً ما كنت أشترك في لجنة التسليح الخاصة بالمعونة الأمريكية ، وأذكر ذات مرة أنني طلبت أنواعا معينة من الأسلحة كنت أرى أنها مناسبة وتحقق توازنا بيننا وبين إسرائيل ورفض البنتاجون الموجود في اللجنة الأمريكية ، حجته كانت أنه يرى مصر دولة مسالمة ، ولا يهددها أحد وإن حدث فإن أي تهديد محتمل سيكون من السودان أو ليبيا ، أما إسرائيل فكان يرى أن أعداءها كثيرون سواء في سوريا أو إيران أو العراق وخلافه ، بالإضافة لوجود معاهدة السلام بيننا وبين إسرائيل .. منذ هذا الموقف وتلك اللحظة طلب منا المشير أبو غزالة الاعتماد على أنفسنا وتطوير أسلحتنا بأنفسنا لأنهم لن يعطونا السلاح الذي يحقق اتزانا وبشكل عادل، وطبعًا كما هو معروف فإن العدو الدائم والمنتظر لنا وللعرب دائمًا هو العدو الإسرائيلي .. وبما أن أمريكا هي المورد الرئيسي لنا فإنه لا حل إلا بالاعتماد على أنفسنا، وقد كان ولا يزال يتحقق حتى الآن .

المشير أبو غزالة كان يشجع البحث العلمي والإنجازات العلمية ، وأذكر أن أي فرد كان يحقق إنجازًا أو تطويرا يرصد له مكافأة .. موقف حدث معي .. «في يوم ما أنجزنا بعض التطوير الكبير وبتوفير هائل وكانت سلطة المشير أبو غزالة لا تتجاوز مبلغا معينا، فطلب مني عمل مذكرة بالإنجازات التي حققناها للعرض على الرئيس مبارك القائد الأعلى للقوات المسلحة ، لأن سلطته تعطي مكافأة أكبر وتقديرًا أقوى .. وبالفعل تم عمل المذكرة وقام بعرضها على سيادة الرئيس مبارك ، وحصلنا على مكافأة مادية ومعنوية وكنا أول ضباط نحصل على مكافأة مادية بشهادة تقدير من رئيس الجمهورية ، نظرًا لما قمنا به من إنجاز ، وذلك أيضًا بإيعاز من المشير أبو غزالة الذي كان يؤكد على أن يأخذ كل فرد اشترك معي حقه طبقًا للدور الذي قام به ..

من أرشيف المشير أبو غزالة الصحفي تأكد هذا الكلام وشاهدنا أنه كان يرى ان الضباط يجب أن يكونوا على درجة عالية من الحرفية ، ففي القوات المسلحة يجب أن يكون الضابط على درجة علمية ليس في المواد العسكرية فقط بل في المواد الفنية بالكمبيوتر وأجهزة التوجيه بالليزر فيجب أن يقدر على استخدامها وإصلاحها ، إذا لزم الأمر ، خاصة أثناء القتال لأنها إذا تعطلت في الطريق لن ينتظر حتى يأتي مهندس يصلحها ولكن الضابط وصف ضابط معه يصبحون قادرين على الإصلاح .. فلذلك يجب أن يرقى مستوى تعليم الضابط إلى مستوى قريب من المهندس بمعنى أن أعطيه جودة علمية وهندسية تتناسب مع المُعدَّة التي يعمل عليها ، ولو لم نطبق هذا ستفعل بنا إسرائيل ما تريده ، لأنها دولة متطرفة ولها أهداف توسعية رضينا أم لم نرض حتى مع وجود سلام ، فيجب أن نستوعب الدرس من الحروب السابقة ..

وكان يقول : «إننا عندما أتقنا السلاح في الحرب ٧٣ وأتقنا استخدام الصواريخ الموجهة ضد الطائرات والدبابات والسفن وهي تسمى بالأسلحة الذكية نجحنا .. وقبلها عندما لم نكن نتقن ولم تكن القاعدة العلمية للضباط وصف الضباط مرتفعة فشلنا إذن لا بد من التطوير لمؤسسة القوات المسلحة التي أعتبرها معهدًا عاليًا للتعليم المحترم العسكري والفني والمهني» ..

يقول الفريق صفى أبو شناف . : «التسليح كان من أهم أولوياته. أول مرة يتم التنوع في شراء الأسلحة ، كانت الدولة والرئيسان السادات وحسني مبارك يوافقانه على ذلك ، خاصة أننا كنا في مرحلة بناء ولم نكن نريد أن نقع تحت وطأة دولة بعينها .. فالتنوع والاستفادة بأكثر من نوع والتعامل مع أكثر من دولة كان بالطبع له مميزاته وفائدته ، كان له طفرة كبيرة في التسليح شملت كل أسلحة القوات المسلحة من دفاع جوي وقوات جوية وبحرية ومدفعية وغيرها» ..

وعن تنوع مصادر التسليح للجيش المصري بعد حرب أكتوبر ، وهل ساعد ذلك على خلق عقيدة قتالية قوية رغم تنوع مصادر السلاح .. وفي حديث مع فاطمة دياب لجريدة الوطن نشر في أكتوبر ١٩٨٨ أجاب قائلًا : إن العقيدة العسكرية والسياسات والأستراتيجيات هي مجموعة من المبادئ الرئيسية التي وضعتها القوات المسلحة في بلد ما لنفسها لترشدها في أدائها ، بما يحقق الأهداف القومية لها .. فما الضرر إذن في تنويع مصادر السلاح إذا ما كان يخرجنا من دائرة سيطرة مصدر واحد علينا ولا يجعلنا نخضع باستمرار لطرف معين أمدنا بالسلاح ..

بعد مذكرة تفاهم بين مصر وأمريكا في مجال التسليح ، قال المشير أبو غزالة في أحد اللقاءات الصحفية : «في القوات المسلحة المصرية يوجد عدد غير قليل من العلماء العسكريين الممتازين جدًا ، ولكن ينقصهم التدريب والعمل في أبحاث ضخمة مثل التي سيعملون فيها مع علماء أمريكا .. واشتراكهم في هذه البحوث مع العلماء الأمريكيين سيؤدي بالتأكيد إلى وجود فرق عمل علماء مصريين متخصصين في إنتاج سلاح متكامل وهذا في حد ذاته هدف كبير .

بالإضافة لذلك وصلت مصر إلى مستوى يشهد له الكثيرون في الصناعات الحربية ، العالم كله يعرف أن في مصر اليوم أساسًا قويًا لصناعة حربية قوية ، وأنواعًا عديدة من الأسلحة والذخيرة وقبول أمريكا «مذكرة التفاهم» والتي من بين بنودها التعاون في مجال الأبحاث والإنتاج الحربي يجب أن نأخذه بمفهوم أن هذه شهادة كبيرة لعلمائنا ولمستوى صناعتنا ، لأنه لا يمكن بدونها وصولنا للهدف ، ولولا هذا المستوى ما كان يسمح لنا بتحقيق مثل هذا الامتياز الذي حصلنا عليه من أمريكا .. وأعتقد أنه امتياز ، لأنه يحقق لعلمائنا احتكاكًا على أعلى مستوى في أبحاث بالغة التكلفة لا أستطيع توفيرها ، ولأنه أيضًا يسمح لي ببيع بعض منتجات الحربية المصرية إلى أمريكا كما تشير إلى ذلك مذكرة التفاهم .. وواصل حديثه قائلًا : «القوات المسلحة بدون تطوير لأسلحتها ومعداتها تتخلف عن أداء واجبها في حماية الوطن والمواطن والمشكلة الكبيرة التي نعيشها في أن التطور في مجال التسليح أصبح سريعًا ومذهلًا ومكلفًا .. الطائرة التي دخلناها في حرب ٧٣ تعتبر اليوم مختلفة جدًا بالنسبة للتطور الذي حدث في طائرات اليوم من حيث السرعة والتسليح والأداء . وحتى تكون القوات المسلحة قادرة على تحقيق أهدافها القومية لا يمكن أن تبقي متخلفة ، بل من الضروري أن تساير التطور وتتعامل في مختلف المجالات مع الأسلحة المتطورة .. (حديث بعد أكتوبر بـ١٥ عاما) .

في يوم ٤ نوفمبر لعام ١٩٨٢ ، وكما ذكرت الصحف في هذا التوقيت قائلة: «شهد الرئيس حسني مبارك نجاحًا جديدًا حققته الإدارة المصرية وذلك عندما حلقت في الجو أولى طائرات «الفاجيت» التي تم تجميعها وتصنيع أجزاء منها بأيد مصرية ، وأعرب الرئيس مبارك عن سعادته لهذا الحديث قائلًا : لقد كنت أتمنى منذ وقت طويل أن يبدأ هذا المصنع في العمل لأنه أنشئ بعد ثورة يوليو ، ولكنه لم يصل إلى مرحلة إنتاج طائرات التدريب ، أما اليوم فقد بدأ المصنع في عملية التصنيع الجزئي والتجميع لطائرة نفاثة متقدمة ، وسوف يؤدي هذا العمل إلى صناعات كثيرة جدًا مكملة داخل بلدنا ، ثم طالب الرئيس مبارك بضرورة تصنيع جميع أنواع السيارات الحربية داخل مصر [٥٤] ..

نعود للفريق صفى وموضوعات أخرى يقول فيها : «أبو غزالة أول من فكر في أرض العوينات» شرق العوينات «وكانت فكرته أن الأمن المركزي يجند بالآلاف وفي هذه الفترة كان العدد يقدر بأكثر من ٣٥٠ ألف مجند ، فاتفق مع وزير الداخلية في ذلك الوقت (اللواء زكي بدر) أن نصف هذه القوة تقضي الخدمة العسكرية هناك وفي الوقت نفسه تقوم بالزراعة والتعمير والعمل والعيش هناك .. ولكن للأسف لم تنفذ الفكرة ولم تستوعب الفكرة في ذلك الوقت .. عمل أيضًا على تطوير الخدمة العلاجية ، المستشفيات طورها بشكل كبير .. من أطقم العاملين «أطباء وأطقم التمريض» اختيروا بعناية فائقة ، وكذلك قام بتطوير الأجهزة وأدخل أحدثها وأسهم في إنشاء المزيد من المستشفيات العسكرية وتطويرها .. من إنسانية أبو غزالة أنه كان يمر بنفسه على كل الوحدات التشكيلات ويتسمع للشكاوي ولم يتأخر عن أي مطلب

(٥٤) جريدة الأهرام ١٨ أبريل ١٩٨٩ .. وعدد من الجرائد .

ويسعى لتنفيذه ولو علم أن صف ضابط تزوج أو أقام فرحا في أي ناد بالقوات المسلحة ، فإنه يقود سيارته بنفسه ويذهب للتهنئة دون أن يعلم أحد ويجامله .. استراحته ومكتبه كانا في غاية البساطة لم يحب الترف والتعالي في أي شيء .. وكان الشيء الغالب عليه هو عشقه للقراءة والكتب ، كان لديه مكتبة وسرير سفارى في مكتبه حتى يقرأ ويستريح قليلًا لو غلبه النعاس .

حياته كانت بسيطة ولم يتملكه الغرور أو التكبر لحظة .. كل فكرة أو إنجاز جيد يريد أن يقدمه للقوات المسلحة .

وعن مساهمة القوات المسلحة في مشروعات الدولة :

في حديث له مع زينب الصيرفي ، نشر بجريدة الأهرام في أكتوبر ١٩٨١ ، كتبت فيه : (إن القوات المسلحة ، وعلى رأسها المشير أبو غزالة ، قامت بالمشاركة في عمل آلاف الخطوط التليفونية في العديد من المحافظات . بالإضافة إلى شبكة المايكرويف والأجهزة متعددة القنوات التي تقام في الأماكن التي يصعب مد كابلات فيها ، والاتصال بين البحر الأحمر والعريش ، وبين القاهرة يتم بهذا النظام ، وأسهمت القوات المسلحة في إنشاء العديد من الطرق والكباري والتي قامت بتنفيذها من ميزانيتها دون أن تتحمل الدول أي أعباء مالية) .. نترك الإنجازات ونتكلم عن ذكريات من خدموا معه في هذه الفترة ..

وعن علاقته بالقادة أثناء خدمته كوزير ، يقول اللواء محسن حمدي : «بعد أن توفى الفريق أحمد بدوي ، وتولى الفريق أبو غزالة منصب وزير الدفاع ، تدعمت صلتي به أكثر وكذلك علاقاتي معه التي بدأت منذ أن كان ملحقًا للدفاع بواشنطن ، المشير أبو غزالة شخصية محترمة واثقة من نفسها .. ويثق في زملائه وأصدقائه ومن يتعامل معهم يمنحهم الثقة .. فمثلًا كنت أذهب إليه فيقابلني فورًا مهما يكن مكتبه مزدحما ، وبمجرد دخولي إليه كان يقول لي ــ بلا مبالغة ــ تصدَّق .. تصدَّق يا محسن ..موافق على ما تريد .. من غير أن يسمعني وهذا لم يأت من فراغ ، بل من عشرة وخبرة وثقة وتعاملات سابقة ولأنه أيضًا يعلم أنني كنت أعرض تقاريري من قبل على مدير المخابرات ورئيس الأركان .. ولم يوجد سابقة أو تصرف فعلته وكان خاطئًا من قبل .. وكان أيضًا يعلم أنني أحقق شيئا إيجابيًا ونتائج ملموسة مع الإسرائيليين ، وذلك يراه من تقاريري وما أحققه من نتائج مع الإسرائيليين .. أنا كنت أمثل وفد مصر وأسعى لعمل احترام وهيبة لها ، ولديّ إطار محدد لا أتعداه ، وأعرف متى أستأنف ومتى أنسحب .

باختصار كان يخلق الثقة فينا ، ويؤكد لنا أنه يثق فيما نفعله ويشجع ويساند .. وكانت معاملته تجعل الفرد يتشجع ويعمل أكثر .. لم يكن أيضا يتردد في قراراته وصاحب قرار وشجاع ..

«على الرغم من أنه لم يسع لإيذاء أحد أو عقابه ، فإن القوات المسلحة كانت منضبطة وحازمة وصارمة أثناء فتره توليه قيادتها .. حب الناس له كان يجعلهم ملتزمين ولم يوجد خطأ أو تبجح» .. ونفس ما قاله اللواء محسن ذكره كل من خدموا معه وسجلت معهم شهاداتهم .

قبل أن نترك هذه الفترة ، نشير لبعض إجاباته عن أسئلة حيوية ومهمة فمثلًا سُئل عن رأيه بشأن ماذا يكون موقف مصر إذا اعتدت إسرائيل على أي دولة عربية ؟

وكان جوابه قائلا : «موقفنا السياسي معروف ، إننا لا نشجع العدوان وننادي بأن تعيش كل دولة في سلام وآمنة في حدودها ، وإن أي اعتداء لابد أن تشجبه جميع القوى ، ولذلك لا يمكن أن نقبل بشكل أو آخر أن تعتدي أي دولة على أخرى في المنطقة لأننا ننادى ونريد السلام» ..

وعن الوضع إذا حدث عدوان هل سيكون لمصر تدخل عسكري مباشر ؟

أجاب قائلا : «من ناحية التدخلات العسكرية فهذه سياسات عليا ، وإستراتيجية تمليها علينا مصالح مصر أساسًا ، ولا يمكن أن نتنبأ بما سيحدث ، وإذا حدث فسيكون هناك رد فعل مباشر في وقتها ولا يمكن أن نضع دائمًا كلمة (لو) حتى لا نخلق جوًا من التوتر قد يؤدي فعلًا إلى حدوث العدوان ، ونحن نقول دائمًا: لا عدوان ولا بد أن تكون كل دولة في أمان ، ولديها الأمن ونحن نسعى لحل القضية الفلسطينية ، لأنها في رأيي إذا حُلَّت فستحل كل مشاكل الشرق الأوسط» .. ونترك كلماته وننتقل لآخر منصب رسمي يتولاه وهو منصب سياسي مهم ، وقام به أيضًا بأدوار لا تقل أهمية عما قدمه سابقًا .. ويكون منصب مساعد السيد رئيس الجمهورية .. ونقلًا عما نشرته الصحف في هذه الفترة تكون بداية الكلمات ..

منصب مساعد رئيس الجمهورية :

أثار قرار تعيين المشير أبو غزالة مساعدًا لرئيس الجمهورية أصداء واسعة لدى المحللين السياسيين في الخارج والداخل ، وحملت وكالات الأنباء برقيات مطولة تحمل محاولات واجتهادات لتفسير أسباب هذا القرار ، فالرجل لم يكن وزيرًا عاديًا في الحكومة ، وإنما كان وزير الدفاع ، ونائب رئيس الوزراء المعروف عنه قربه الشخصي من الرئيس مبارك ، الذي جمعت بينهما رفقة السلاح في ثلاث حروب متتالية مع إسرائيل، وهو أيضًا الرجل المشهود له بالإخلاص الوطني والكفاءة العالية

والسجل الوطني الحافل بجهده الذي ستتذكره الأجيال في تحديث القوات المسلحة تكنولوجيًا وتطوير أدائها ورفع كفاءتها .. لذلك نال خبر تعيينه مساعدًا لرئيس الجمهورية اهتمامًا بالغًا من الرأي العام في مصر وفي خارج مصر .. وفي حقيقة الأمر فإن انتقال أبو غزالة من موقع وزير الدفاع إلى موقع مساعد رئيس الجمهورية لا يعدو أن يكون انتقالًا لأداء دور آخر في العمل الوطني تتطلبه هذه المرحلة لأن المطلوب دائمًا ـ وفي مصر بالذات ـ هو إثراء المناصب المهمة بدماء جديدة باستمرار ومنصب وزير الدفاع في مصر له أعباؤه الجسام ، وقد شغله أبو غزالة لأكثر ٨ سنوات متواصلة ، شهدت تنفيذ مهام جسيمة وأعباء ثقال ، ولكل مسؤول طاقة للاحتمال لا يستطيع تجاوزها مهما تصدق نيته في البذل والعطاء ، ومهما يبلغ إخلاصه الوطني ورغبته في خدمة بلاده .. واختيار الرئيس مبارك لأبو غزالة مساعدًا له حلقة جديدة في سلسلة المهام التي رشحه واختاره لها منذ زمن طويل ، فالرئيس مبارك هو الذي رشحه للرئيس السادات ليشغل منصب رئيس الأركان ثم منصب وزير الدفاع وهو الذي اختاره بعد أن تولى رئاسة الجمهورية نائبًا لرئيس الوزراء ثم أخيرًا مساعدًا لرئيس الجمهورية وهو أول اختيار من جانب الرئيس مبارك لشغل هذا المنصب .

يقول الراحل جمال كمال ، كبير المحررين العسكريين : «الرئيس مبارك أثناء تولي المشير أبو غزالة هذا المنصب منحه مجموعة من الوزارات كجزء من اختصاصه ومنحه مهمة تعمير سيناء وشارك فيها بكل عطاء وإخلاص ومنحه جزءا آخر وهو التنسيق بين وزارات الخدمات .

أكبر دورين قام بهما أثناء توليه هذا المنصب .. الدور الأول .. خلال الغزو العراقي للكويت .. وذلك عندما استضافت مصر القمة العربية الطارئة لمواجهة الغزو العراقي وكان ضمن الوفد المصري .. ووظيفته كانت القيام بالشرح الإستراتيجي للموقف .. وتوقع ما يفكر فيه الرئيس صدام حسين والمخاطر الأمريكية المحتملة ، وأدلى في هذه الفترة بكثير من الأحاديث التلفزيونية والصحفية ..

الدور الثاني : «مساهمته في إسقاط الديون العسكرية عن مصر وكانت نحو سبعة مليارات دولار .. وكان ذلك بتكليف من الرئيس مبارك له شخصيًا ، وقام المشير أبو غزالة بتشكيل فريق على أعلى مستوى ودرس جيدًا كل شيء واستغل علاقاته بأعضاء الكونجرس ومساعديهم ومكث معهم نحو اثني عشر يومًا حتى نجح في مهمته» ..

قيل أيضًا بالصحف القومية أنه أثناء توليه منصبه كمساعد رئيس الجمهورية وبعد حرب تحرير الكويت ١٩٩١ ، ذهب إلى واشنطن لإجراء مباحثات مع كبار المسؤولين وأعضاء الكونجرس لإسقاط الديون العسكرية الأمريكية عن مصر . وبالفعل سقطت الديون العسكرية وكان هذا سببًا في إسقاط كثير منها ، بجانب كثير من الدبلوماسيين المصريين ودورهم الكبير ..

وبدا مألوفًا في هذا المنصب ، أن يستقبل رؤساء وسفراء أجانب ويدير جانبًا من السياسة المصرية في أهم الملفات الإقليمية وقتها ، ويصرح لوسائل الإعلام بآرائه حول الموقف من مختلف القضايا العسكرية وغير العسكرية ، ويسافر إلى الخارج لعقد مباحثات ومفاوضات مع دول العالم باسم مصر .. ويستمر في منصبه يعمل بكل ضمير وإخلاص إلى أن بدأ يشعر بالتعب والإرهاق ، وآثر أن يقدم استقالته ويتفرغ لكتاباته وترجمته .. وقدمها في ١٩٩٣ وفضل أن ينعزل عن الحياة الهامة ويعيش في صمت بعد أن أدى مهمته وأرضى ربه وضميره ..

وفي نهاية الحديث عن هذه الفترة ، فإن الشيء المؤكد أن المشروعات المختلفة والخدمات المتنوعة التي قدمها المشير أبو غزالة للعسكريين والمدنيين على حد سواء زادت من رصيده وشعبيته، بالإضافة إلى جاذبيته الشخصية وحضوره الطاغي ، إلى جانب دهائه السياسي وعلاقته الأبوية التي أقامها في مواقع مختلفة من الحياة المدنية والعسكرية .. ونتجه لحديث آخر عنه ..



الرئيس الراحل أنور السادات يسلم على الفريق أول أبو غزالة لحظة توليه قيادة القوات المسلحة وتعيينه وزيراً للدفاع .. وفى حضور كبار رجال الدولة



الرئيس محمد أنور السادات يتوسط وزير الدفاع الفريق أول أبو غزالة ورئيس الأركان الفريق عبد رب النبي حافظ



المشير أبو غزالة والفريق صفى أبو شناف وكبار قادة القوات المسلحة فى النصب التذكارى خلال احتفالات أكتوبر المجيد



المشير أبو غزالة يتوسط الفريق صفى أبو شناف واللواء حسنى سليمان خلال احتفالات القوات المسلحة



أبو غزالة شخصية دائما مبتسمة .. محبة للآخرين .. وهذا سر حب الآخرين له



دائما ما كانت اجتماعاته برجال القوات المسلحة تغطى كل الموضوعات التى تهمهم



حوار باسم مع وزير الدفاع ورئيس أركانه واثنين من مساعديه .. وكبار قادة القوات المسلحة



أثناء تفقده لأحد المشروعات بالقوات المسلحة



المشير أبو غزالة ينظر باهتمام إلى نماذج من الأبحاث التى قامت بها الكلية الفنية العسكرية .. يبدو فى الصورة اللواء محمد طلبة وبعض قادة القوات المسلحة



المشير أبو غزالة .. ووزير التخطيط د. الجنزورى وقائد الجيش الثانى اللواء عبد المنعم سعيد
وعدد من كبار القادة والمسئولين بالدولة .. خلال أحدى مباريات كرة القدم التى كان يعشقها



وزير الدفاع المشير أبو غزالة وقائد الجيش الثانى الميدانى اللواء عبد المنعم سعيد
خلال أحد المشاريع التكتيكية بالجيش الثانى



وزير الدفاع ورئيس أركانه يتابعان بتمعن أحد تدريبات القوات المسلحة للتأكد من كفاءة وحسن الاستعداد القتالى



المشير أبو غزالة واللواء أحمد صلاح .. وكبار قادة القوات المسلحة .. وفى أقصى اليمين اللواء عثمان الخواص خلال افتتاح تجديد مستشفى الحلمية العسكرى للعظام



الفصل التاسع

أحداث وقعت أثناء خدمته

يقول الدكتور بطرس غالي في كتابه «طريق مصر إلى القدس»:

بعد علمي بحادث اغتيال السادات، وعودتي للقاهرة توجهت مباشرة لوزارة الخارجية، وقابلت الوزير كمال حسن علي وتعانقنا في صمت ثم قال : " إنها خسارة لا تعوض.. لقد كانت مؤامرة عظيمة الخطر علينا".

وكان سؤالي الأول ل

ورد كمال حسن قائلا: إن الجيش لن يلوثه ابدا الاصوليون والشيوعيون.. إن الجيش شديد الولاء لوطنه في المحل الأول .

أحداث كثيرة مرت بها مصر والعالم العربي والغربي خلال فترة قيادة المشير أبو غزالة للقوات المسلحة .. أمور كثيرة احتاجت إلى تدخل مباشر منه ومن القوات المسلحة .. وثبتت كفاءة إدارته لكل الأزمات التي تدخل فيها ومن معه وذلك بفضل الله والقيادة الرشيدة الحكيمة والتناغم الموجود بينه وبين باقي الرجال المسؤولين في هذه الفترة .

.. إنها فترة عصيبة .. فترة أزمات وتحولات .. بناء وتعمير .. اقتصاد ورأس مال .. فترة سلام .. وسكينة .. استرداد آخر بقعة من أرض مصرنا الحبيبة ومن أنياب العدو الغاشم .. أحداث كثيرة طفت على الساحة .. اخترت هذه الأحداث للاستشهاد بها لا أكثر .. فلا نستطيع أن نذكر شخصية المشير أبو غزالة دون التطرق إليها .. ونبدؤها بالحادث الأليم .. حادث اغتيال الرئيس محمد أنور السادات في السادس من أكتوبر ١٩٨١م .

اغتيال الرئيس محمد أنور السادات :

حينما ننظر إلى جريمة اغتيال الرئيس السادات ، فسنجد أن ما حدث كان جزءًا من مخطط رهيب واسع ، تتداخل فيه تنظيمات إرهابية مع هذه المجموعات التي تم تجنيدها ، ومنها الملازم خالد الإسلامبولي لتنفيذ عملية الهجوم الخاطف على منصة

العرض العسكري ، وبعدها الاستيلاء على الإذاعة والتليفزيون وسنترالات التليفونات وإذاعة بيانات المتآمرين وإعلان ثورة دموية ، وبدون دخول في تفاصيل يتضح عدد من الحقائق الخاصة بالقوات المسلحة وهي :

* إنه لم يوجد تنظيم عسكري سري لهؤلاء المتآمرين داخل القوات المسلحة المصرية ، وقد تأكدت القيادة العامة من نظافة جميع الوحدات من مثل هذا التنظيم أو غيره ، والقاعدة العريضة الأساسية للقوات المسلحة سليمة تمامًا وخالية من الشوائب والخوارج عن الدين .

* إن الضابط المتهم خالد الإسلامبولي لم يستطع تجنيد أحد من السرية التي يخدم بها ــ في سلاح المدفعية ــ للاشتراك معه في العملية ، ولذلك استعان بثلاثة من المجندين السابقين الذي تركوا الخدمة ولهم تاريخ سابق في الانحراف الديني ، وهم من الجناح العسكري للتنظيم الإرهابي ، وهو جناح هزيل وعدده محدود . [٥٥] .

* ماذا فعلت القوات المسلحة والمشير أبو غزالة فور اغتيال الرئيس السادات ؟

من أرشيف المشير أبو غزالة الصحفي نتعرف على آخر جملة كانت بينه وبين الرئيس السادات قبل أن تقع مؤامرة الاغتيال والتي يقول فيها :

«أثناء عرض الطائرات كانت كل أنظارنا مركزة عليها ، ولذلك فالذي أذكره أن أخطر حديث جرى معه كان قبل الحادث بلحظات ، وكان يدور حول ما كان يفكر فيه بالنسبة ليوم ٢٥ أبريل .. وكان تفكير أن يقيم احتفالًا ضخمًا جدًا بمناسبة استعادة سيناء في هذا اليوم طبقًا لمعاهدة السلام ، وأذكر أنه طلب مني في هذا اليوم أن أجهز له كشوفًا بأسماء كل الذين يجب أن نكافئهم في هذه المناسبة ..

(٥٥) نوفمبر ١٩٨١ مجلة آخر ساعة / وعدد من الجرائد التي صدرت في هذا التوقيت .

هذه السعادة سببها فرحته بالعرض العسكري ، ولو تذكرت سنجد أن هذا العرض كان قد جرى في إطار دراسة راعينا فيها عدم المبالغة ، وفي الوقت نفسه عرض النوعيات الجديدة من التسليح ومستوى التدريب الراقي للمعدات الغربية التي انضمت إلى القوات المصرية قبل العرض بأسابيع قليلة جدًا مثل الدبابات إم ٦٠ والطائرات الشينوك ، والذي لا يعرفه الكثيرون أن آخر مجموعة دبابات تسلمناها وصلت قبل العرض بثلاثة أسابيع فقط وكانت عملية إشراكها في العرض وما يحتاج ذلك من تجهيز أطقم قيادة لها يعتبر عملًا خارقًا يستطيع العسكريون من كل العالم أن يعطوه حقه من التقدير [٥٦] .

وعن حادث المنصة يقول : بلا شك كان الهدف من العملية هو اغتيال الزعيم السادات والقضاء على القيادة المصرية كلها .. بدليل إطلاق الرصاص من الرشاش الذي كان يحمله الضابط والبنادق الآلية مع الآخرين بطريقة عشوائية ، وبدليل آخر القنابل اليدوية الدفاعية التي ألقيت على المنصة واحدة انفجرت وأصابت شظاياها الجالسين في الصفوف الأولى ، والاثنتان الأخريان لم تتفجرا من لطف الله ، وسقطت واحدة منهما أمام الزعيم السادات مباشرة وكان يمكن أن تنسف جميع الجالسين في الصف الأول ، أما الثانية فقد ارتطمت بوجه عبد رب النبي حافظ رئيس الأركان وأصابته بجرح غائر في وجنته وسقطت في حجره ، وقد رأيت فيما بعد الرصاصة التي اخترقت الكاب العسكري بفارق سنتيمتر واحد من رأسي ، واكتشفت أن هناك رصاصتين أخريين اخترقنا طرف الجاكيت ناحية الصدر ، وما زالت هناك شظية في الجفن الأسفل بالعين اليسرى ، وشظية أخرى في أذني ، ولكن إرادة الله أقوى من أي تدبير .

(٥٦) صلاح منتصر ، مجلة أكتوبر في أكتوبر ١٩٨٢ .

ويؤكد أبو غزالة عدم وجود تقصير أو تراخ من جانب الحراسة ، ولكن عنصر المفاجأة كان له دخل كبير في تنفيذ الجريمة ، بالإضافة إلى حدوث إطلاق الرصاص لحظة العرض الجوي المبهر لطائرات الميراج .

وعن لحظة الضرب يقول : لا أستطيع أن أتذكر ، الرئيس نفسه كان عامل إيه ، لأن قبل ذلك كنت أركز تجاه ضرب النار ، وكل الذي أتذكره أنني رميت نفسي فوقه وبعدما سكت الضرب قام البعض بجذبه من تحتي وبدأت أنا أقوم. وكل ما اتجه إلى تفكيري هو كيفية السيطرة على القوات المسلحة من موقع مسؤوليتي ، وكان هناك بعض القادة قد ظهروا أعطيت لكل منهم أمرًا أن يعود فورًا إلى مركز قيادته ويبلغني بكل التفاصيل .

.. وبعد ذلك ركبت مع الفريق محمد على قائد القوات البحرية عربته وكانت خلف المنصة وطلبت منه بسرعة أن نذهب إلى غرفة العمليات بالقيادة العامة ولدرجة أني لم أنتبه أني كنت لحظتها بدون كاب لأن الكاب كان قد وقع من فوق رأسي ، ولما وصلت مبني القيادة طلبت من الفريق محمد على أن يذهب فورًا إلى الإسكندرية ليسيطر على القوات البحرية [٥٧] .

ويعود لحديثه عن لحظة وصوله إلى مبنى القيادة العامة فيقول :

أول شيء أعطيت تعليمات إلى قوات الدفاع الجوي وإلى القوات الجوية أن ترفع استعدادها خوفًا من أن تكون العملية أكبر من عملية اغتيال محدودة أو يكون خلفها قوة أجنبية ، ولهذا كان من أهداف تعليماتي تأمين الحدود المصرية شرقًا وغربًا ، وفي كل اتجاه وإعطاء أوامري بإغلاق الأجواء المصرية وأن تكون القوات الجوية مستعدة للتعامل مع أي طائرة أجنبية تقتحم سماءنا .

(٥٧) حديث له بمجلة آخر ساعة في نوفمبر ١٩٨١ .

وعن إصابته يقول : كنت أصبت فعلًا ، والطبيب حضر إلى مكتبي هنا وأنا أصدر تعليماتي العديدة إلى القيادات المختلفة وأتلقى منها بالتليفون واللاسلكي إشارات وتقارير عن أوضاعها ، وفي خلال كل ذلك خلعت بدلة الاحتفال لكي يتمكن الطبيب من فحص إصاباتي ، وارتديت بدلة أخرى ولكن دون أن أتوقف عن اتصالاتي التي كنت أجريها ، وربما كان السبب في ذلك ثقتي أن إصاباتي لم تكن خطيرة والحمد لله فإنها لم تكن كذلك .. فأنا أصبت في ذراعي وفي أذني وعندي شظية ما زالت تحت عيني وبعض الشظايا الخفيفة .

وعن معرفته بوفاة الرئيس السادات ، يقول : إنه لم يعرف بوفاته إلا متأخرًا لأن اهتمامه كله كان مركزًا على القوات المسلحة ، وأيضًا على تأمين الأماكن الحيوية في القاهرة ، ولهذا كان هناك اتصال مستمر بيني وبين وزير الداخلية لكي أرتب معه إذا كان يريد مساعدة الشرطة العسكرية (٥٨) .

يقول الفريق عبد رب النبي حافظ عن حادث اغتيال الرئيس السادات :

«حادث كان في غاية السوء والأسف ومن الصعب جدًا حدوثه لكنه حدث وهناك استحالة أن يتكرر مرة أخرى ولكنها مشيئة الله والقدر ، الحقيقة أن القوات المسلحة استطاعت بعد هذا الحادث .. أن تستوعب الحدث بسرعة وكانت أولى مهام الرئيس مبارك بعد توليه مهمته كرئيس للجمهورية عقد لقاء بالقوات المسلحة ، وتم اللقاء في مجمع القوات المسلحة ، وتكلم الرئيس عن دور القوات المسلحة وظروف الحادث إلى آخره وذلك بعد الحادث بأيام قليلة .. الموضوع كله كان في القضاء العسكري وكان جهة تحقيق كفء ، وانتهى بالأحكام وتنفيذها» .

(٥٨) المصدر السابق .

يقول اللواء منير شاش : «عندما كان أبو غزالة وزيرًا للدفاع ، كنت أنا مديرًا لسلاح المدفعية وعن أهم الأحداث في هذه الفترة والتي لا نستطيع أن نتحدث عن أبو غزالة دون ذكرها هي قصة اغتيال الرئيس السادات .. وعن هذا اليوم أتذكر أننا كنا في المنصة والجميع سعداء بالعروض المقدمة من القوات الجوية والألوان التي تزين السماء وأنا عيني على طابور المدفعية .. وفجأة وجدت مدفع ١٣٠ مللي يقف أمام المنصة وبعد صدمتي الفجائية قلت في نفسي : إيه الحظ السيئ ده .. يعني ما يعطلش إلا هنا أمام المنصة «ثم سرعان ما سار مرة أخرى ثم وجدت الإسلامبولي وكان ضابط مدفعية من عندي يقف أمام المنصة ويوجه رشاشه نحو المنصة ، وأخذت أقول في نفسي يعني لا تأتي إلا منك ومن عندي ؟؟ ولا أستطيع أن أصف مشاعري المختلطة مهما أقل ومن صدمتي ظللت في مكاني لحظات مرت علي دهرا من الزمن .. كنت في الصف الرابع وبعد إفاقتي من ذهولي نزلت بسرعة واتجهت ناحية الرئيس السادات وأبو غزالة ، ووجدت الرئيس نائمًا على جنبه يسيل من فمه دم أزرق .. وأبو غزالة واقفًا مذهولًا .. وبسرعة تم نقل الرئيس إلى المستشفى ، وتحرك المشير أبو غزالة إلى الوزارة لإدارة الموقف من هناك .. وتحركت أنا بعده بعربتي وأخذت المدفع الذي قام بهذه العملية الغادرة ، وجمعت العساكر وسألتهم عما حدث في القيادة .. وبعد ذلك أخبرت أبو غزالة بكل ما تم بتفاصيل القصة ، وهنا أدركنا أن الرئيس السادات قد فارق الحياة في يوم احتفاله بنصره وبين أبنائه وكانت لحظات أليمة علينا جميعًا ..

وبعد ذلك اختير حسني مبارك رئيسًا لمصر ، بعد أن كان نائبًا لرئيس الجمهورية وبانتخاب من مجلسي الشعب والشورى وبعدها تمت إحالتي للتقاعد وعينت محافظًا لشمال سيناء..

أزمة الأمن المركزي فبراير ١٩٨٦:

في فترة توليه وزارة الدفاع وقع كثير من الأزمات الداخلية والخارجية ، والتي استطاع أن يحتويها وينجح في مهمته بتفوق .. ومن أشهر هذه الأزمات حادث التمرد الشهير لجنود الأمن المركزي يومي ٢٥ و ٢٦ فبراير عام ١٩٨٦ .. والذين قاموا بتخريب الكثير من الممتلكات بالجيزة بشارع الهرم ، إثر منشورات مجهولة المصدر بالتجديد لهم عاما آخر ، وقد أطاح هذا الحادث بوزير الداخلية آنذاك أحمد رشدي ، وطلب الرئيس مبارك من الجيش التدخل لمعالجة هذا التمرد ، وقد نجح المشير أبو غزالة في احتواء التمرد ..[٥٩][٦٠] .

*** يقول الفريق أحمد صلاح : «عملت معه رئيسًا لهيئة العمليات لمدة ثلاث سنوات وعينت مساعدًا له نحو عام وأكثر ، وواجهتنا عدة مواقف وحكمي عليه كمرؤوس له تشهد أنه رجل عظيم .. من طباعه أن يثق فيمن معه ويتابع العمل بطريقة جيدة وبسيطة كان لينا بلا ضعف .. قويا بلا قسوة .. من أهم المشاكل التي واجهتنا شغب الأمن المركزي عام ١٩٨٦ .**

الشيء الثاني .. سلوك القوات المسلحة كان سلوكًا حضاريًا وعظيما ونبع ذلك من توجهاته وشخصيته لدرجة أن أفراد القوات المسلحة ، ضباطا وجنودا . كانوا منتشرين في القاهرة وأشاد بهم الشعب ، سلوكياتهم كانت حضارية وكنا نرسل لهم وحدات استحمام في المداس ونعطي الوحدات الصغرى أكياس قمامة حتى لا يرموا القمامة في الشارع ، وبناءً على توجيهاته كنا نصرف للجنود جنيها لكل فرد حتى لا يحتاج لأحد ..

(٥٩) جريدة المصري اليوم ، الجمعة ١٤ نوفمبر ٢٠٠٨ .
(٦٠) الأرشيف الصحفي للمشير أبو غزالة .

ومصداقًا لهذا الكلام بعد انتهاء الأزمة زارنا وزير الداخلية اللواء زكي بدر واثنان من مساعديه هما اللواء فاروق الحيني ، واللواء عبد الكريم درويش وكانوا يتكلمون بفخر عما قدمته القوات المسلحة .

.. وأشار اللواء عبد الكريم إلى أن أداء الضباط والأفراد والنقط الموجودة على الكباري والمناطق الحاكمة سلوك حضاري ، والذي بمجرد رؤيتهم لأي فرد معه تصريح أو وظيفته تسمح له بالتحرك ، حتى ولو كان هناك حظر تجول ، فكانوا يتعاملون معه بلطف وطبعًا هذا يرجع للمشير أبو غزالة ..

يقول اللواء عبد المنعم سعيد : أثناء حادث الأمن المركزي نزل من عندي تشكيل بالكامل في وسط البلد ومصر الجديدة ومدينة نصر .. فالمعروف وجود خطة وهي معاونة الجيش لجهاز الأمن الداخلي ، إذا ما اقتضى الأمر ، وعندما لا يستطيع السيطرة على موقف ما ، ولكن بعد موافقة القائد الأعلى للقوات المسلحة

وفعلًا نجحنا في احتواء الأزمة ، ولأن الجيش يحظى بحب الشعب له وثقته فيه فإنه نجح في مهمته والتزم الناس بكل التعليمات ومنع التجول وبعد الانتهاء عادت الوحدات للجيش ..

يقول الفريق صفى الدين أبو شناف : «بعد الحرب عينت رئيسًا للجنة المصرية العسكرية ، وعين هو لفترة بسيطة مديرًا للمخابرات الحربية ، وكانت تربطنا علاقة طيبة ، ورجعت للقوات المسلحة إلى أن وصلت رئيسًا لهيئة التنظيم والإدارة .. وكان هو قائدًا عامًا لوزير الدفاع ..

وأكثر فترة ارتبطنا به كانت فترة شغب الأمن المركزي ، وكان معه رئيس الأركان الرجل العظيم والقائد البطل الفريق إبراهيم العرابي .. في هذه الفترة اقترحت عليه عدة اقتراحات لأن البلد كان يضيع ، وفعلًا استجاب لكثير منها ، بعد ذلك عينت مساعدًا لرئيس الأركان الفريق العرابي ، وتوطدت العلاقة أكثر وتحولت من علاقة زمالة وعمل إلى صداقة واحترام وحب ..

مرحلة السلام كانت من أصعب الفترات التي مرت بها مصر ..

نجح في إدارتها فريق مصري متكامل على أعلى مستوى .. المشير أبو غزالة تولى إحدى هذه الفترات وأثبت كفاءة بارزة ، اعتمد فيها على علاقته مع الأمريكان وعلى فهمه لشخصية الطرف الآخر وفطنته وذكائه وإجادته للغة الإنجليزية .. كامب ديفيد وتنفيذها كان لها معارضون مثلما كان لها مؤيدون .. اخترت بعضًا من أقواله للرد على بعض أسئلة الإعلاميين ومن أرشيفه الصحفي ..

سُئل عن اتفاقية كامب ديفيد ورأيه فيها .. فأجاب قائلا [٦١] :

«اتفاقية كامب ديفيد أمر واقع مهما قيل ومهما يحدث .. وكما قال الزعيم السادات أكثر من مرة: إنه كان في استطاعتنا أن نحل مشكلة سيناء في جلسة واحدة مع الإسرائيليين ، ولكن تمسكنا بحل القضية الفلسطينية هو الذي أدى إلى كامب ديفيد ، والسياسة المصرية هي التي جعلت أمريكا طرفا ثالثًا في هذه القضية ، وبفضل السياسة المصرية أيضًا ، تم الوصول إلى اتفاقية كامب ديفيد واتفاقية السلام في المنطقة ، وعن طريقها تمكنا من تحقيق الكثير لمصر ومما حققناه من إعادة تسليح القوات المسلحة .. ويواصل حديثه ويقول :

(٦١) حديث مع زينب الصيرفي ، جريدة الأهرام ، أكتوبر ١٩٨١ .

أولًا : لقد عادت بقية سيناء إلينا دون قتال آخر واستثمار لنتائج وانتصارات أكتوبر ومن منطلق القوة وموقع قواتنا ، وكنا من قبل نتحدث مع إسرائيل من موقع الضعف بعد نكسة ١٩٦٧ .

ثانيًا : أعلنت أمريكا عن استعدادها اقتصاديًا وعسكريًا ، وللعلم فقد كانت أمريكا إلى وقت قريب ـ مغلقة ـ بالنسبة لمصر ولم نكن نستطيع الحصول منها على أي شيء ، أما الآن فقد أصبح بيننا وبينها برنامج تسليح لمدة خمس سنوات قيمته تزيد على خمسة آلاف مليون دولار .. هذا بالإضافة لاتفاقيات تسليح أخرى منها اتفاقية قيمتها تزيد على ثلاث آلاف وخمسمائة وخمسين مليون دولار وهذه الاتفاقيات غير مشروطة بأي شرط أو أي تنازل عن شبر واحد من أرضنا أو عن القضية الفلسطينية ..

ثالثًا : أصبح العالم كله يلبي كل طلباتنا بعدما كانت بعض دوله مثل فرنسا وإنجلترا تعرقل وتسوِّف في عمليات تسليحنا ، وكان أقصى حلمنا أن نحصل على طائرات «الفانتوم» ، أما الآن قد أصبح لدينا طائرات (إف ١٦) و (ميراج ٢٠٠) وغيرهما ، بالإضافة إلى إدخال أحدث أنواع التكنولوجيا المتطورة في قواتنا المسلحة ..

*** وعن القوة متعددة الجنسيات ، وهل هناك ثمة علاقة بين هذه القوة وقوة الانتشار السريع التي تجهزها الولايات المتحدة من أجل التدخل المحتمل .. ففي حدود معلوماتنا أن القوة الأمريكية الموجودة بسيناء هي بالفعل جزء من قوة الانتشار الأمريكي ، فهل ذلك يعني شيئًا ما ؟**

أجاب المشير أبو غزالة قائلًا :

أقول لك بكل وضوح كامل لا علاقة البتة بين القوة الأمريكية الموجودة في سيناء وقوة الانتشار السريع .. وأقول أيضًا: إن أصحاب النوايا السيئة الذين يريدون الربط بين وظيفة القوة الأمريكية في سيناء وقوة الانتشار السريع يستندون فقط على أن هذه القوة المسلحة الأمريكية ككل، ولكن هناك ما ينبغي أن يعرفه الجميع :

١ ــ إن جميع العناصر الموجودة في القوة متعددة الجنسيات تخضع مباشرة لقائد القوة النرويجي الجنسية ، وأن كل أعمال هذه القوة محصورة في نطاق مراقبة الحدود ، وهي تخضع بالكامل لسيطرة الدولتين المتعاقدتين طبقًا لما نصب عليه اتفاقية المعاهدة ، إن قائد الكتيبة المتعددة الجنسيات في شرم الشيخ ضمن القوة المتعددة الجنسيات يتلقى أوامره مباشرة من القائد النرويجي وليس لأي سلطة أمريكية أن تجري اتصالًا مباشرًا مع الكتيبة إلا من خلال القائد النرويجي .

٢ ــ إن الكتيبة الأمريكية لا تحمل سوى بعض البنادق الرشاشة ، فتسليحها لا يزيد على تسليح الأمن المركزي أو قوات الشرطة في سيناء ، فماذا يمكن أن تفعل كتيبة أمريكية محدودة التسليح تخضع لقائد نرويجي . إنني أقول: إن الربط بين قوة الانتشار الأمريكية الموجودة في سيناء ربط غير صادق وغير أمين وللأسف ، فإن معظم الذين يطلقون هذه الأقاويل ، إنما ينتمون فكرًا إلى معسكر معين ولكنهم لا يكلفون أنفسهم السؤال .. لماذا وقف السوفييت ضد إرسال قوات الأمم المتحددة إلى سيناء؟ ولكننا نجيب بأن السوفييت ما كانوا يريدون سلاما في المنطقة ، بل إنهم أعاقوا إرسال قوات الأمم المتحدة إلى المنطقة ، وكانت القوات المتعددة الجنسيات هي البديل ..

والآن هم يقولون: إن القوة المتعددة الجنسيات تمثل وجودًا أمريكيًا في سيناء .. برغم أن هذه الكتيبة لا تمثل غير حجمها ، وبرغم أنهم كانوا السبب المباشر في تشكيل القوة المتعددة الجنسيات على هذا النحو ..

سؤال : هل وافقت مصر على أية تسهيلات للجانب الأمريكي في سيناء وهل ثمة اتفاق من أي نوع على استخدام قوة الانتشار السريع للقاعدتين الجويتين اللتين تسلمتهما إسرائيل في شرم الشيخ وبالقرب من رفح ؟ ..

وأجاب قائلا : ليس للأمريكيين أية تسهيلات في سيناء .. ربما كان للأمريكيين رغبة في ذلك ولكننا رفضنا رفضًا قاطعًا أن يكون لأي طرف أجنبي أي نوع من أنواع الوجود على أرض سيناء، وما ينبغي أن يعرفه الجميع أن التسهيلات تمنحها مصر وتلغيها مصر .. مصر هي صاحبة الكلمة الأولى في استخدامها وليس في وسع الأمريكيين أن يستخدموا أيًا من التسهيلات المتاحة لهم دون استئذان مسبق ..

وما ينبغي أن يعرفه الجميع أيضًا أن التسهيلات شيء معترف به في جميع أنحاء العالم ، بل نحن نستفيد من هذه التسهيلات المتاحة في العالم الآن .. وللمصادفة فإن لنا اليوم مجموعة طائرات ميراج في مطارات اليونان كانت في «عمرة فنية» بفرنسا وفي طريق العودة طلبت تسهيلات من اليونان ومنحتها أثينا هذه التسهيلات ، هل ذلك يعني أي نوع من الاعتداء على سيادة اليونان ..

لقد قبلنا التسهيلات تحت دافع واحد وهو أن هناك أخطارًا خارجية تهدد أمن المنطقة ، وربما تتطلب مواجهة هذه الأخطار ما يفوق طاقة الأمة العربية في وضعها الراهن ، لقد قبلنا التسهيلات الأمريكية حماية لأمن الخليج ، من البديهي أنها مرتبطة أيضًا بموافقة الدول المعينة ، بمعنى أنه إذا لم تكن دول الخليج راغبة في وجود أمريكي على أرضها لمواجهة الخطر الخارجي الطارئ لحظة حدوثه ، فمن الطبيعي أن تصبح هذه التسهيلات عملًا لا معنى له ، لأنه ليس في وسع قوة عسكرية في العالم أن تبقى على أرض شعب دون موافقته إلا أن تكون قوة احتلال ..

وتنتهي جولتنا مع ردود وتوضيحات المشير أبو غزالة لنواح كثيرة في قضية السلام ، التي كانت وما زالت تقلق كثيرا من المصريين ، وفي النهاية وجدنا دوره البارز في إنجاح عملية السلام بشهادة الجميع .. ونأتي إلى آخر مرحلة في عملية السلام وعودة «طابا» ..

مباحثات طابا :

يعود للمشير أبو غزالة الفضل بأنه وزير الدفاع الذي عادت في عهده آخر قطعة مغتصبة من أرض الوطن .. وعادت طابا .. وتنهض السطور التالية بمهمة إلقاء الضوء على هذه القضية:

ما إن وقَّعت إسرائيل معاهدة السلام مع مصر .. حتى بدأت في إعداد مشروع سياحي كبير يضم فندق خمس نجوم بمنطقة طابا ، وعملت على إقامة منشآت سياحية وبحرية أخرى لتحويل المنطقة إلى منتجع عالمي ، وربط المنطقة بالأراضي الإسرائيلية بواسطة طريق ساحلي يربط بين طابا وإيلات .. وفي الوقت نفسه إزالة كل المعالم الأرضية التي تدل على أن هذه هي منطقة طابا داخل الأراضي المصرية .. وهي في هذا الشأن اتبعت منطقًا غريبًا في مفاوضاتها ، فهي تعترف بأن طابا أرض مصرية ، ولكنها لا تعترف بأن الأرض محل النزاع هي طابا .. ولكنها جزء متاخم لها ! ، وكانت المعركة الثالثة بعد الحرب والتفاوض .. معركة التحكيم الدولي الشرسة ..

اللواء بحري أ . ح متقاعد محسن حمدي ، الشاهد الأساسي في محكمة جنيف لمشكلة طابا ورئيس جهاز الاتصالات المصرية بالجهات الأجنبية خلال هذه الفترة ، وأحد أعضاء وفد المفاوضات المصري ، يتذكر بعض هذه المصاعب والعراقيل ويقول :

خلال الانسحاب النهائي الإسرائيلي من سيناء كلها في عام ١٩٨٢ ، تفجر الصراع بين مصر وإسرائيل حول طابا ، وعرضت مصر موقفها بوضوح ، وهو أنه لا تنازل ولا تفريط في أرض طابا ، وأن أي خلاف بين الحدود يجب أن يحل وفقًا للمادة السابعة من معاهدة السلام المصرية ــ الإسرائيلية والتي تنص على :

١ــ تُحلّ الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضات .

٢ ــ إذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضات تحل بالتوفيق أو تحال إلى التحكيم .

وقد كان الموقف المصري شديد الوضوح ، وهو اللجوء إلى التحكيم ، بينما إسرائيل كانت ترى أن يتم حل الخلاف أولًا بالتوفيق ..

في «١٣ يناير ١٩٨٦» أعلنت إسرائيل موافقتها على قبول التحكيم ، وبدأت المباحثات بين الجانبين وانتهت إلى التوصل إلى «مشارطة تحكيم» وقَّعت في ١١ سبتمبر ١٩٨٦ ..

وفي ٣٠ سبتمبر ١٩٨٨ أعلنت هيئة التحكم الدولية في الجلسة التي عقدت في برلمان جنيف حكمها في قضية طابا ، فقد حكمت بالإجماع أن طابا أرض مصرية .

«وفي ١٩ مارس ١٩٨٩ ، رفع الرئيس مبارك علم مصر على طابا المصرية ، معلنًا نداء السلام من فوق أرض طابًا قائلًا : «لقد تجلت إرادة الشعوب في كل مكان أنها تريد السلام هدفًا دائمًا ، ولن يتصدى لأشباح الحروب الصغيرة والكبيرة إلا هذه الإرادة الجماعية الكبرى ، والتي تناضل من أجل أن تصنع الحياة» «السلام ليس شعارًا نرفعه اليوم ونتحايل على إسقاطه غدًا .. السلام موقف ثابت تتجمع حوله كل القوى المحبة للسلام .. ولماذا طابا ؟؟ سؤال تجيب عنه السطور القادمة ..

أهمية طابا الإستراتيجية :

يختلف العسكريون المصريون على أهميتها العسكرية .... الفريق كمال حسن على رئيس الوزراء الأسبق يرى أن وادي طابا ــ في حد ذاته ــ لا يتمتع بقيمة عسكرية كبيرة ، بينما يرى المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة وزير الدفاع الأسبق أن وادي طابا هو الطريق المباشر لممري متلا والجدى .. وذلك في حوار مع السفير الشافعي عبد الحميد مساعد وزير الخارجية .

د . وحيد رأفت يرى أن وادي طابا مفترق طرق مهم .. طريق إلى غزة والعريش شمالًا ، وطريق إلى السويس غربًا .. طريق إلى شرم الشيخ جنوبًا .. ولا يغيب عن الذهن ما قاله موشي ديان أثناء المفاوضات : «إنني أفضل شرم الشيخ بدون سلام مع مصر .. على سلام مع مصر بدون شرم الشيخ» .

إن سهل طابا هو الامتداد العمراني الموازي لإيلات .. فضلًا على أن مياه خليج العقبة أمام طابا خالية تماما من الشعب المرجانية وصالحة للملاحة .. وهي امتداد لميناء إيلات ، يضاف إلى ذلك السياحة المهمة بها ..

إسرائيل تمسكت بطابا لعدة أسباب هي :

من الناحية السياسية :

كان الاحتفاظ بها يؤكد أن إسرائيل لن تتخلى عن كل الأراضي التي تحتلها ، وأن تكسر مبدأ الانسحاب الكامل من كل الأراضي العربية ، وكانت إسرائيل قد بينت النية على الاحتفاظ بمساحات من الأراضي المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان .. كما أن الاحتفاظ بطابا تحت يدها يعطيها الفرصة لاستخدامها كورقة ضغط على مصر للحصول على تنازلات تراها ضرورية لتنفيذ مخططات الهيمنة التي وضعتها وتحاول تنفيذها في المنطقة ..

من الناحية الاقتصادية :

تعتبر طابا منطقة سياحية من طراز متميز ومنفذ مهم للسياحة في جنوب إسرائيل ومنطقة إيلات ، حيث لا تملك إسرائيل سوى ١٥ كيلو متراً فقط من ساحل خليج العقبة ، اغتصبتها في عام ١٩٤٩ بعد انتهاء حرب ٤٨ ، وإعلان الهدنة لتقيم عليها ميناء إيلات منفذها الحيوي نحو الجنوب ومحور تجارتها مع قارتي آسيا وأفريقيا ، ولذلك فقد أرادت أن توسع نطاق قاعدة ارتكازها على خليج العقبة ، لتوسع من إقليم إيلات وموانئها وتستغل المنطقة كمنتج سياحي عالمي يجذب آلاف السياح ويدر دخلًا هائلًا لإسرائيل .

*** الدخول إلى جنوب إسرائيل من سيناء ، وهي في الوقت نفسه من وجهة النظر الدفاعية الإسرائيلية تطل على منطقة إيلات .. الأمر الذي يسمح لمن يتواجد فيها بتهديد هذه المنطقة الإسرائيلية الحيوية التي تمثل لإسرائيل ، أحد مصادر حياتها ومنفذها الوحيد إلى قارتيّ آسيا وأفريقيا .. ومن أجل فتح الطريق البحري إلى الجنوب دخلت إسرائيل حربين ضد مصر في عامي ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، لكي تضمن عدم إغلاق مضيق تيران في منطقة شرم الشيخ المصرية في وجه الملاحة الإسرائيلية ..**

اللواء محفوظ حمدي ، رئيس هيئة العمليات السابق يقول : «كنت رئيس اللجنة العسكرية الشاملة .. الجهة التي يصب عندها كل الجهات التي تتولى موضوع طابا ، كانت تعقد لقاءات في وزارة الخارجية وكنا نعرض على المشير أبو غزالة كل ما يتم أولًا بأول .. وكانت توجهاته تنفيذ كل ما يدعم موضوع طابا ، كان يدخل في تفاصيل التفاصيل» ..

يحدثنا اللواء أ . ح / عبد المنعم سعيد عن هذا الاحتفال قائلًا :

«في الفترة التي كنت أعمل فيها رئيسًا لهيئة عمليات القوات المسلحة ، كانت الهيئة تراجع الموضوعات المتعلقة بقضية طابا مع إدارة المساحة العسكرية ، وتتولى عرضها على السيد القائد العام للقوات المسلحة .. وكانت المتابعة مستمرة في هذا الشأن إلى أن صدر حكم محكمة التحكيم بأن طابا مصرية» ..

الاحتفال برفع العلم المصري على طابا في ١٩ مارس ١٩٨٩ :

في يوم ١٤ مارس ١٩٨٩ أبلغني السيد المشير عبد الحليم أبو غزالة بصدور توجيهات من السيد الرئيس حسني مبارك بأنه سيقوم برفع العلم المصري على منطقة طابا في احتفال رسمي صباح يوم الأحد ١٩ مارس ١٩٨٩ يحضره كبار رجال الدولة من الوزراء وأعضاء مجلسي الشعب والشورى ، وكلفني بالإشراف على إعداد المنطقة وتجهيزها لهذا الحدث التاريخي المهم بمعاونة أجهزة الدولة المختلفة ..

في ١٥ مارس ١٩٨٩ تم استلام منطقة طابا من الجانب الإسرائيلي وتم رفع العلم المصري على تل رأس طابا ظهر اليوم نفسه ١٥ مارس ، ومنذ هذا التاريخ بدأ إعداد المنطقة للاحتفال الرسمي الذي سيقوم فيه السيد الرئيس برفع العلم المصري على منطقة طابا وإلقاء خطابه التاريخي ، واعتبارًا من يوم ١٥ مارس وحتى صباح ١٩ مارس تولى اللواء محمد بلال نائب رئيس هيئة العمليات ومعه ممثلو الوزارات المختلفة تنفيذ المهمة بالتوجه إلى منطقة الاحتفال ، وبدأت أعمال التجهيز من حيث إلقاء خطاب السيد الرئيس وسرادق المدعوين وموقع حرس الشرف والطريق المؤدي إلى مكان الاحتفال ،

بالإضافة إلى أجهزة الإعلام من مندوبي الصحافة وأطقم الإرسال التليفزيوني والإذاعي ، وأعمال رصف أسفلتي .. وقد قمت في اليوم التالي بزيارة للمنطقة مستقلًا طائرة السيد الرئيس إلى مطار رأس النقب على رأس مجموعة من الحرس الجمهوري للتعرف على المطار والتوقيت اللازم للرحلة ثم التحرك بالعربات من المطار إلى موقع الاحتفال ومتابعة أعمال التجهيز وإزالة أي عقبات .

واستمر العمل بالموقع حتى صباح يوم ١٩ مارس ١٩٨٩ ، وكانت ملحمة أديت على أكل وجه .. في نفس هذا الوقت كانت وزارتا الطيران ، والنقل تعّدان الأسطول الجوي الذي سينقل المدعوين وتجهيز مطار رأس النقب بالمعدات والأدوات اللازمة لتشغيل المطار ، وكذا العربات المخصصة لنقل المدعوين من المطار إلى موقع الاحتفال وعودتهم .. كما تم في خلال هذه الفترة تأمين الاتصالات بين القاهرة وموقع الاحتفال ، وبالرغم من حساسية المنطقة الملاصقة مباشرة للحدود المصرية والاحتياج إلى منظومة أمنية جيدة ، إلا أن السيد الرئيس أمر بعدم منع السياح أو إلغاء تواجدهم في المنطقة ، حرصًا على راحتهم ، وفعلًا تم ذلك في يسر وسهولة ، وأيضًا في الوقت نفسه ، من يوم ١٥ مارس وحتى ١٩ مارس تم إعداد وتدريب حرس الشرف اللازم لاستقبال السيد الرئيس في الموقع .. ووقع الاختيار على طلبة الكلية الحربية .. وفي صباح اليوم نفسه اتصلت باللواء محمد بلال في موقع الاحتفال واطمأننت على كل الاستعدادات اللازمة وجاهزية الجميع ، وأعطيت تمام الاستعداد للسيد المشير أبو غزالة قبل مغادرته القاهرة متوجهًا إلى طابا لحضور الاحتفال الذي تم بحمد الله نحو الواحدة والنصف ظهرًا ، واستغرق قرابة الساعة غادر بعدها الجميع عائدين إلى القاهرة تملؤهم السعادة الغامرة لاستعادة مصر حقها التاريخي في منطقة طابا ، وقد تابعت الاحتفال من مكتبي بالقاهرة عبر شاشات التليفزيون المصري ، وما زال الموقع يرفرف عليه علم مصر شامخًا وإلى الأبد بإذن الله ، واتخذ هذا اليوم ١٩ مارس ليكون العيد القومي لمحافظة جنوب سيناء .

الحرب العراقية ــ الإيرانية :

اندلعت حرب الخليج الأولى بين العراق وإيران عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٨ ، وفي تلك الفترة وما قبلها قامت العراق بشراء أسلحة بمليارات الدولارات من أربع دول رئيسية هي : الاتحاد السوفييتي والصين ومصر وألمانيا ، وكان المشير أبو غزالة يرى ضرورة دعم العراق ضد إيران ؛ لخدمة الأمن القومي المصري في تلك الفترة ؛ وكان يقول : «إننا ضد أي عدوان تقوم به دولة ضد دولة أخرى ، وعندما دخلت العراق أرض إيران ، ورأينا أن هذه الحرب حرب خاطئة ، هناك دولة عربية وهناك دولة إسلامية وحربهما سوف تضر بالعرب والمسلمين جميعًا ، ولقد نادينا الدولتين من أجل أن تعملا على حل مشاكلهما فوق مائدة التفاوض ، فعلى ضوء تجاربنا السابقة ثبت لنا ، كما ثبت للعالم أجمع ، أن الحرب لا تحسم المشاكل المثارة ، وأن الحرب تنتهي عادة بالطرفين إلى مائدة تفاوض يناقشان فوقها موقف الحياد من هذه الحرب عند بدايتها ، غير أنه عندما بدأت الأمور تنقلب ، وبدا أن العراق يواجه مأزقًا كان لا بد لنا من مساعدة العراق أولًا ، لأن العراق دولة عربية ، يملي علينا الواجب القومي ضرورة مساندتها ، وثانيًا لأن الحرب العراقية ــ الإيرانية بتطوراتها المفاجئة قد أصبحت عامل تهديد لمنطقة الخليج ، فاستقرار الخليج يؤثر بالضرورة على الأمن القومي المصري ..

وعن مساعدة مصر للعراق عندما بدأت موازين الحرب تتغير في غير صالحه ، والضوابط التي حكمت المساعدة المصرية .. يقول المشير أبو غزالة :

«لقد بدأت عملية إمداد العراق بالذخائر منذ أيام الرئيس السادات ، عندما اتخذ قرارًا بمعاونة العراق ــ بإمداده بالذخائر التي يحتاج إليها وبأسلحة معينة ومحددة ،، والواقع أنه عندما بدأت الحرب العراقية ــ الإيرانية أخذ الاتحاد السوفييتي جانب المساندة للعراق ، وفجأة .. انتقل الاتحاد السوفيتي إلى مساندة الجانب الآخر ، فوجد العراق نفسه مع تصاعد الحرب في موقف حرج غير قادر معه على تأمين بعض أنواع الأسلحة والذخائر التي يحتاج إليها ، ولأن لدينا قاعدة صناعية حربية لا بأس بها تنتج أنواع الذخائر التي يحتاج إليها العراق .. وللأسباب التي أشرت إليها ، اتخذت مصر قرار مساعدة العراق ، وعندما تولى الرئيس مبارك استمرت مصر على السياسة ذاتها ؛ تعاون العراق بالأسلحة والذخائر التي يريدها طالما كان ذلك في حدود إمكاناتنا : شريطة ألا تخل هذه الإمدادات بالاحتياجات الأساسية للقوات المسلحة المصرية .

وعن ترديد إشاعات في تلك الفترة بوجود ٦٠ طيارًا مصريًا يعملون ضمن القوات العراقية ، وكما أشار إلى ذلك بعض التقارير في الخارج .. فإنه نفى ذلك بشدة ، وقال : إننا لم نرسل جنديًا واحدا ، وليس هناك جندي مصري واحد يعمل في المجهود الحربي العراقي أو خلف خطوط القوات العراقية أو حتى لإعطاء استشارة لجهاز التخطيط العراقي ..

وفي حديث له في الثمانينيات عن رأيه في الوضع العربي الهزيل قال : «إن أمتنا العربية تمر الآن بموقف يستدعى الرثاء .. أمتنا مفككة ، تأكلها من الداخل عوامل الصراع الداخلي التي

ربما يزيد تأثيرها الخطير على عوامل الصراع الخارجي ، لقد كنا وما زلنا نتمنى أن يكون هناك حد أدنى من الاتفاق العربي الذي يمكن الأمة العربية من أن تكون قادرة على مواجهة أي تهديد خارجي ، ونحن في سبيل هذا الهدف لا نألوا جهدًا لأن ذلك دورنا وتلك مسؤوليتنا ..

وفنَّد ما ادعاه المشككون في الموقف المصري الذين يقولون إن مصر لعبت دور تاجر السلاح لإصلاح اقتصادها وأن ما قدمته للعراق كان يخدم مصر بأكثر مما كان يخدم العراق ..

ويجيب قائلًا : «لو أن الأمر تجارة سلاح ، لكنا قبلنا عروض الشراء التي جاءت إلينا من إيران عبر بعض الشركات والوسطاء الأجانب ، بل وربما لا يعرف الكثيرون أن العراق عندما بعثت تطلب سلاحًا مصريًا لجأت في البداية إلى بعض الشركات الأجنبية التي تعمل في تجارة السلاح ، ولقد رفضنا مجرد تجارة في السلاح ، وطلبنا من هؤلاء أن يأتي العراقيون رأسًا ليتحدثوا معنا ، وأقول الحق : إن الوفود العراقية التي جاءت إلينا لتعقد الاتفاقيات كانت تعبر في كل مرة عن عرفانها بالجميل وعن إدراكها للدوافع المبدئية التي أملت على مصر ضرورة مساندة العراق في موقفه الصعب» ..

يقول الفريق أحمد صلاح: «ساعدنا السودان أيضًا .. في يوم ما فوجئنا بالرئيس النميري عائدًا من الخارج ومر على القاهرة قبل عودته إلى الخرطوم ، وأبلغنا من السودان بحدوث انقلاب وأن الرئيس النميري سيُقتَل لو عاد إلى السودان ، وسيتم اغتيال طائرته في الجو .. وفي هذه الفترة كان لنا علاقات مع السودان ونقدم إليهم المعونات وغيرها ..

وأبلغنا النميري بما سمعناه فإذا به يصر على الذهاب إلى السودان ، واجتمعنا به وكان الاجتماع برئاسة المشير أبو غزالة وطلبنا منه تقديم بيان يهدئ الوضع ، على أن يمكث فترة بمصر إلى أن تهدأ الأمور .. وفعلًا عمل بيانًا ولكن في غاية السوء وكان يمكن أن يؤزم الموقف أكثر .. وتم عمل مؤتمر آخر في المخابرات الحربية ، حضره دكتور أسامة الباز ووزير الداخلية في ذلك الوقت وأبو غزالة وأنا بصفتي رئيسًا لهيئة العمليات ، وأيضًا مدير المخابرات العامة وأقنعناه بأن يعدل في بيانه لأن هذا بلده وسيعود يومًا ما إليه ..»

وننهي جولتنا السريعة مع أهم الأحداث التي تزامنت مع فترة قيادة القوات المسلحة .. وننتقل لتسجيل ذكريات وشهادات حية لمصادر أخرى عملت معه وعرفته عن قرب .



الرئيس السادات يحيى الجماهير المصرية.. وبجواره المشير أبو غزالة والنائب حسنى مبارك
فى يوم اغتيال الرئيس السادات



المشير أبو غزالة يصافح قائد قوات حفظ السلام النرويجى بسيناء ويتوسطهما اللواء محسن
حمدى



خلال مباحثات السلام المصرية الإسرائيلية وبوجود الجانب الأمريكي



المشير أبو غزالة والوفد المرافق له وكبار الشخصيات المهمة فى إحدى زياراته لإحدى الدول الغربية



القائد الأعلى للقوات المسلحة سابقًا الرئيس مبارك وحوار باسم مع أحد الجنود في إحدى المناطق العسكرية وبوجود المشير أبو غزالة والفريق صفي الدين أبو شناف



الرئيس مبارك .. والمشير أبو غزالة .. الفريق صفي .. وكبار قادة القوات المسلحة



الفصل العاشر مقابلات وذكريات مع رجال وشخصيات عاصرته أو تعاملت معه

بعض الدول العربية عرضت عليه أن تستفيد من خبرته ويعمل لديها مستشارًا.. أو حتى يقوم بزيارة ويستشيرونه ورفض.. فلم يكن يرغب في أن يقال إن هذا الرمز المحبوب الوطني من أجل المادة عمل خارج مصر.. وزير الدفاع رمز وطني لا يجب أن يذهب لأي دولة من أجل المادة.

من كلمات رئيس الأركان المصري الفريق صفي الدين أبو شناف عن المشير أبو غزالة

كان أبو غزالة يعشق حب الناس له ، ويقول: إن حب الناس من حب الله، وليس الحب أن تقول كلمة طيبة فقط وابتسامة، بل أن تؤدي خدمة تساعدهم في حياتهم..

من كلمات اللواء أحمد فخر

تحدث الكثيرون عنه .. تشابه الكلام .. تعددت المواقف ، ظهر حب الناس له واحترامهم لشخصه الكريم .. مهما تختلف شخصياتهم ومكانتهم .. أحبه رؤساء أركانه .. مساعدوه وزملاؤه .. ضباطه وجنوده .. أحبه من عملوا تحت قيادته في الميدان والحياة المدنية ومن شاركوه ممارسة رياضاته .. جوانب كثيرة نكتشفها في شخصيته .. مواقف وحكايات .. طريفة ومؤلمة ومضحكة .. ذكريات عن الحرب والسلام .. الحب والألم .. الانتصار والانكسار ، لحظات كثيرة ممتعة وكثيرة نستمتع بها من خلال هذه السطور الأكثر من رائعة .. ومعذرة إن كان هذا الفصل أطول فصول الكتاب ، ولكن ذلك يعود لأسباب عديدة ، منها غزارة معلوماته وقوة من تحدثوا فيه .. اختزلت مواقف كثيرة .. قد تتشابه مع مواقف أخرى ، لكني أعتقد أن كل منها يمثل موقفًا فريدًا من نوعه ؛ لأنه مع أشخاص مختلفين .. وأزمان وأماكن مختلفة .

اللواء منير شاش .. مدير إدارة المدفعية سابقا :

أبو غزالة لم يتغير طوال عمره .. وهو الإنسان الذي عرفته ملازمًا ثانيًا حتى مشيراً .. وإلى ما بعد ذلك .. ببساطته ولباقته وصداقته وطبيعته المرحة وكل الصفات النبيلة .. كثيراً ما كنت

أزوره في بيته ويقابلني وهو يرتدي الجلباب بالترحاب وبكل صور كرم الضيافة وحسن الاستقبال .. هذه الصفات كان يغدق بها على الجميع ــ أصدقاء ومعارف وأقارب ــ وكل من تعامل معه أول من دخل بيته شعر بذلك .. لم تغيره المناصب ولم ينخدع ببريق الكرسي .. إن من يجلس مع أبو غزالة أو يتعامل معه ولو مرة واحدة لابد وأن يحبه رغمًا عنه ..

وينتقل لنقطة أخرى ويتذكر إحساسه بالظلم عند مقارنته بالعميد أبو غزالة الذي لم يكرم مثله بعد حرب أكتوبر ، ولكنه ندم بعد ذلك ويقول : «أنا وأبو غزالة كنا قادة مدفعية جيوش ، كان أداؤنا جيدًا ومتقاربًا ، وفوجئت بأبو غزالة يحصل على نجمة الشرف وأنا نوط الجمهورية من الطبقة الأولى وشعرت بالحزن لأول مرة ، حيث كنت الوحيد الذي يحصل على نوط وليس نجمة الشرف ، أثناء ذلك قمت بزيارة لأحد زملائي الضباط المصابين في المستشفى ، وهالني ما وجدت من إصابات وحالات حرجة ورجال استحقوا كل الفخر والتقدير فمنهم من فقد بصره أو ساقه ، وآخر يصنع له وجه بلاستيك لاحتراق وجهه . إلخ . في تلك اللحظة نزع الله من قلبي كل الحزن الضيق ، وحمدت الله على أني معافى وسليم .. وحزنت أنني حملت شيئا ولو به نسبة من الضيق ناحية صديقي وزميلي ورفيق عمري أبو غزالة ..» .

حب الناس له يظهر في كثير من المواقف :

مرة كنا في أحد احتفالات أكتوبر بالإستاد ، وأثناء مروري بجوار المدرجات سمعت حديثًا بين عقيد وزوجته ترجوه فيه بأن تسلم على أبو غزالة .. وزوجها لا يستطيع أن يلبي طلبها ، وهي تؤكد أنها تريد أن تشكره فقط على الشقة والسيارة وعلاوة أركان حرب ــ التي يحصل عليها والتي رفعها المشير أبو غزالة إلى مائة جنيه ــ .. ولمعرفتي بطبيعته ولإحساسي بالتعاطف مع هذه الزوجة اقتربت من المشير وأخذت الضابط وحرمه معي وأخبرته بأن هذا الضابط وزوجته يرغبان في مصافحته وشكره ، فابتسم لهما وسلم عليهما بحفاوته المعهودة .. وسألهما عن أحوالهما وإذا كنا يريدان أي شيء منه ومن القوات المسلحة ..

طقوسه بعد الميرى :

أبو غزالة كان إنسانا منظمًا له طقوس وروتين في كل شيء ، بعد التحرر من الميري لم يتوقف تفكيره وعمله ، ولكنه اتجه إلى تأليف الكتب وترجمتها .. ومن طقوسه في هذه الفترة أنه كان يحب السهر .. يقرأ ويكتب حتى الفجر ثم ينام ويصحو الظهر يصليه ، ثم يكتب ويشاهد التليفزيون ، ويتابع الأخبار ويمارس حياته بين ممارسة الرياضة ومقابلة عائلته وأصدقائه .. باختصار إنسان مفكر ومثقف .. رجل بمعنى الكلمة .. وأعتقد أننا مهما قلنا عنه فلن نوفيه حقه ، إنني أشعر بالحزن منذ وفاته وأعتقد أن السنين لن تنسينا شخصيته مهما يحدث ..

الفريق صفى الدين أبو شناف .. رئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق يقول :

*** المشير أبو غزالة كان يحظى بحب الجميع له والالتفاف حوله ، كان يتمتع بقبول كبير من جميع البشر ، كل فرد جلس معه أحبه ، إذ كان إنسانًا متميزًا ومتواضعًا لأقصى درجة .. خفيف الظل ، بسيطا ، يحب الضحك بجانب أنه سياسي محترف وعسكري محنك ومقاتل شرس .. لم تغيره الأيام ولا المناصب ، شخصيته التي تعرفت عليها ، وهو عميد شخصيته نفسها وهو وزير الدفاع وما بعد ذلك .. نفس كلامه وطباعه ومبادئه و .. و .. و ..**

كنت على علاقة صادقة وزمالة وثيقة معه منذ بداية معرفتنا .. لم تتغير أثناء عمله ولا بعد خروجه من الخدمة ، علاقتنا كان أساسها الاحترام والأخوة والحب ، نحن صعايدة والصعيدي عندما يأكل «عيش وملح» مع أحد لا ينساه وهو فلاح ومعدنه أصيل .. لم يكن مظهريًا ولا يسعى للفت الأنظار ، ولم يكن عنده طموحات سياسية ، كل هدفه كان خدمة مصر وعمل أي شيء يعلي من شأنها ، قدم حاجات مدنية ومشاريع ، وكثيراً ما كان يوجه ويعطي دروسا في مختلف الأمور لكل رجال الدولة .. حضرت معه اجتماعا وزاريا وشاهدته وهو يفتح المواضيع ويناقش وينصح ويبتكر عن فهم ووعي وبراعة ..

* تعرض أكثر من مرة لتلويث سمعته ، لم يكن يتحدث في ذلك ولم يحب الكلام أو الدفاع عن نفسه أو شن حملة على من يروجون هذه السخافات ، ومع الأيام ثبت نقاؤه وبراءته وطهارته .. عندما كان يسمع الشائعات التي كان طرفًا فيها كان يضحك ويسخر بمرارة .. كنا في معرض سلاح كان يقام في مصر يشترك فيه العديد من الدول والشركات ، وأتذكر أن الإعلام كله كان يحبه وأثناء إدلائه بأحد الأحاديث ورده على الصحفيين .. اقترب منه مجموعة من الصحفيين وسألوه عن حقيقة ما يروج من إشاعات وسأله أحدهم عن حقيقة علاقته بإحدى الفنانات .. ؟ فضحك قائلًا :

«الغريبة أنكم صحفيون ، عندكم كل الوسائل التي تستخدمونها لتعرفوا كل شيء .. أين أقابلها وأين الصور وأين وأين و .. و .. إلى أن قال أحدهم .. والله عندك حق يا أفندم !!

وغيره كلام كثير كان يقال ولكنه كان يضحك ، لم يكن عنده وقت لهذه التفاهات والسفاهات .. حياته كانت معروفة ، البيت والمكتب والعمل والكتابة والرياضة والواجبات الإنسانية ، خاصة مشاطرات العزاء أو زيارة المرضى .. بحكم وظيفتي في المخابرات الحربية والقوات المسلحة كنت أعرف كل شيء عنه ، وأعرف أين يذهب ولم أجد فيه أي شيء من هذا الكلام ، بل كان رجلا منضبطا ، يلعب الرياضة ويعلم ويحاور ، لكن لم يثبت أي شيء عليه يلوث سمعته أو يشينه .. لم يؤثر فيه شيء مما قيل عنه من وشايات في بيته لأن الله رزقه بزوجة فاضلة رائعة وأبناء مهذبين ، وهو رجل في بيته مثل الصديق في معاملاته الأسرية معهم والأولاد كانوا يفهمون ما يتعرض له وأسبابها . فالنجاح دائما له أعداؤه .. كانوا يثقون به ثقة عمياء .. فهم يعرفون أن به مميزات تجعله في مرتبة كبيرة وما يتعرض له لقدراته وإمكانياته وفهمه ..

عندما كان يركب عربته كان يقترب منه العامة ويسلمون عليه .. بطبيعته يحب الجميع ويسلم عليهم .. قال لي ذات مرة ضاحكا : «تصور لمحني مرة أمين شرطة وأنا بأركن عربيتي وأخبرني أن الوقوف هنا ممنوع ، فأخبرته أنني لن أتأخر» .. فقاطعته قائلًا له وأنا أضحك : «كنت نزلت ضربته ..» فقال لي كل الذي قلته له أنا المشير أبو غزالة .. فاقترب مني مدققًا فيِّ جيدًا ثم قال : شوف يا أفندم أي مكان تريد أن تركن فيه حتى لو عايزني أشيل كل العربيات اللي راكنه !! .. وطبعًا هذا يعود لحب الناس له .

عمره ما آذى إنسانًا أو أي ضابط ، ورغم ذلك امتاز الجيش بالانضباط وكان قادرًا على تنفيذ أي شيء .. وطبعًا كل ما قيل عن إنجازاته خير دليل على ذلك .

بعض الدول العربية عرضت عليه أن تستفيد من خبرته، ويعمل عندها مستشارًا .. أو حتى من خلال زيارة يستشيرونه .. ولكنه رفض ... حتى لا يقال: إن هذا الرمز المحبوب الوطني عمل خارج مصر من أجل المادة .. وزير الدفاع رمز وطني يجب ألا يذهب لأي دولة من أجل المادة ..

الوزير توفيق عبده إسماعيل وزير الطيران والسياحة السابق ودفعته يقول :

«بعد عودة أبو غزالة من منصب ملحق عسكري وتعيينه برئاسة الأركان ثم القيادة العامة ووزارة الدفاع لم يتغيب عنا في اللقاءات الدورية لخريجي دفعتنا ٤٩ التي كنا نعقدها كل عام مرة أو أكثر .. لم يتأخر أو يعتذر يومًا عن عدم الحضور ولم تتغير عاداته وابتساماته وقفشاته وبشاشته ، إلى أن زاملته كوزير في أول سبتمبر ١٩٨٢ .

.. كانت جلسات مجلس الوزراء تتميز بالحيوية والنقاش والتفاهم الدائم بين الوزراء ، وكان يشترك في مناقشة كل ما يعرض على المجلس من أعمال الوزارات الأخرى ، ودائمًا كان يقول الرأي الصائب وأسباب توصله إلبه بشكل هادئ ومقنع للجميع ، وأذكر له الدراسة التي قدمتها وزارة الدفاع عن المشروعات الوطنية الكبرى ، وعلى رأسها مشروع العوينات الذي قامت القوات المسلحة بدراسته دراسة وافية ، بل وبدأت تنفيذ أعمال الاستصلاح به وكان لوزارة السياحة والطيران المدني مسائل مشتركة كثيرة مع القوات المسلحة والمشكلة التي تستعصي على الحل كان من السهل جدًا عليه إيجاد حل يريح الجميع .. أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مشكلة ميناء نويبع الذي كان هناك رأى ضده في القوات المسلحة وعندما أبلغته بدأ بدراسة الأمر واتقفنا على استخدام الأرصفة (القومية) الموجودة به حتى يتم بناء الميناء ، وكان من ضمنها مشروع تعمير سهل حشيش فقد سهل الأمر لتخطيطه وتنمية سياحيًا بتعديل بعض المواقع العسكرية في المنطقة وغير ذلك الكثير» ..

الفريق أحمد صلاح عبد الحليم .. رئيس هيئة العمليات الأسبق يقول :

«.. وهو قائد مدفعية الجيش لم نر منه إلا كل كفاءة وأخلاقيات حسنة وصفات جيدة ، وأتذكر أنه ضابط المدفعية الوحيد الذي حصل على نجمة الشرف ؛ لأنه كان دائم النشاط والمرور ولم يمكث مرة في مكان واحد ، لم يسع لتملك أي شيء أو الاهتمام بأي شيء مظهري وشكلي .. أتذكر أن عربته التي كان يركبها وضرب فيها لغم كاد يقضي عليه .. كانت مستعارة من عندي .

أول مرة عملت تحت قيادته وأنا قائد الجيش الثاني وهو وزير الدفاع ، والفترة الثانية وكنت تحت قيادته مباشرة وعلى احتكاك دائم به وأنا رئيس لهيئة العمليات .

يوم ١١ يونيو ١٩٨٣ طلبني على الهاتف ، وأمرني بالحضور فورًا إلى الوزارة لأن الفريق عبد رب النبي حافظ انتهت مدة خدمته ، وعين بدلًا منه الفريق عرابي ، الذي كان رئيسًا لهيئة العمليات ولخبرتي السابقة في العمل في الهيئة فقد تم اختياري للعمل بها ورئاستها ومن هنا أستطيع أن أصفه في عدة صفات .

توجد صفات كثيرة في الإنسان لا تكتسب ، ولكنها هبة من المولى عز وجل ، أولهما الشخصية وهو يتمتع بشخصية محترمة ومحبوبة في وقت واحد ، وكان كريم الخلق والطبيعة ولم يرفض لأي إنسان أي مطلب قط طالما كان في حدود المعقول والإمكان .

تعرضنا لعديد من المشاكل .. في فترة ما كنت عائدًا من باكستان ويوم رجوعي علمت بوجود ألغام في خليج السويس تضرب المراكب ، تعاملنا معها بتوجهاته ، وشكلنا طاقمًا من بعض الدول ، عناصر بحرية من الولايات المتحدة وهولندا وإيطاليا وفرنسا واليابان وإنجلترا من أجل تأمين الملاحة في ذلك الوقت ومحاولة اصطياد أي ألغام .. ونجحت المجموعة الإنجليزية في الحصول على لغم حي ، وفي هذا اليوم كنت موجودًا في منطقة الحفاير لمتابعة كتيبة صاعقة لنا تتدرب هناك ، ومررت عليهم وذهبت لمعاينة اللغم ووجدته لغمًا روسيًا ، وطبعًا هذا يعود للمشير أبو غزالة وعلاقاته الطيبة مع الدول والناس الموجودين ..

موقف آخر .. وقع اغتيال لأحد الأمريكان على مركب موجودة في البحر المتوسط ، وكان سيناتور أمريكيًا ، اغتالته منظمة التحرير وبعلاقاته استطاع أن ينهي الموضوع فالمركب كان في المياه الإقليمية عندنا ..

حدث أيضًا خلال هذه الفترة مشكلة الطائرات المخطوفة والتي يأتي بها المختطفون إلى مصر وكنا نتعامل معهم بتوجهاته واستطعنا أن ننجح في إنهاء هذه المواضيع ..

علاقتي لم تنقطع به لحظة ولا مع الأسرة حتى بعد وفاته ..

اللواء عبد المنعم خليل .. مساعد وزير الدفاع الأسبق .. يقول :

بعد انتهاء خدمتي بالقوات المسلحة قمت بإعداد مذكراتي وقدمتها للقوات المسلحة للتصديق عليها ، ولكنها ظلت تراجعها مدة طويلة قاربت الثلاث سنوات ، والحقيقة أنني تضايقت جدًا لذلك ؛ ولم أكن أعرف سببًا للتأخير وهو في تلك الفترة كان يتولى قيادة القوات المسلحة ، فقمت بالاتصال به وحدد لي موعدًا بالوزارة وذهبت إليه وقابلني بترحيب واحترام شديدين وعندما أخبرته بالتأخير ، قام بالاتصال فورًا بالجهات التي تتولى مراجعة المذكرات وأمر فورًا بالتصديق عليها في الحال ..

وبعد طباعة مذكراتي ، كان هو في ذلك الوقت مساعدًا لرئيس الجمهورية ، وذهبت إليه في الرئاسة وأهديته الكتاب وقابلني ـ كعادته ـ مقابلة غاية الود والاحترام وتحدثنا عن ذكرياتنا وتكلمنا طويلًا ولاحظت أنه هو الإنسان الذي عرفته في الفرقة الثالثة ؛ فلم تغيره المناصب ولا مرور السنوات ..

مرة في أحد احتفالات القوات المسلحة بانتصارات أكتوبر ، قام بدعوتي لحضور الحفل وبمجرد نزولي من السيارة أنا وزوجتي ، كان هو في استقبال الضيوف اقتربت منه وشكرته على الدعوة ، فإذا به يخبرني بكل تواضع واحترام أن هذا واجب عليه وأنني أستاذه ومعلمه ومن أبطال أكتوبر .. وهذا أقل شيء تقدمه القوات المسلحة لي ولباقي القادة .. ومن كلامه أدمعت عيناي دون أن أشعر بها ..

اللواء حسن الجريدلي رئيس هيئة العمليات السابق يقول :

«للأسف لم يحالفني الحظ للعمل مع المشير أبو غزالة أو التعامل المباشر معه أثناء خدمتي بالقوات المسلحة .. فقد تمت إحالتي للتقاعد قبل أن يتولى قيادة القوات المسلحة ..

ومع ذلك فإنني أكن له كل التقدير والاحترام ، وأعتز به على الصعيد الإنسان والعسكري .. وأعتقد أنها كانت علاقة متبادلة ، حيث كثيرا ما كنت أُبلغ بأنه يذكر اسمي بكل احترام وتقدير .

أستطيع أن أقول : إنه كان صديقا عزيزا وشخصية لا تنسى ، كان وقت الحرب قائد مدفعية الجيش الثاني والتي كان لها دور مهم للغاية .. وهو القيام بدك دفاعات العدو والتمهيد لعبور القوات وما بعده وكانت مدفعية الجيش الثاني مسؤولة عن قطاع عمل الجيش أي من الإسماعيلية وحتى جنوب بور سعيد ، وهي منطقة بها العديد من النقاط الحصينة والدفاعات المختلفة للعدو .

أتذكر موقفين مع سيادته :

*** بعد تقاعدي .. وفي إحدى سفرياتي للخارج كنت قررت السفر إلى فرنسا وبرفقتي زوجتي .. وأثناء إجراءات السفر فوجئت بأنه غير مصرح لي بالسفر خارج البلاد .. وذلك يتطلب وجود تصريح من الأمانة العامة لوزارة الدفاع .**

والموقف ضايقني كثيراً ، خاصة أنني لم أعد ضابطًا في الخدمة .. وطلبت من المسئولين الاتصال بالأمانة لتحديد موقفي ، وتم الاتصال بوزير الدفاع وكان في ذلك الوقت المشير أبو غزالة .. وأمام انفعالي اقترب مني ضابط إشارة في المطار وحاول تهدئتي وأبلغني أنه سيقوم بإبلاغ مكتب القائد العام للقوات المسلحة لحل هذه المشكلة ..

وفعلًا بعد دقائق معدودة فوجئنا بتعليمات فورية من المشير أبو غزالة بالموافقة على سفري أنا وزوجتي وتقديم الاعتذار إلينا ، ليس ذلك فحسب ، بل مع توفير سيارة خاصة تنقلنا من مكاننا حتى سلم الطائرة ..

آخر مرة قابلته فيها كانت في جنازة الفريق سعيد الماحي «رحمه الله» منذ ما يزيد على العام .. وإذا به يرحب بي بحفاوة وحرارة ويربت على كتفي قائلًا : أهلا ، بأستاذي ومعلمي وقائدي .. ودار بيننا حوار قصير يغلفه كل الحب والتقدير والاحترام ..

في الفترة الأخيرة كان الاتصال بيننا مستمرا ، خاصة في المناسبات المختلفة ولتقديم التهنئة .

يقول اللواء أحمد فخر ، مدير أكاديمية ناصر العسكرية العليا سابقًا :

المشير أبو غزالة رحمه الله كان رجلًا قدريًا يؤمن بكل ما يحدث ، ويقول: إن الله له حكمة لا نعرفها وهو الذي يعرفها .. بعد أن عدنا من بعثة روسيا كان عنده ثلاثة أبناء .. أحدهم صدمته سيارة ومات وكنا في العيد ، وقال: إن هذا حكم الله وإنه اختار ابني ، وقال: أنا راض بهذا الحكم .. ولم يرفع قضية . وتقبل الوضع ؛ لأن الذي صدمه لم تكن نيته قتله ودفن ابنه وصلى عليه ..

أبو غزالة كان يلعب مع الجنود وبعد ذلك يحاسبهم لو أخطؤوا في عملهم ، كان يفصل بين العاطفة الأبوية والقيادة الرشيدة ، ويميز بين الخطأ والصواب ..

أتذكر جيدًا أن المشير أبو غزالة كان قاسيًا جدًا في الأخطاء العسكرية ولا يتحملها .. على الرغم من أنني كنت صديقًا وزميلًا له وأعمل معه في الفكر الإستراتيجي ، وأسهر معه وأزوره في منزله .. فإنني أخطأت ذات مرة وأنا برتبة اللواء ومدير لكلية الدفاع الوطني .. وأدخلني مكتبه وعنفني بشدة قائلًا : إذا لم ترجع عن هذه الأخطاء سوف أحاسبك ..

كان أبو غزالة يعشق حب الناس له ، ويقول: إن حب الناس من حب الله ، وليس الحب أن تقول كلمة طيبة فقط وابتسامة ، بل أن تؤدي خدمة تساعدهم في حياتهم ..

خلال فترة توليه وزارة الدفاع .. اكتشف أن بعض اللواءات القدامى الذين شاركوا في حروب ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ والاستنزاف وخدموا أكثر من ٣٥ عامًا في القوات المسلحة وانتهت خدمتهم ، لا يمتلكون سيارة ترحم سنهم الكبيرة بعدما قدموه من خدمة للبلد ..

فقرر أن يعمل قروضًا للضباط أثناء الخدمة والمعاش لشراء عربيات تسهل لهم حياتهم ، خاصة بعد التقاعد لانتهاء المزايا التي يحصل عليها أثناء الخدمة ..

وبالفعل كلنا اشترينا عربات بالقروض ، أيًا كانت رتبتنا ولكن على شرط أنه عند مكافأة نهاية الخدمة ندفع باقي أقساط العربية ــ لمن كانوا في الخدمة ــ ومكن كل ضباط القوات المسلحة بأن يكون لديهم عربات خاصة بهم وبأسرهم ..

أبو غزالة فكر في المدن العسكرية .. وهي تجربة أخذها عندما كان ملحقًا عسكريًا في الولايات المتحدة الأمريكية .. فالقاعدة العسكرية تعمل مدينة لكل أفرادها .. فيللات للقادة وبيوتًا أصغر للرتب الأقل وشققًا لضباط الصف وعنابر بالتسخين والمياه وكل الخدمات ..

وواجهته مشكلة الميزانية ، ففكر في المنحة العسكرية التي تمنح للقوات المسلحة يأخذ منها جزءًا للمدن العسكرية ، الأمريكان رفضوا قائلين : إن ذلك للتسليح وليس لإقامة المدن .. ففكر في المنحة الاقتصادية ، فرفضوا وقالوا: إنها للاقتصاد المصري وليس للمنح العسكرية ولا تدخل في أي موضوع عسكري ..

عمل دراسة إنشاء عمارات وشقق في جميع أنحاء الجمهورية في القاهرة والجيزة وأسوان ومرسى مطروح والإسكندرية ، وغيرها من المحافظات ، بحيث يأخذ الضابط الشقة بالتقسيط وعلى مدار ٤٠ عامًا وبقسط شهري بسيط ولو توفى أثناء الخدمة يسقط باقي الأقساط عن أسرته ، ففي ذلك الوقت كانت معاشات الضباط صغيرة جدًا ، نوعا من الإنسانية والإحساس وهذه طبيعة كل قادة رجال القوات المسلحة .

عمل مناقصة ودخل في حل أزمة الإسكان لأنه كان يؤمن بأنه عندما يعمل ذلك سيمنع الضباط من البحث في العقارات الخاصة أو تحميل الدولة عبء توفير سكن لهم ، ويعطي فرصة للآخرين بأن يكون لديهم شقق .. وأيضًا كان يبحث عن تأمين الضابط وإحساسه بالأمان والاستقرار .. طالب الكلية الحربية يعرف أنه بمجرد وصوله لرتبة النقيب سيحصل على الشقة التي يريدها وفي المدينة التي يختارها بعد تقديمه طلبًا بذلك أثناء دراسته بالكلية الحربية .. هذه الامتيازات ما زالت موجودة حتى الآن في القوات المسلحة وبصورة أكبر فالبذرة توضع ويتولاها ويرعاها بعد ذلك باقي قادة القوات المسلحة .

كان مؤمنًا بأن القوات المسلحة جزءًا من القوى الشاملة للدولة ، اقتصاد ، إسكان ، مرافق ، زراعة .. إلخ

القوات المسلحة ليست منعزلة عن المجتمع وكان يذهب إلى وزير التخطيط ويطلب منه الإطلاع على خطة الوزارة لتنمية الدولة ، وذات مرة وجد في الخطة عمل خطوط تليفونات في الزمالك وجاردن سيتي .. فقال: أنا عندي وحدات سلاح إشارة في التدريب والحرب تمد خطوط تليفونات فلماذا لا نأخذ ساعات التدريب ولا نقللها وبدلًا من ساعات التدريب في الصحراء نستفيد منها في الدولة والمساهمة في المشاريع .أتذكر كلمات المشير أبو غزالة لنا قائلًا : لا أريد أن أدخل في تنافس مع القطاع الخاص ؛ لأننا لو دخلنا معه في تنافس فإننا سنضرب أي شيء وسنكون مسيطرين على الاقتصاد المصري وهذا مرفوض تمامًا أن يكون لنا دور متميز عن سائر القطاعات الأخرى .. فالمعروف وجود قوى من الجنود تعمل في أمور غير أن تكون قوات محاربة وهي التي نستعين بها في الخدمة الوطنية والزراعية وغيرهما ويشتركون في المشروعات القومية دون تنافس مع القطاع الخاص فهم يؤدون خدمة للدولة ، وبلا مرتب ولكن بحوافز ومكافأة تشجيعية فقط .. الشيء نفسه فعله في مصايف الضباط ففكر في إنشاء مصايف لضباط الصف والشرفيين وبالدور ، وأيضًا حقهم في الحج والعمرة أسوة بباقي الضباط ، فالجميع يؤدون خدمة للقوات المسلحة والوطن ويتساوون في تقديم روحهم فداءً للوطن ..

كان هذا نوعًا من عمق الإيمان الموجود والذي أراد نشره بين الجنود الذين يقودهم .

أبو غزالة كان عاشقًا لمصر .. مصر شغله الشاغل ليل نهار ، سواء في عمل القوات المسلحة الأساس أو دور القوات المسلحة على المستوى القومي ، وفي المشروعات القومية الخاصة بخطة الدولة .. أثناء عملي مديرًا لكلية الدفاع الوطني ، طلب مني عمل مباراة حربية والمعروف أن بكلية الدفاع الوطني دارسين مدنيين سفراء وكبار موظفي الدولة ،

وقادة القوات المسلحة الذين يعملون في موضوعات التخطيط الإستراتيجي ، وطلب مني إعداد هذه المباراة التي تقام لأول مرة .. حضر لمشاهدتها ووجدني أضع حسابات القوى الشاملة والموقف وأين يحصل اختراق وماذا تفعل الدبلوماسية .. فسألني قائلًا : أين مصلحة مصر فيما تفعله ؟! .

وواصل قائلًا : «لا تقل لي الحسابات كيف تتم ، بل قل لي: إن مصلحة مصر أنها تدافع في جبهة واحدة فأنا عندي أربع جبهات «الشمالية والجنوبية والغربية والشرقية» قدراتي أن أحارب في جبهة واحدة ، وعلى الدبلوماسيين تهدئة الجبهات الأخرى بالسياسة الخارجية والاتصالات .. فقل لي مصلحة مصر في كل خطوة تقوم بها لا أريد حسابات ومناظر وناسًا تتكلم وتأخذ مواقف فقط» ..

أعطى أيضًا قرارًا بأن تبدأ كلية الدفاع الوطني بقبول السيدات كدارسات من الهيئة العامة للاستعلامات ووزارة الخارجية والإعلام وغيرها ، فالمرأة قد تبوأت مناصب كثيرة ويجب أن تفهم أيضًا في الإستراتيجية القومية ؛ حتى يحدث نوع من التمازج بينها وبين العسكريين ، وفاهمين من هن ومن نحن .. وكان يصر في التدريبات التي بها ذخيرة حية تكون في سيناء أو الصحراء الغربية أن يحضر بها السيدات الدارسات مع باقي الدارسين العسكريين والمدنيين ويشاهدن الضرب والصواريخ ، ونشرح لهن الموقف على الواقع . وكُنّ يفزعن جدًا ؛ إذ كان حجم النيران التي تعمل في المناورات ضخمًا حتى يعوُدوا الناس كما حدث في الاستنزاف والطلقات والذخيرة ، وطلب أيضًا مشاركة المرأة في الدراسات العليا بالقوات المسلحة ، وعدم اقتصار مشاركتها على التمريض فقط ..

في الدول الغربية شاهد كيف يستثمرون الضابط بعد إحالته للتقاعد من خلال مشاريع صغيرة يقوم بإدارتها وفكر في نقل ذلك لمصر ، وعمل دورة إدارة أعمال للمشروعات الصغيرة لمدة عام تدرس للضباط في جامعة حلوان والجامعة الأمريكية للإدارة والتسويق ، بحيث يستطيع الضابط عمل مشروع بعد إحالته للمعاش وهذه الفكرة فكر فيها المشير بدوي والمشير الجمسى ، ولكنها ظهرت في أوج صورها في عهد المشير أبو غزالة فقد كان ينظر لمدى بعيد وما يؤهل الضابط للعمل بالخارج والقطاع المدني .

ذات مرة ذهبنا إلى حفل زفاف ابنة أحد القادة بالقوات المسلحة ، وسأل عن تكاليف الفرح وما يقدم للضابط وغيره وبعد أن عرف ، قال هذا في حالة الفرح .. ماذا عن حالة الوفاة ؟ وعندما علم أنه لا يقدم له شيء إلا نعيٌ في الجرائد أمر فورًا بأن تتولى القوة أو السلاح الذي يتبعه المتوفي كل نفقات الجنازة ونفقات نشر النعي وحجز دار المناسبات للعزاء وتعطي منحة وفاة من القوات المسلحة ، وتظل سيارته الخاصة بالقوات المسلحة مع زوجته أو أسرته لحين إنهاء إجراءات المعاش .. وهذه الميزة كانت لرتبتي العميد واللواء .. كان وجهة نظره أن كل من يعطي أكثر يأخذ أكثر ..

كان يعيش الإعلام ويقول لا يوجد شيء اسمه سري ، درس في أمريكا وهو ملحق عسكري وأخذ دبلومة في إدارة العلاقات الدولية والأمن القومي العالمي .

الوثائق :

فتح الباب للإعلام .. مثلًا مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام يعمل تقريرًا استراتيجيًا به جزء عسكري ، فكان يكلفني بالذهاب إلى هناك ومنحهم البيانات التي يريدونها وحضور المناقشات والرد على أسئلة المثقفين الذين كانوا يقولون: إن القوات المسلحة مغلقة ، وتحجب الكثير من المعلومات والحقائق عن باقي الشعب .. المعروف أن القانون لا يسمح بالإفراج عن وثائق القوات المسلحة إلا بعد خمسين عامًا من حدوثها ، لكن أبو غزالة كان يسمح للمقاتلين بالتحدث عما شاهدوه من بطولات وذكريات والتحدث كأفراد شاركوا في القوات المسلحة .. بهدف إبراز البطولات وتكريم الشهداء وإظهار الوحدة الوطنية .. «وهذا ما يحدث حتى الآن في القوات المسلحة» ..

كان يسمح للصحفيين بحضور المناورات ، وكان مؤمنًا بأن صورة القوات المسلحة غير منغلقة عن الآخرين .. كان يأمر بعمل حملة من الشؤون المعنوية ومجموعة من مقاتلي أكتوبر والذهاب للجامعات ومراكز الشباب .. ويُعرفون الشباب ما يجب أن يعرفوه وينقلون خبرتهم إليهم ، وما زالت هذه الحملات موجودة حتى الآن ..

كان قارئًا نهمًا ، يرسل إلى الملحقين العسكريين في الخارج ، ويطلب منهم إرسال أسماء الكتب التي صدرت عن الإستراتيجية العسكرية أو القومية أو تجارب الحروب في أي منطقة في العالم لقراءتها وتوزيعها على القطاعات التي تهتم بالقوات المسلحة ، وأذكر أنه أرسل لي كتابا صدر في فرنسا عن الإستراتيجية القومية ، وكلف ضابطا بترجمته ، حتى نرى كيف تفكر فرنسا وليس أمريكا وروسيا فقط ..

درس الفكر الروسي والأمريكي لكنه لم يمل لأي منهما .. كلنا في القوات المسلحة أبناء مدرسة القوات المسلحة المصرية ، وننتمي إلى الدراسات التي أخذناها في القوات المسلحة .. هو درس في مدرسة المدفعية النمط المصري في استخدام المدفعية ، وفي كلية القادة والأركان دور أركان حرب بالنمط المصري ، نعم درس في روسيا وأمريكا ، لكن لم يكن مؤمنًا بالعقيدة السوفيتية ، عندما كنا في روسيا للدراسة أثناء البعثة وكان مقررًا علينا كتاب عن العسكرية الروسية فيه صفحات مشطوب عليها بالحبر الأسود ، كانوا أمناء جدًا طبقًا للتعاقد ، يعني الرئيس عبد الناصر متعاقد على مدافع معينة تدرس لنا .. وما غير ذلك يشطب .. وأنا ضابط دفاع جوي لم يكن الرئيس جمال تعاقد على صواريخ أرض ــ جو (سام ٢) فكانت مشطوبة من كل الكتب وأثناء وجودنا في البعثة تم التعاقد عليها ، فقاموا بسحب الكتب المشطوبة ووزعوا علينا كتب فيها (سام ٢) ..

وعندما كان أبو غزالة في أمريكا وجد كل شيءٍ معلنا ومنشورا ويناقش في الكونجرس .. كل شيء معلن ، وهذا ما وجده أيضًا عند الروس .. كل الدراسات الأمريكية عن التسليح عند الروس .. كان يرى كل شيء مفتوحا .. الأمريكان يستخدمون مصطلحات مختصرة لا نفهمها .. يعني ينشرون كل شيء لكن عندهم ما يغطي هذا الانفتاح في المعلومات العسكرية عند اتخاذ القرار نحن طبقًا للعقد ، الحزب الشيوعي هو الذي يضع كل شيء ، وهذه أحد أخطائهم وأبو غزالة اكتشف ذلك .. السوفييت كانوا يرسلون لنا خبراء ، ولكن لا يرسلون أفضل ما عندهم في المدفعية وغيره ، ولكن يرسلون أفضل وأحسن ضابط ملتزم بالفكر الشيوعي داخل هذا التسليح حتى لو لم يكن أفضل ضابط ..

وذلك حتى لا يتأثر بالبيئة المصرية وفي الوقت ذاته يحاولون نشر الفكر الاشتراكي المتطور وصولًا إلى الشيوعية بطريقة مستترة .. أبو غزالة انتبه لذلك ، وقال: إنهم لا يرسلون خبراء جيدين .. ولذلك عندما طرد السادات الخبراء السوفييت لم يحدث أي نوع من الحزن ، بل حالة من الفرح .. السوفييت قالوا علنًا .. الساتر الترابي يحتاج إلى قنبلة ذرية لذلك لن نستطيع اقتحام خط بارليف ..

أبو غزالة كان رجلًا سياسيًا بالدرجة الأولى ، أحد متاعبه أنه لم يكن شخصية عسكرية فقط ، بل سياسية وإعلامية ، وفي أحيان كثيرة لم يكن يميز ما بين كونه عسكريا أو شخصية سياسية كوزير دفاع .. توجد حدود فاصلة ..

المشير أبو غزالة كان قائدًا متميزًا .. فطنًا .. عسكريًا وإنسانيًا .. وكان يحذر من إسرائيل ، وكان يقول: نحن عسكريون لا نتعامل مع النوايا الطيبة .. اتفاقية السلام نوايا طيبة وجيدة .. يوجد قائد إسرائيلي ملتزم بها اليوم وغدًا ربما يأتي زعيم لا يلتزم بها .. لازم ندرس إمكانيات إسرائيل ومتابعتها جيدًا .. أدرس كل ما حولنا ومدى تأثيرها علينا .. النوايا الطيبة مرتبطة بالقيادات السياسية ، يجب درس كل صفقات التسليح للدول المجاورة ومعرفة لماذا تعاقدت على هذه الأسلحة ومدى تأثير ذلك عينا .. نحن ندرس الإمكانيات لإسرائيل وكل الدول المحيطة ونتابع الذي يحدث بها .. كان مؤمنًا بأن على مصر امتلاك سلاح للردع حتى تضعه إسرائيل في اعتبارها وحسابها إذا حاولت الاعتداء على مصر برًا وجوًا وبحرًا .. كان رأيه كرأي الرئيس جمال عبد الناصر في ضرورة وجود صواريخ أرض ــ أرض تصل إلى إسرائيل ، أمريكا تمنح إسرائيل طيرانا متفوقا عنا .. وكل الأسلحة التي تقدمها لها أكثر تطورًا من التي تقدمها لنا.. أعطونا (f16) وكذلك منحوها لإسرائيل ولكن أعطوها (f15) الأحدث منها ونحن لا ..

أبو غزالة لعب لعبة لطيفة .. كان يقرأ ويدرس التسليح الأمريكي جيدًا ، وقرأ عن وجود طائرة هليكوبتر جبارة مقاتلة اسمها أباتشي .. وكلفني بإعداد ورقة عن المطالب السنوية المصرية للعرض على وزارة الدفاع وأعضاء الكونجرس والخزانة الأمريكية والس آي إيه (CIA) هذه مطالب مصر حتى يعلنوا المنحة وأين ننفقها .. وطلب مني وضع الأباتشي .. نقطة البدء في المساعدات الأمريكية هي السفارة الأمريكية في الدولة .. وحضر إليه السفير الأمريكي ، وعندما قرأ الأباتشي قال: أنتم غير قادرين على التعامل مع الأباتشي .. فسبق أن كانت لكم تجارب من قبل من طائرات أقل منها تطورًا ولم تعرفوا التعامل معها . فقال له إسرائيل أخذت أباتشي؟ فقال : نعم .. فقال له أبو غزالة: أنا عندي ثقة ضخمة في التقييم الفني والتكنولوجي للعلماء والعسكريين الإسرائيليين ، وطالما أخذوها سوف يستطيعون فهمهًا جيدًا .. والعسكريون المصريون لا يقلون كفاءة عنهم .. إذن يجب أن آخذها ..

فقال له طالما هذا منطقك سأطلب من الحكومة الأمريكية بأن يمنحوها لكم ، وبالفعل حصلنا عليها ..

وجدت بعض الطرق التي كنا نعرف نتعامل بها ، ونحصل على ما نريد ، كان يقول: الغواصة ليس بالضرورة أن تدمرها غواصة .. هليكوبتر مضادة للغواصات تقدر تدمر غواصة ، الدبابة كذلك يمكن أن يدمرها صاروخ مضاد للدبابات .. والصواريخ والمدافع تسقط طائرة .. وهكذا وبالتالي نركز على القدرة الدفاعية لمواجهة التفوق الإسرائيلي سواء في الإنذار المبكر أو الشوشرة ..

في ٦٧ لم يكن عندنا إدارة حرب إلكترونية ، الإسرائيليون شوشروا على جميع أجهزة رادار الإنذار والدفاع الجوي للصواريخ حتى كفر الشيخ .. أنشأ سلاح الحرب الإلكترونية الذي يعمل به أكثر من ٣٠٠ ضابط درس لهم التشويش والتشويش المضاد وكيفية معالجته .. مما أدى دورًا متميزًا في حرب ٧٣ ..

اللواء عطية سليمان ، دفعة ٤٩ ، وقائد المنطقة المركزية ومساعد وزير الدفاع الأسبق :

أبو غزالة كوزير وقائد وزميل دفعة رجل مثالي فريد من نوعه .. يقبل المناقشة منذ بداياته وحتى وهو وزير للدفاع ويحترم الرأي الآخر ، طوال المدة التي خدمت فيها معه كوزير لم أجد منه غير الإنسانية والاحترام والقيادة بكفاءة .

ذات مرة وأنا قائد المنطقة المركزية .. أخبرني بدعوة وزارة الداخلية له لعقد لقاء مع ضباطها في إطار العلاقات المشتركة بين القوات المسلحة والشرطة .. وقمنا بحضور اللقاء وكان غاية في الروعة ولا يمكن أن أنساه .. استُقبل المشير أبو غزالة استقبالًا حافلًا وحارًا من الجميع وبالتصفيق الشديد .. طلب منه إلقاء كلمة عن موقف القوات المسلحة ومدى استعدادها للدفاع عن مصر ضد أي تهديد خارجي .. ورغم أنه مطلب فجائي إلا أنه ألقى كلمة في غاية الأهمية وعرض تحليلا رائعا للموقف .. في البداية طلب خريطة لمصر وعصا ليشير بها ولكن بدعابته المعهودة قال .. «خلاص ها أخد عصا عطية ، وجذبها مني وأشار بها على الخريطة وأخذ يشرح شرحا واعيًا ومبسطًا» ..

وكان من أمتع اللقاءات التي دعمت علاقتنا أكثر بالشرطة وأظهرت مدى الدفء والتعاون والحب الموجود بين الوزارتين ، وطبعًا يعود الفضل لشخصيته الرائعة التي تجعل الجميع يحبه ويحترمه ..

في لقاءات المجلس الأعلى للقوات المسلحة كان يفرض شخصيته الجذابة المحترمة والواعية على الجميع .. لم نشعر برهبة أو ضيق أو ملل .. لقاءات يغلب عليها احتواؤه لكل رجال القوات المسلحة ، مناقشة جادة لكل الموضوعات حتى البسيطة منها .. متابعة لكل ما يخص القوات المسلحة خاصة ، ومصر عامة ، استماعه واحترامه لكل الآراء ، عدم إحراجه لأي شخص أو تقليله من أي دور .. في كل اجتماعاته كان حضوره طاغيًا ، ودعاباته تخفف وطأة الاجتماعات ، وتهدئ من حدة المواقف العسكرية التي تناقش في هذه الاجتماعات ..

قبل وفاته بعدة أيام أرسلت له برقية قلت فيها .. «سلامتك يا خير القادة ويا أعز الرجال»، كنت أريد أن يشعر بأن الجميع معه ويحبه .. رحمه الله .. وأسكنه فسيح جناته ..

*** اللواء يحيى خليفة مدير إدارة التجنيد سابقًا :**

«لكون أبو غزالة من أصل ريفي فإنه كان بسيطًا وسهلًا وللعلاقة الطيبة بيني وبينه فإننا أزلنا عقبات كثيرة في فترة خدمتنا معًا ؛ هو كوزير للدفاع وأنا كمدير إدارة التجنيد ..

في إحدى المرات قلت له : هل يصح أن تكون وزير دفاع وأنا مدير إدارة التجنيد ، وتوجد امرأة كبير في السن وتريد أن ترى ابنها المهاجر في إيطاليا خوفًا من أن يأتي ويعاقب من أجل التجنيد .. ولمعرفة موقفه التجنيدي سيفقد وظيفته في الخارج ، وهم من أجل ذلك يعملون عمرة حتى يروا بعضهم البعض وليس بهدف العمرة .. ثم أخبرته بأن الحل سهل ويمكن أن ننهي دورهم التجنيدي ، في الدول الأوربية يؤجلون التجنيد لمن يعمل بالخارج لأنهم يأتون بدخل للبلد ، وحفاظًا على مستقبلهم .. وسألني عن الحل فقلت له .. عن طريق لجان قضائية وسألني عن صحتها ، ولكن ظهر من أقنعه بأنه لا يجوز .. وواجهتنا آراء كثيرة حتى أنه قال لي . : «كيف تقولي لي كلامًا لا يصح .. القضاة أبلغوني بذلك ؟!» .

وطبعًا لم يكن هذا الكلام صحيحا وأخبرته بذلك وأمرني بالذهاب إلى القضاء العسكري والمشاورة مع المسؤولين وبالفعل ذهبت إلى هناك ، واجتمعت برئيس القضاء العسكري ورئيس المحاكم العسكرية والنيابة العسكرية وكل من له علاقة بالموضوع .. وتناقشنا في كل شيء ، وتمت إزالة العقبات وتم عمل اللجان القضائية ..

كان أول شيء قمنا به هو حل مشكلات أولادنا بالخارج الذين لهم مواقف تجنيدية ، وبالفعل نجحنا في ذلك وأحدث ذلك صدى رائعا في ذلك الوقت .. ــ وما زال ينفذ حتى الآن ــ أتذكر أنه أخبرني أنه لا يريد تحميل الدولة أي مصاريف .. وأبلغته أن العائد من الغرامات يغطي المصاريف .. ويمكننا أن نزيد قيمة الغرامات ونلغي عقوبة السجن ونصرف على اللجان القضائية .. وفعلًا قمنا بذلك وتبقى جزء من مبلغ الغرامة بعد تغطية مصاريف مأمورية اللجان القضائية في الإقامة والإعاشة وتذاكر الطيران وغيره .

وأتذكر أن أول لجنة سافرت إلى مأمورية أخذنا من المشير أبو غزالة التصديق بمنح صلاحيات كبيرة للملحق الحربي الموجود في الدولة التي تذهب إلى اللجنة التي شملت عددًا من الدول منها إنجلترا وفرنسا وأمريكا وغيرها من البلاد الأجنبية .

كنا نرسل اللجان للدول العربية أيضًا ، ونعمل إعلانات للتجمع في منطقة واحدة ؛ حتى يسهل حصرهم وإنهاء مواقفهم .. وكانت عملية سهلة ومريحة ، القاضي يحكم ويصدر الحكم ويذهب الملحق العسكري ويصدق على الغرامة .. أول لجنة سافرت لا تُنسَى ، حيث كانت يوم مقتل السادات .. كان فيه اجتماع عندي في المكتب للتلقين النهائي للجان وكان يوم الاحتفال بأعياد النصر ، واعتذرت عن عدم الحضور للاحتفال للتأكد من التلقين .. وذهبوا لأكثر من دولة إيطاليا وأمريكا وغيرهما .. وأثناء الاجتماع حدث ما حدث .. ولكن ذهبت اللجنة لأداء مهمتها ونجحت في المهمة وقضت على المشاكل وغطت الغرامات مصاريف المأموريات وبدل صرف الضباط ، وتكررت هذه اللجان بعد ذلك ، وما زالت مستمرة حتى الآن .. واستطعنا مداواة أمور كثيرة كلها في صالح شباب المصريين ..

من مواقفه التجنيدية في شمال سيناء :

بعد ٦٧ كان أبناء سيناء تحت حكم الاحتلال الإسرائيلي ، وطبعًا إسرائيل لا تجندهم .. فكانوا غير خاضعين لأي قانون وكانوا في حيرة كاملة من التعليم ، يعني ينهي تعليمه في أي سن حتى لو تجاوز سن الثلاثين .. وبعد حرب أكتوبر دخلوا في حكمنا ، وأصبح سن الـ٢٨ الحد الأقصى للتعليم ، بالإضافة لشروط أخرى كثيرة اعتبرها البدو إجحافًا لهم ، وطبعًا معظم هؤلاء الشباب يعمل بجانب الدراسة ، وبدؤوا يشعرون بفقد مستقبلهم .. في ذلك الوقت ، كان محافظ شمال سيناء هو اللواء منير شاش «دفعتي» وهو رجل فلاح بسيط .. كان يجلس مع الناس ويعرف كل شيء وكلمني وأخبرني بالمشاكل التجنيدية ، وطلبت منه تجميع كل المشاكل التجنيدية وحصرها ، وقمت أيضًا في الوقت نفسه بتجميع المشاكل من خلال ضباط التجنيد هناك .. وفي خلال عدة أيام جمعنا المشاكل ووجدناها مطابقة وكل مشكلة حاولنا إيجاد حلول لها .. وظهرت لنا مشاكل تحتاج إلى صلاحيات الوزير ، بعد ذلك قمت بمقابلة المشير أبو غزالة وأخبرته كيف أن أهل سيناء يرتاحون مع الإسرائيليين أكثر منا ؛ لأننا نقيدهم ولا يعرفون موقفهم التجنيدي .. وعرضت عليه المشاكل والحلول وصلاحيات كل مشكلة ، وأخذ يقرأ الورق بتمعن ويشاهد الحلول المناسبة ، وأخبرته أن كل الحلول تصلح وهي مما يدخل في صلاحية الوزير .. وعندما كان يوافق على كل مشكلة وحلها ، كنت أطلب منه أن يكتب على الورق «تصدق» فأنا أعرف البدو .. لا يريدون إلا الحلول الموجودة بالفعل .. وليس أن نقول لهم سوف نعمل كذا وكذا .. يعني يريدون موافقة مكتوبة و«تصديق» .. وطلبت اللواء شاش ، وأخبرته بعقد اجتماع لحل كل مشاكل القبائل عنده ، وذهبت أنا وكل طاقم تجنيد الزقازيق ، وعرض شيخ القبيلة مشاكله وعرضنا الحلول وتناقشنا ، فكانوا يسمعون كلمة «تصدق» فنرى الابتسامة والفرحة على وجوههم ، فكانت حلولا واضحة وصريحة وسعيدة لهم ، لا يتخيل أحد مدى الهتافات والمظاهرات والأفراح التي غمرت كل قبائل سيناء التي حلت جميع مشكلات التجنيد في يوم واحد ..

لو تكلمنا عن أبو غزالة الإنسان فأستطيع أن أقول إنه كان يتعامل مع الجنود بمنتهى البساطة .. والتواضع .. كان قويًا رياضيًا يتمتع بصحة جيدة ..

أبو غزالة إنسان نادرًا ما يتكرر .. أب مريح وهذا اللفظ يحوي معاني كثيرة ، حقيقي صعب أن أصفه .. عندما كنت أذهب له وهو رئيس أركان مدفعية الجيش .. أو قائد للمدفعية وكنت أشعر بالسعادة وأنا ذاهب إليه ، وأظل على هذه الحالة وأنا خارج من عنده وهذه الحالة نادرًا ما تحدث..

أبو غزالة كانت ظروفه المادية عادية ، وكل ما وصل إليه بمجهوده وتعبه ، ولم يتنازل أبدًا عن مبادئه وأخلاقه ، كان ذا علم غزيز وعقل كبير ، وأعتقد أن أبو غزالة كُرِّم بعض الشيء وتكريمه الحقيقي هو حب الناس له .

اللواء على هيكل .. قائد إحدى كتائب الصاعقة خلال حرب أكتوبر وصديق شخصي للمشير يقول :

«في رأيي أن القائد يُولد قائدًا .. وليس من الممكن أن نعلم أحدًا وندرس له كيف يكون قائدًا ، وكل سمات أبو غزالة كانت تؤهله لذلك .. تزاملنا في الميدان .. خلال الاستعداد لحرب أكتوبر المجيد .. تحولت هذه الزمالة بعد ذلك إلى صداقة ، وبعد أن شق طريقه وأصبح وزيرًا للدفاع كان يحب التنس ، وكونا مجموعة سميناها رواد التنس في نادي الجلاء .. كنا نلعب معه ، وكان الهدف من هذه الجماعة عمل مباريات ونحضر «كأسًا» ومن يَفُز يحصل عليه ، وكانت فرصة للقيام برحلات طابا ، شرم الشيخ ، دهب .. وغيرها ، بهدف التنس وأيضًا الترفيه .. وذلك في فترة ما بعد تخلصه من مسؤولياته كوزير ، ولكن أثناء عمله كوزير كان يرعى المجموعة كرئيس ، كنا أنشانا صندوقًا خاصًا بالنواحي المادية للصرف على من يقومون بتنظيف الملعب والاهتمام به .. كان سخيًا جدًا .. كريما ويقدم أي مساعدة لأي شخص محتاج ، كان واضحًا أنه يمتلك صندوقًا في جيبه يوزع منه للمحتاجين !! ..

لمست فيه نواحي إنسانية وقيادية أثناء الحرب .. المعروف أن الإنسان يظهر شكله ومعدنه أثناء الحرب ، وكان يعرف كيف يتخذ القرار مهما تكن المؤثرات الموجودة عنده ..

*** المشير أبو غزالة يستحق ١٠ نياشين ، وليس نيشانا واحدا الذي حصل عليه بعد أكتوبر .. الجميع كان يعرف الدور الذي قام به ، كان موجودًا في كل مكان ، حركته وفكره وكأنه قائد جيش يتحرك بجهازه يحرك كل مدفعية الجيش ..**

وفي مرضه الأخير ، طلبه الرئيس مبارك شخصيًا للاطمئنان عليه ، واستدعى طبيبًا من أمريكا لعلاج المشير أبو غزالة .. الدولة لم تبخل عليه بأي شيء ، وهو أيضًا أصر على العلاج بمستشفى القوات المسلحة ، ورفض العلاج بأي مستشفى آخر .. ويكفي أنه توفي في أحد مستشفياتها ، وحضر جنازته الرئيس مبارك «صديقه ودفعته» والمشير حسين طنطاوي وزير الدفاع وكل قيادات مصر .. على المستوى الكبير .. لا تؤخذ الأمور كما ينظر لها الناس على المستوى الصغير ..

اللواء محفوظ حمدي / رئيس هيئة العمليات ومساعد وزير الدفاع سابقًا قائد الجيش الثاني وملحق عسكري بفرنسا سابقًا يقول :

أبو غزالة علامة بارزة في القوات المسلحة بما قدمه من خدمات لكل الناس ، كريم الخلق لا أحد يذكره إلا بالخير .. لم يكن يفرق في المعاملة بين أي فرد ، كان عادلًا .. بداية معرفتي بالمشير أبو غزالة كانت مع تعييني رئيسًا لأركان الجيش الثاني .. سأتكلم عنه كقائد يتعامل مع من هم دونه .. ما لمسته فيه أنه يشجع صغار القادة والرتب الصغيرة في إبراز عملهم .. يتعامل معهم بطريقة شديدة التهذيب ، يغلب عليها نوع من التشجيع .. يتكلم مع الآخر وكأنه أخ أكبر له .. فيخلق نوعًا من الثقة وعدم الارتباك في اتخاذ القرارات أو العمل .. كنا نعمل معه ونحن مطمئنون أنه سيوجهنا التوجيه الصحيح دون عنف أو شدة ، وكثيرًا ما كان يوجهني في أحاديثه التليفونية أو مقابلاته لي .

بعد أن تولى الرئيس مبارك رئاسة الجمهورية بعد اغتيال الرئيس السادات ، أول زيارة قام بها كانت للجيش الثاني ، وكنت في تلك الفترة قائدًا له .. وزارني هو والمشير أبو غزالة ، وركبنا سيارة واحدة وكنت قد جهزت لهم لقاء في معسكر الجلاء ، وكانت الزيارة مفيدة وعظيمة .

أبو غزالة أثناء عمله في الجيش الثاني ورغم كونه من سلاح المدفعية فإنه بعد توليه وزارة الدفاع كان يدعم كل القوات على السواء دون تفرقة .. أي طلب يطلب منه طالما هو قانوني وفيه مصلحة للقوات المسلحة يوافق عليه فورًا ويدعمه ويتابع ويعطي تعليماته للقيادات والهيئات بالقوات المسلحة لتدعيم الجهة التي قدمت الطلب .

أهم ما يميز شخصيته ، أخلاقه العالية ، خجله الشديد رغم منصبه القوي إلا أنه كان خجولًا ويستمع بمنتهى الذوق والأدب للآخرين .. لمست ذلك وأنا مساعد له في الوزارة وكنت مساعد وزير الدفاع الوحيد أثناء مدة خدمتي معه التي تجاوزت ثمانية أشهر تقريبًا ، إلى أن تمت إحالتي للتقاعد .. وكان يمنحني صلاحيات في كل شيء نيابة عنه .. وأثناء الاحتكاك به شعرت بشخصيته المهذبة .. كان محبًا للخير ، أي إنسان في ورطة أو مرض أو ضيق أو غيره لا يتأخر عن مساعدته .. ويكثر من العطاء ..

بالنسبة للقرارات المهمة فإنه كان ينظر دائمًا فيما يخدم مصر كلها وليس القوات المسلحة فقط ، إذا كان العمل له مصلحة لمصر كلها يقوم بتشغيل القوات المسلحة كلها لمؤازرة وتلبية المطلب .. في جميع المحافظات وأي مشكلة يمكن للقوات المسلحة أن تحلها لا يتوانى عن حلها ..

خلال فترة تعييني ملحقا عسكريا بفرنسا .. كانت علاقتنا قوية جدًا بفرنسا في مجال التسليح وعقدنا مباحثات كثيرة ، وكان لنا صفقات ومباحثات وأبحاث معها ، خاصة في مجال المدرعات والدفاع الجوي والقوات الجوية والإشارة ، المشير أبو غزالة شجع على إرسال البعثات بكثرة وإرسال ضباط للحصول على درجة الدكتوراة والدراسات المختلفة لتنويع الثقافة العسكرية للقوات المسلحة ..

كان لنا في فرنسا بعثات كثيرة ونشاط هائل وعلاقات كثيرة سواء من ناحية العلاج لضباط القوات المسلحة المصرية وعائلاتهم أو للدراسة والمأموريات وظهرت الحاجة لوجود بيت للقوات المسلحة هناك ، وشجعنا المشير أبو غزالة لبناء بيت هناك خاص بالقوات المسلحة ، وكلفني تكليفا مباشرا بعمل دار أو فندق ، وفعلًا اشترينا مكانا وهو الموجود حتى الآن ويساوي ملايين الملايين من الجنيهات رغم أن تكاليفه وقتها كانت بسيطة ، وساعد هذا الفندق على توفير النفقات وحماية الضباط من التعرض لأماكن لا يجب أن يتواجدوا بها أو يقيموا فيها ..

بالنسبة للجان القضائية ، وأنا هناك حضرت أكثر من لجنة قضائية وقدمنا تسهيلات كثيرة لمن لم يتم تجنيدهم وجرى إعطاؤهم شهادات الإعفاء بشروط معينة .. وانتهت مشاكل كثير من الشباب المصري بالخارج .. فهم مصريون وموجودون دائمًا خارج البلاد ، وهذه كانت من الأشياء التي قام بها وما زالت موجودة إلى الآن وبتوسع أكثر ..

وأنا رئيس هيئة العمليات علاقتي به كانت مباشرة ، عندما كان يعرض عليه موضوع أو دراسة .. كان يقرأ الدراسة ويطمئن إلى صحة الكلام .. توجيهاته تقال أولًا شاملة ما يتطلب دراسته .. وعندما يرى الرأي مدعمًا بأسانيد وسليما ومتكاملا ودراسة شاملة من مجموعة ضباط أكفاء وعلى مستوى عالٍ فإنه يصدق عليه ، ونادرًا ما كان يعطي توجيها بعد الدراسة ..

موضوع الدراسة كان يلقي تقديرا منه ، ولو وجد توجيهًا يوجهه بطريقة مقنعة وبدون إحراج ، كان لديه سلاسة في القيادة واتخاذ القرار .

أبو غزالة القائد الإنسان كان يهتم جدًا بموضوع كيف يصل الطعام للجندي بطريقة جيدة وعلى أعلى مستوى واستفادة ، أثناء نقل الخضار كانت الاستفادة من نصفه تقريبًا وكثيراً منه يفسد ، ففكر في إنشاء مصانع تجميد الخضار ، وتعاقدنا مع عدد من المصانع في فرنسا وتم التنفيذ وأنا هناك لبعض هذه المصانع ، وأعتقد أنها ما زالت تعمل حتى الآن وطبعًا زادت من جودة أكل المجند ووفرت الوقت والجهد والحصول على خضار معقم غير قابل للتلوث ..

خلال فترة توليه وزارة الدفاع تم التنسيق على أعلى مستوى مع فرنسا ، نظرًا لأنه كان ملحقًا حربيًا بالخارج فإنه كان يفهم مهمة الملحق العسكري جيدًا .. كان يعرف قدرته ويحاول توظيف إمكانيات الملحق في المكان المخصص بما يخدم بلده ، أحيانًا كان يتصل بي نفسه لمتابعة شيء ما يحدث عندي .

لم تنقطع صلتي به بعد خروجي من القوات المسلحة ، وكنت أكلمه على فترات متقطعة في الأعياد والمناسبات ، وكنت أخجل من ترحيبه وكلمات الشكر غير العادية وكلامه الرائع الذي يقوله .. علاقتنا الإنسانية استمرت حتى وفاته ..

اللواء محسن حمدي .. عضو الفريق الرسمي للتفاوض المصري الإسرائيلي سابقا .. يقول :

«كنت أسمع عنه وهو قائد لمدفعية الجيش الثاني فخطة المدفعية كانت بارعة وهي أساس العبور .. جندي المشاة لا أستطيع أن أطلب منه دخول سيناء والعدو أمامه ، كان لا بد من تثبيت العدو أمامه .. المدفعية تثبت كل شيء .. تثبيتا نيرانيا .. ولهذا أعتبره ملك المدفعية في الحرب ..

.. دعيت ذات مرة لإلقاء محاضرة في الجيش الثاني الميداني بدعوة من الفريق صلاح عبد الحليم قائد الجيش الثاني في وقت ما .. وكان بعد تحرك العميد أبو غزالة من الجيش الثاني .. ولما كنت أسمعه عنه فقد عملت استطلاعا شخصيا مني حبًا في هذه الشخصية ، أتلمس من خلاله معلومات أكثر من شخصيته ، وكنت أسأل عمن خدم أو تعامل معه .. وفعلا سمعت وشاهدت بنفسي كلاما ومعلومات وشعبية كبيرة توازي ما سمعت عنه وأكثر كثيرًا ..

المشير أبو غزالة كان يهمه الضابط والجندي وتوفير كل ما يهمه وذلك حتى تكون نفسيته مرتفعة ويقبل على عمله وواجبه بكل حب واطمئنان .

ومن معاملته مع الأمريكان سعى لنقل كل ما كان يراه عندهم من اهتمام ورعاية مقدمة إلى الجنود والضباط إلى أبنائه في الجيش المصري عندما تولى وزارة الدفاع .. فمثلًا قام بنقل كل معسكرات القوات المسلحة خارج العاصمة .. وعمل على بناء شقق مثل عمارات التوفيق و .. و.. و.. وأيضًا وفر تقديم قروض لتسهيل شراء سيارات وبالتقسيط ، وهو بذلك وفر على الدولة إتاحة شقق للضباط .. وأزال عنهم هذا العبء .. قدم للضباط خدمات قدمت لهم لأول مرة ولم يقدمها أو يفعلها غيره ..

قام أيضًا بتوفير كل شيء للضابط من بدل وملبس وأفرولات وجوارب وقمصان وأحذية وكل شيء .. وذلك من خلال عمل عقد كوري ، وقام بصرف بدل شتوي وصيفي لجميع الضباط والجنود ، وقبل ذلك كان كل ضابط يفصل بدلته على نفقته الخاصة وعند الترزي الخاص به ..

كان أيضًا يقوم بتذليل أي عقبات تقابل الضابط .. فمثلا ضابط كان يعد الدكتوراة بلندن وكان مسموحا له بسنتين فقط ، ولكنه كان سيحتاج لثلاثة أشهر إضافية ، وأرسل إلى إدارة البعثات يخبرهم بذلك فأخبروه بعدم الموافقة طبقًا لقانون البعثات .. فقام بإرسال خطاب إلى المشير أبو غزالة يخبره بالموقف فقام على الفور بالتصديق له والموافقة على مد المدة وذلك حفاظًا على مستقبل الضابط وحقه في الحصول على الشهادة التي سافر من أجلها .. كان يناقش مدير الإدارة المختص ورئيس الهيئة ويقنعهم بقراراته ..

المشير أبو غزالة شخصية محترمة واثقة من نفسها .. ويثق في زملائه وأصدقائه ومن يتعامل معهم ويمنحهم الثقة .. فمثلًا كنت أذهب إليه فيقابلني فورًا مهما تكن السكرتارية مزدحمة ، وفور دخولي إليه كان يقول لي ــ بلا مبالغة ــ تصدَق .. تصدَق يا محسن .. موافق على ما تريد .. من قبل أن يسمعني وهذا لم يأت من فراغ ، بل من عشرة وخبرة وثقة وتعاملات سابقة : ولأنه أيضًا يعلم أنني كنت أعرض تقاريري من قبل على مدير المخابرات ورئيس الأركان .. ولم يوجد تصرف فعلته وكان خاطئا من قبل وكان أيضًا يعلم أنني أحقق شيئا إيجابيًا ونتائج ملموسة مع الإسرائيليين ، وهذا يراه من تقاريري وما أحققه من نتائج مع الإسرائيليين .. كنت أمثل وفد مصر وأسعى مع باقي أعضاء الوفد لعمل احترام وهيبة لها ، ولدينا إطار محدد لا نتعداه ونعرف متى نستأنف ومتى نقوم وننسحب ..

باختصار ، كان يخلق الثقة فينا ويؤكد لنا أنه يثق فيما نفعله ويشجع ويساند .. وكانت معاملته تجعل الفرد يتشجع ويعمل أكثر .. لم يكن أيضًا يتردد في قراراته بل كان صاحب قرار وشجاعًا ..

وعلى الرغم من أنه لم يسع لإيذاء أحد أو عقابه ، فإن القوات المسلحة كانت منضبطة وحازمة وصارمة أثناء فترة توليه قيادتها .. حب الناس له كان يجعلهم ملتزمين ولم يوجد خطأ أو تبجح ..

اللواء عبد المنعم سعيد .. رئيس هيئة العمليات السابق .. يقول :

«ليس هناك شك أن المشير أبو غزالة أحد رجال القوات المسلحة الكبار ، والذي أعتز بخدمتي معه ومعرفتي له عن قرب ، ذكرياتي مع هذا الإنسان الرائع الذي ترك بصمة في حياة كل من خدم معه ، أو استمع إليه ، أو شاهده مجرد رؤية فقط ، أو حتى عاصره لا أستطيع أن أنساها .. شخصية نادرًا ما نجدها ثانية .. أعرفه منذ أن درست على يديه في الكلية الحربية ، وخدمت معه في أكثر من مكان حتى توليه وزارة الدفاع .. علاقتي به كانت مستمرة حتى بعد التقاعد .. في فترة ما عينت قائدًا لفرقة وعملت تفتيش حرب لهذه الفرقة ولم أكمل عاما حتى أرسلني لهيئة العمليات رئيسًا لفرع التخطيط بها ، وكنت قد رقيت إلى رتبة اللواء وأنا في دراسة بأمريكا .. وتوليت عددا من المناصب إلى أن عينت قائدًا للجيش الثاني الميداني ، واستلمت الجيش من الفريق صفى الدين أبو شناف ومن ضمن الأشياء الرائعة في تلك الفترة طلب مني عمل تفتيش حرب يتم لأول مرة في القوات المسلحة .. وتم عمل تشكيل بالكامل يجري تفتيش حرب يشمل كل الأفراد ويعرف كل فرد مهمته والمعدات التي يتم رفع كفاءتها الفنية والقتالية والإعداد الجيد لها ، ويقف أمامهم قائد الفرقة والكل يصطفون من لواءات ومدفعيات ومدرعات وشئون إدارية .. تحميلا كاملا يخرج خارج الميدان ، ويكون مؤهلا .. وهذا الإعداد أخذ نحو ستة أشهر في إعداده .. قمنا فيه بإعداد أحدث زي .. كل فرد كان يفهم مهمته وقادرًا على تنفيذها ، بجدارة .. حوالي ١٢ ألف مقاتل وآلاف من الضباط والمعدات والذخائر جاهزة للبدء ..

حضر المشير أبو غزالة التفتيش ، وكان سعيدًا جدًا بما شاهده وأمرني أن آخذ قائد الفرقة ونرى الفرقة من الجو بالطائرة ، لأنه أثناء حضوره ومشاهدته من أعلى للتشكيل كان منظرًا رائعًا ، وفعلًا قمت بعمل ذلك والطريف في ذلك أن قائد الفرقة التي نالت الإعجاب هو المشير محمد حسين طنطاوي وزير الدفاع وكان وقتها برتبة لواء .

فكرنا أيضًا في الجنود وكانوا يمكثون في خنادق ، فقلنا نحن في وقت سلام لماذا لا نبني معسكرات للوحدات ، وفعلًا عملنا نموذجًا لكتيبة وهذه الفكرة انتقلت معي عندما كنت في المنطقة الغربية .. وصدق وقتها بمبلغ لتنفيذها ، وتبينت الموضوع وعندما نقلت نقل معي الفكرة وأمرني بعمل لواء بالكامل في الجيش الثاني ..

وفي الفرقة التي عملت تفتيش الحرب اخترنا منها لواء مدرعا .. الجنود تبني ونحن ندبر كل مواد البناء وبدأ تطوير الجيش معسكرات القوات المسلحة بالجهود الذاتية ..

أقام مزرعة لزراعة الزراعات التي يحبها الفرنسيون ؛ وذلك لتسديد ديون بعض أنواع الأسلحة القادمة من الخارج .

أذكر وأنا في الجيش الثاني أن عينت رئيسًا لهيئة عمليات القوات المسلحة وخدمت فيها ثلاث سنوات ، منها عام ونصف العام معه .. سافرنا أكثر من مرة معه ومع السيد الرئيس مبارك للعديد من الدول .. ومنها السودان ورأست الجانب العسكري ، وكنا نحل مشكلة الجنوب وقمنا بالحديث مع الناس لمساعدتهم في حل المشكلة .. وسافرت إلى العراق بتكليف منه في فترة حكم الرئيس صدام حسين خلال أزمتها مع إيران .. وأيضًا ليبيا بعد التصالح مع الرئيس القذافي ..

كنا نسهر ونتجمع مع كثير من الأصدقاء كل فترة ونتكلم في كل شيء ونضحك ونتذكر الزمن الجميل ، وكان دائمًا نجمًا ساطعًا متألقًا بين الجميع بحديثه الشيق وحواراته الجذابة وروحه المرحة وثقافته الشديدة .. رحيله أصابنا بفقدان كبير نشعر به جميعًا ولكنها سنة الحياة وقضاء الله .. رحمه الله .

* اللواء مسعد ششتاوي .. رئيس علميات المنطقة المركزية سابقًا يقول :

لم تكن علاقتي بالمشير أبو غزالة علاقة مباشرة ، ولكن بمرور الذكريات ، أتذكر مواقف حدثت معه ، والحقيقة الجانب الإنساني كان يغلب فيها على الجانب العسكري ، لم أخدم تحت قيادته مباشرة ، ولكن من موقعي بفرع عمليات الجيش الثالث خلال حرب أكتوبر ، أو موقعي كرئيس شعبة عمليات المنطقة المركزية أثناء توليه وزارة الدفاع .. أذكر أنه أثناء عرض قرارات المنطقة المركزية على الوزارة وبحكم منصبه كرئيس للأركان أو وزير للدفاعٍ كان يتواجد في هذه الجلسات .. ووجدت فيه العلم والإنسانية ، كان قائدًا إنسانًا .. ذا علم غزير وفي نفس الوقت في قمة التواضع ..

* يعتبر المشير أبو غزالة من القيادة والشخصيات التي أثرت فيِّ كثيرًا مثل قيادات كثيرة كالمشير أحمد بدوي وغيره .. أبو غزالة أثر في وانطباعاتي التي اكتسبتها منه جعلتني أسير على نهجه وأنا قائد .. تحضرني شخصية أبو غزالة في كل القيادات وخصوصًا في مراحلي العسكرية الأخيرة .. مررت بقادة كثيرين منهم أعداد ضخمة .. أخذت منه الجانب الإنساني ونميته عندي ، القيادة الحازمة .. اهتمامه بالعلم وحصلت على كل دورات القوات المسلحة العليا والمتوسطة .. هذه تأثيرات المشير أبو غزالة وهو قائد قدوة ..

أنا شخصيًا أعطى انطباعاتي عن هذا الرجل الذي لم يكن لي علاقة مباشرة به ولم أعمل تحت قيادته ، فما بالك بمن كانوا متلاصقين به في عمل أو يعملون تحت قيادته أو ارتبطوا بصداقته ، أو نفس سلاحه ماذا يقولون .. في ٥٨ / ١٩٥٩ درس لي هذا الرجل ذات يوم .. كانت العقيدة الشرقية الجديدة ، قبل التحرك لسوريا أيام الوحدة .. كنت أدرس فرقة عقائد شرقية ، بعد صفقة الأسلحة من تشيكوسلوفكيا وروسيا ، وكان لا بد من عقيدة شرقية جديدة بديلة مع العقيدة الغربية التي كنا نتبعها ..

وكان يدرس لي في مرحلة معينة .. فكنا نذهب ونمر على العديد من مدارس الأسلحة مثل الإشارة والمشاة والمدفعية .. وأبو غزالة سقانا المدفعية في ساعة ونصف الساعة ، مدة المحاضرة .. وأنا ضابط مشاة وخريج الحربية وقادة وأركان وأكاديمية ناصر ، لكن حتى عام ٥٨ لم أعرف ولم أفهم المدفعية الحقة إلا منه وكان هو في ذلك التوقيت برتبة صاغ «رائد»..

عندما كنا نعرض أي قرار مع قائد المنطقة المركزية وهو وزير الدفاع كانت المناقشات معه في الموضوعات والقرارات الخاصة بالعمليات والمشروعات هادفة ومحللة ويتبعها دروسا مستفادة .. وتوجهات في التو واللحظة للتنفيذ ولتحسين الأداء وتلافي الأخطاء .. لا نستطيع أن ننسى هذا الرجل ، أنا كنت أعشقه وأحترمه وأقدره .. كان حازمًا وإنسانًا وعالمًا ..

في يوم وأنا رئيس شعبة العمليات بالمنطقة المركزية .. دُعي السيد الوزير أبو غزالة لإلقاء محاضرة عن الموقف العالمي وأفريقيا بالذات ، وذلك في أكاديمية الشرطة بالعباسية وطبيعي أن نحضر معه . لأن هذه الكلية تتبع المنطقة المركزية من الناحية الأمنية والسيطرة ..

ويا للمحاضرة من جمال العرض والقفشات السريعة التي كان يتميز بها .. والعلم الغزير الذي يتمتع به بشكل لا يتصوره بشر ، كنت فخورا وأنا بين الطلبة وضباط الشرطة واللواءات وهم معجبون به ، وكأني أنا الذي أتكلم ولم يتوقف لحظة .. استمرت المحاضرة حوالي ثلاث ساعات ، كل نصف ساعة تصفيق له من إعجاب الحاضرين لعلمه وقفشاته وقبوله عند الآخر ..

من عدة سنوات كنت أقود سيارتي أثناء الذهاب لابنتي ناحية دار الإمداد والتموين ، وعند تقاطع شارع مكرم عبيد مع طريق النصر ، كانت سيارة أخرى تريد أن تمر ، فأشرت لقائدها أن يسير ولكني فوجئت بصاحبها يقف ويشير لي بأن أسير أنا وعندما اقتربت له لشكره وجدته المشير أبو غزالة .. ودون أن يتعرف على وبكل تواضع وبساطة .. فأخذت أحييه وأصررت على أن يسير هو ..

اللواء عبد الرحمن الهواري يقول :

المشير أبو غزالة شخصية متعلمة لأقصى حد .. متنوع الثقافة ، ثقافته ليست عسكرية فقط ، بل تشمل نواحي عديدة علمية وفكرية ومستقبلية ، اتصف المشير أبو غزالة بدارسته العميقة للمجال الإستراتيجي واعتبر واحدًا من أهم أساتذة الإستراتيجية في مصر .. كان قائدًا محبوبًا من جميع مرؤوسيه ، متعاونًا لأقصى درجة ، لدية القدرة على حل المشاكل ، اجتماعيا وبسيطا .. عندما كنت أزوره في بيته .. كنت أراه في منتهى البساطة وشخصا عاديا لأقصى درجة ، أبو غزالة تميز بالخلق العظيم ومعاملته مع الناس معاملة غير عادية تجعلك ترتاح له من أول لقاء .

أبو غزالة كان رجلًا رياضيًا ويعشق كرة القدم والبلياردو ، وكان يلعب كرة في الساحة الموجودة أمام قصر عابدين يرتدي الفانلة والشورت ، بسيطا واجتماعيا ويشعر أي فرد بالاهتمام والاحتواء ..

اللواء فريد حجاج ، صديق شخصي للمشير الراحل .. يقول :

«أول مرة قابلته كان في عام ١٩٥٨ .. لفت نظري وسألت عنه وعرفت أنه سكرتير مجلس قيادة الثورة ، ولكنه تركها من أجل العودة للقوات المسلحة .. وبكل أمانة استغربت جدا فهذا المنصب في غاية الأهمية وله كيان ووضع يتمناه أي إنسان .. والثورة في ذلك الوقت كان لها صدى مدو .. وسألت نفسي: لماذا ترك كل هذا .. ووجدت الإجابة بعد سنوات عديدة وعندما أصبحت لواء وهو مشير وقال لي : «صراحة أنا فوجئت بالمنصب وأهميته .. كنت يوزباشى حديثا ، وسلطاتي غير محدودة ولا معقولة .. وبكل أمانة خفت من نفسي .. ووجدتني أسعى لأن أعود مرة أخرى لصفوف القوات المسلحة حتى لا أفقد ذاتي» .

التقينا مرة أخرى بعد عودته من بعثة روسيا وكنا في مدرسة المدفعية و كان مقررا ذهاب بعثة تانية بعد عودة البعثة الأولى .. واجهتنا مشكلة كيفية إحضار مدرسين مؤهلين للتدريس لطلبة معهد المدفعية . وتطوع هو للقيام بهذا الدور وقام بنفسه بانتقاء ضباط أكفاء تعهد هو بتعليمهم وتدريبهم حتى عودة البعثة من روسيا . واختار مجموعة مميزة ومنهم أنا واللواء عبد الرحمن الهواري .. وبدأ يجهزنا لأداء المحاضرات ، وكنا نحضر معه أثناء قيامه بالشرح وبكل أمانة .. كان من أحسن المعلمين .. في الشرح والتخيل والتحليل وجذب انتباه الطالب والتعليم ، بالإضافة لبسمته ووجهه البشوش المريح .. معلما فوق الوصف .. وبدأ يعطي محاضرات ويعطينا خلاصة علمه الذي درسه في روسيا .. وأنا أعتبر هذا الجيل الذي تدرب على يديه من أحسن أجيال المدفعية .. أبو غزالة كان يعطي محاضرة بنفسه ، وهو قائد جناح يعني رئيس كرسي ، ولم يجد غضاضة في أن يصحح الامتحانات بنفسه أو يقوم بالمشاريع بذاته .. في هذه الفترة شعرت بقيمة هذا الرجل العظيم وتنبأت بأنه سيكون قائدا عظيما ذات يوم وسعينا لتقليده ..

في هذه الأثناء توفي ابنه ولكنه عاد يكمل محاضراته وتدريسه للطلبة رغم حزنه الشديد الذي لم يفارقه حتى قبل وفاته بقليل .. لقد علمنا درسا في الإيمان والصبر والقوة ..

المشير أبو غزالة من يومه رجل متطور يكره الروتين .. ينمي الفكر والابتكار .. بجانب ذلك يعشق الرياضة ، وكان يمارس جميع أنواعها واكتشفنا أنه لاعب بلياردو مذهل في هذه الأثناء مثلما كان لاعبا متميزا في الألعاب الأخرى ..

المرة الثالثة لالتقائي به كانت وهو قائد مدفعية الفرقة الثالثة ، واختارني من المعهد لأكون معه وعينت قائد كتيبة وبكل أمانة كان مدرسة في التدريب وطلب أن يختبرني وأخبرته أن يتركني لمدة شهر واحد أجهز وأطور نفسي وكتيبتي وبالفعل قال لي الجبهة أمامك وسأنتظرك ..

«المشير أبو غزالة لم يعرف شيئا اسمه معسكر .. في الجبل كنا نتدرب ليل نهار .. ويختبرنا بكل دقة .. من روحه الجميلة في ذلك الوقت كان معي زميل في كتيبة أخرى وضرب طلقة اختبار الصبح وعندما علم وجدته أمامي ليؤكد لي أنه يعرف كل شيء !!» .

نعود للتدريب ونجده أنه كان لعبته ومتعته يعني أوقات نكون بنلعب شطرنج وفجأة يقول لي : «جهز كتيبتك ..» ويضبط ساعته .. وكان أول قائد يعمل بيان مشروع مدفعية فرقة في ١٩٦٩ ..

تمر الأيام ونفترق ونلتقي مرة أخرى في إدارة المدفعية ، وكنت في فرع التدريب وهو رئيس أركان المدفعية .. وكنت عائدًا للتو من بعثة لإنجلترا للحصول على دورة أركان حرب ، ووجدنا هناك (دورة تخصصية) يعني تمنح ماجستيراً في الأسلحة المختلفة وتكتيكاتها .. غيرنا في مصر نمنح دورة أركان حرب عامة .. ووصينا بعد العودة بضرورة التخصص ولأن علاقتي به جيدة عرضت عليه ذلك وتحمس للكلام وساعدني وعملنا دراسات، وقابل المشير الجمسي وعرض عليه الفكرة وبالفعل أقيمت أول دورة أركان حرب تخصصية تقريبا في ١٩٧٥ .. والذي ساعد على تنفيذها هو اللواء أبو غزالة في ذلك الوقت ..

من سماته الرائعة أنه كان يستمع لجميع الآراء وليس معنى أنك تعارضني أنك ضدي .. وأي فكرة جديدة أو جيدة ينميها ويتبناها ويسعى لتنفيذها ..

اشتركت معه في إعداد أكثر من كتاب وترجمناه .. وتقريبا كل الكتب العسكرية الروسية قام بترجمتها .. المشير أبو غزالة حباه الله بالخط الجميل .. وبالقلم الرصاص كان خطه من أروع ما يمكن .. وبعد رحلة حافلة وبعد الخروج من الخدمة التقينا مرة أخرى في نادي الجلاء وفريق التنس الذي ظل يواظب على الحضور إليه والتدريب لآخر لحظة في حياته قبل مرضه الأخير ، وبكل أمانة كانت فترة من أمتع ما يمكن لا نستطيع أن ننساها .. كان يلعب معنا يوميًا وتدار مناقشات في كل جوانب الحياة ونقوم برحلات من أروع ما يمكن .. حياة اجتماعية رائعة وفي غاية البساطة ..

«إنه رجل أحب القوات المسلحة وكان يعتز بها ويقدرها ، ولذا كان نادي الجلاء متنفسه وبيته ومستشفى الجلاء المحطة الأخيرة التي رحل عنا وهو يرقد فيها .. فقدانه آلمنا جميعًا وما زلنا نشعر بألم الفراق .. دعائي له الرحمة والجنة بإذن الله ..» .

اللواء محمد طلبة ، قائد مدفعية الرئاسة العامة للقوات المسلحة سابقًا يقول :

في مدرسة المدفعية عام ١٩٦٤ ، كان أبو غزالة مدرسًا بالمدرسة لمادة بناء عربات ومدافع ، وكنت في الدورة الأساسية للضباط الصغار قادة فصائل ، وكان يدخل علينا الرائد أركان حرب أبو غزالة في محاضرة لمدة ٤٥ دقيقة يبدؤها بأية قرآنية أو حديث شريف ويقوم بتفسيرها مثل سورة سبأ مثلًا وكان تفسيره في منتهى السهولة واليسر .. ثم يتكلم معنا عن نفسه وبيته قليلًا وأذكر منها أنه تحدى نسيبه في أنه بعد أربع سنوات سيحصل على بكالوريوس تجارة وسيأخذ الماجستير وحقق فعلًا ما أراد فحصل على بكالوريوس تجارة من جامعة القاهرة ثم التحق بكلية أركان حرب وحصل على ماجستير في العلوم العسكرية ثم زاد على ذلك بحصوله على ماجستير إدارة الأعمال من جامعة القاهرة ، ثم بعد ذلك يحكي لنا نكتة أو قصة مضحكة .. وفي آخر عشر دقائق يتعرض لموضوع المحاضرة الأساسي ويشرحه بطلاقة ويسر ، حتى أننا حينما دخلنا اختبار مادته لم نذاكر شيئًا ، بل كنا نتخيل كلامه معنا في الفصل الدراسي ونكتب كل ما ذكره لنا .. لقد كان يعلم تمامًا كيف يجعلنا نحب مادته رغم صعوبتها وتعقيدها وكيف نتفوق فيها بالفهم وليس بالحفظ ..

بعد حدوث نكسة يونيو ١٩٦٧ كان برتبة عقيد أركان حرب ، واستعانت به إدارة المدفعية في إعادة تشكيل وحدات المدفعية مرة أخرى .. فعين قائدًا للواء الذي نخدم فيه وتغير تسليح اللواء بمدفع روسي جديد أحدث وأكثر تطويرًا من المدفع السابق ، وحضر الخبراء الروس إلى مصر لتدريبنا على هذا الدفع ومن منطلق معرفته وإجادته للغة الروسية بجانب الإنجليزية والفرنسية وأيضًا العربية كان يحضر معنا الدورة مع الخبراء ويختصر كلام وشرح الخبراء بالترجمة الفورية من الروسية إلى العربية .. وبعد انتهاء الدورة بدأنا في تدريب ضباطنا وجنودنا على المدفع الجديد ، وكان دائمًا معنا في كل وقت

وكل مكان حتى استطاع تشكيل اللواء في زمن قياسي ، واتجهنا باللواء إلى السويس لأداء واجب العمليات ، وتركنا أبو غزالة حيث عُيِّنَ قائدًا جديدًا للواء .. وذهب أبو غزالة لقيادة لواء آخر وهكذا .. ولا أنسى له أنه أدار أكثر من مسابقة على المدفع كان يوزع في نهايتها جوائز عينية مما جعلنا نحب مدافعنا وننام في أحضانها دائمًا .

ويكمل اللواء محمد طلبه كلامه ويقول : وتمر الأيام ويتولى العقيد أبو غزالة قيادة مدفعية الفرقة الثالثة المشاة ثم يبدأ مرحلة دخول الصواريخ أرض ـ أرض إلى المدفعية المصرية ، ويشكل أول لواء لها ويقوده بالطبع العقيد أ . ح / أبو غزالة وكنت تحت قيادته وجاءت المعدات وبدأ التدريب وفي أحد الأيام كنت معينًا في خدمة مناوب العمليات عن قائد اللواء ، فدخلت مكتبه وأحسست بالحرج أن أجلس على مكتبه فجلست على مقعد بجوار المكتب ، ودخل عليَّ فلما رآني هكذا ، قال اجلس على مكتبي فإنك تنوب عني في هذه الخدمة ولا حرج في ذلك واتصلت ابنته ليلى به فأخذ يتكلم معها بكل حب وود وشوق .. وعلمني كيف يكون الأب ورب الأسرة في تعامله مع أبنائه ، وانتهت الدورة وكالمعتاد تركنا أبو غزالة لينتقل إلى وظيفة أخرى ..

في عام ١٩٧٤ ، حضرت دورة قادة كتائب بمعهد المدفعية وكم كانت سعادته حينما رآني ضمن أوائل الدورة أثناء تخرجنا ..

في عام ١٩٧٦ عين اللواء أبو غزالة ملحقًا عسكريًا في الولايات المتحدة الأمريكية وأحبه الأمريكان بدرجة كبيرة ، وكانت محاضراته في مختلف الجامعات الأمريكية تلقى قبولًا منقطع النظير من جميع الشخصيات الأمريكية والأجنبية والعربية ، كما أنه حقق وفورات كثيرة في النقد الأجنبي لمصر والقوات المسلحة من جراء صفقات شرائية لمصر من الولايات المتحدة تقترب من ملايين عدة ..

ونتيجة لنجاحه مع الجانب الأمريكي وإشادتهم بما يقوم به ، فإن السيد الرئيس محمد أنور السادات حينما زار الولايات المتحدة بعد عامين من عمل أبو غزالة كملحق دفاع عسكري في أمريكا فإنه صدق على استمرار أبو غزالة لمدة عام ثالث كملحق عسكري في الولايات المتحدة الأمريكية .. والمعروف عنه أنه كان يقوم بعمله بمنتهى النشاط والحيوية ويساعد جميع بعثاتنا المصرية في الولايات المتحدة وفي أي اتجاه واتسعت دائرة اتصالاته مع جميع السفراء والملحقين بما فيهم أعضاء الكونجرس الأمريكي ، ولا ننسى له كيف عالج أزمة السكر في مصر باتصالاته وعلاقاته مع أعضاء الكونجرس ، وحينما زار السادات الولايات المتحدة وتقابل مع أبو غزالة استشعر بأنه أمام عقلية متفتحة تجمع بين العسكرية الحديثة المتطورة وبين الذكاء السياسي الرائع ، فقام بتعيينه مديرًا للمخابرات الحربية عام ١٩٧٩ .

وأذكر له أنه قد صدق من الفريق أول كمال حسن على وزير الدفاع ـ في ذلك الوقت ـ على علاج زوجة أحد قادة المدفعية في بون / ألمانيا بعد إصابتها بالشلل على نفقة القوات المسلحة .

«في عام ١٩٨٧ قام المشير أبو غزالة باختياري للسفر معه إلى تركيا للتعرف على أحدث الأسلحة هناك ومنها الطائرة إف ١٦ ، المدفعية» وكان بعدها سيتوجه إلى فرنسا لحضور معرض الطيران الفرنسي «لابورجيه» ، واستمرت زيارتنا لتركيا خمسة أيام ، لم نذق فيها طعم النوم إلا قليلًا .. ومن المواقف الطريفة والتي تدل على بساطته .. أذكر أنه كانت غرفتنا أمام غرفته فسمعناه ينادي علينا ذات مرة فخرجنا مسرعين فوجدناه يلتحف ببشكير طويل ويقول شوفوا المياه انقطعت .. فضحكنا وتم حل المشكلة وفي اليوم الخامس وهو يودعنا على الطائرة قائلًا لنا : «أنتم تعبتم معايا قوي عشان كده بلاش تسافروا اليوم وسافروا غدًا» .. وشكرناه وكلنا أمل أن نذهب معه في أي مكان أو على الأقل يصل هو إلى مصرنا الحبيبة وهو في تمام الصحة والعافية ..

حينما أصبح أبو غزالة وزيرًا للدفاع حرص على حضور احتفال سلاح المدفعية بعيده السنوي يوم ٨ سبتمبر من كل عام ، وكان بعد العشاء يجتمع مع جميع الحاضرين وبنفس عادته يجلس معنا لمدة ساعة أو يزيد ما بين النكتة وخفة الظل ثم يكلمنا في السياسة والاقتصاد والموقف السياسي العسكري وكانت اللحظة التي كنا لا نريدها مطلقًا أن يغادرنا أبو غزالة لنكون في شوق لإعادة لقائه بعد عام آخر .. وحينما خرج للحياة المدنية لم يحضر مطلقًا يوم المدفعية وكان دائم الاعتذار ..

من المواقف التي تدل على بساطة الرجل أنه كان يغادر الوزارة نحو الساعة الخامسة عصرًا وشاهد – مرة - ، وهو في طريقه إلى منزله أحد الضباط الأصاغر ممسكًا بغطاء الرأس في يده فأوقف سيارته واستدعى الضابط فلما شاهده الضابط ارتبك وظن أنه هالك ، فإذا بالمشير أبو غزالة وزير الدفاع يقول له بحنو وحزم في آن واحد: «البس البيريه .. حتى لا تتعرض للمساءلة .. ثم تركه دون أن يؤذيه ..

أيضًا حينما كان وزيرًا للدفاع كان الضباط يبحثون عن أحد الدوسيهات المهمة ولم يعثروا عليه فدخل عليه أحد الضباط الساعة الرابعة والنصف عصرًا ، وكان أبو غزالة جالسًا على مقعده خلف المكتب وهو في إغفاءة بسيطة ، فلما أحس أبو غزالة أن أحدًا دخل المكتب سأله عما يريد فأجابه الضابط أنه لا يجد الدوسيه المطلوب .. وفوجئ الضابط بأبو غزالة يقول له الدوسيه في الدولاب .. في الدرج كذا .. فذهب الضابط واستخرج الدوسيه من الدولاب والدرج اللذين ذكرهما أبو غزالة ..

بعد انتهاء حرب تحرير الكويت وكنت مشتركًا في هذه الحرب ، وأثناء تكريمي من السيد الرئيس محمد حسني مبارك نزلت من على المسرح بعد تكريمي فوجدت أبو غزالة ويوسف صبري في الصف الأمامي فأديت له التحية كأحسن ما تكون فابتسم بفرح وأشار بيده أن أستمر في طريقي ..

وصفق الحاضرون حينما شعروا أن ما حدث ما هو إلا لمسة وفاء صغيرة من أحد ضباط القوات المسلحة نحو رجل وصل إلى منصب وزير الدفاع ومساعد رئيس الجمهورية ، وقد كان في ذلك الوقت خارج الحياة العملية ولكنه ما زال في عطائه ينعكس على كل من عرفوه أو لم يعرفوه ربما اسمًا وأحبوه في كل الظروف ..

يقول اللواء محمد طلبة : إنه قبل وفاة سيادة المشير أبو غزالة بنحو ثلاثة أشهر في مستشفى الجلاء وحينما شاهدته توجهت مسرعًا إليه ، وسلمت عليه مع انحناءة مليئة بالتقدير والحب والإعزاز فقال لي: «لا تحن رأسك إلا لله عز وجل فقط» .. وضحك ... وكنت أتمنى أن أقول له :

قم للمعلم وفه التبجيلا — كاد المعلم أن يكون رسولًا

ولم أره بعد هذه المقابلة إلا وأنا أصلي عليه في مسجد آل رشدان ..

اللواء حسني سليمان مدير إدارة المدفعية ومساعد الوزير سابقًا يقول :

خلال فترة الوزارة .. كنت رئيس فرع التدريب والعمليات في الوزارة وهو كان وزير الدفاع ، كان أعجوبة .. كان رجلًا شديد الذكاء وسريع البديهة ، تعرض عليه المذكرات والدراسات والمحاضر فيقرؤها في خمس دقائق مهما يكن عدد صفحاتها ويضع نقاطا على الأحرف ويعطي قرارًا صائبًا فيها ..

مرة حضر إلينا وفد من الكونجرس الأمريكي يضم نحو ٣٠ شخصية مهمة ، وكان معهم السفير الأمريكي في مصر فرانك ويزنر ومكثوا معه نحو ثلاث ساعات كل واحد منهم يسأله سؤالا وانبهروا انبهارا غير عادي من ردوده وشرحه الوافي وإجابته على كل الأسئلة .. لدرجة أنهم تخطوا ميعاد الزيارة المحدد ولم يتركوه إلا بعد أن أخبرهم السفير الأمريكي أن برنامج الزيارة المحدد في وزارة الدفاع انتهى وما زال في البرنامج العديد من الزيارات .

أما عن زيارتنا الخارجية :

أذكر أننا ذهبنا إلى إيطاليا في وفد رسمي لأول مرة برئاسته وكان معنا رؤساء قوات البحرية والجوية ومندوبون من الأسلحة المختلفة واستقبلونا استقبالا رسميا ، وبعد ذلك عقدنا اجتماعا في وزارة الدفاع الإيطالية .. وجلسنا على منضدة الجانب المصري بجواره وخلفه وجلس أمامنا الوفد الإيطالي وكان مكونا من وزير الدفاع ورئيس الأركان الإيطالي ورؤساء القوات البحرية والجوية وغيرهم .. المشير أبو غزالة كان معه خريطة عن أمن البحر المتوسط ، وانطلق في الكلام والشرح والعرض المذهل لدرجة أذهلت الجانب الإيطالي وقاموا من أماكنهم والتفوا حوله نحو ساعة ونصف الساعة ، يستمعون لشرحه وحديثه وتصوره عن الأمن والقيام بتوجيه الأسئلة له .. وهذه الزيارة كانت من أجل التعاقد على طائرات هليكوبتر ومعدات حرب إلكترونية مع عدد من الشركات والمدن الإيطالية وكانت زيارة موفقة بصورة كبيرة ..

الزيارة الأخرى كانت في الأردن .. استقبلنا زيد بن شاكر القائد العام للقوات الأردنية ، وبعد مراسم الاستقبال ذهبنا معه إلى مكتبه ثم أخبر المشير أبو غزالة أن الملك حسين يدعوه هو والوفد المصري المرافق له إلى الغداء في قصره .. وبالفعل ذهبنا ومكثنا معه أكثر من ثلاث ساعات من الثانية ظهرًا وحتى الخامسة مساءً .. في البداية كان فيه نوع من التحفظ وبعد ذلك انطلقنا في الحديث في كل الموضوعات التي يمكن تخيلها .. كان لبقا وذكيًا وعالمًا بكل شيء أي سؤال يوجه إليه يجيب عنه في منتهى السرعة والجرأة بحيث يثير إعجاب الموجودين معه ..

***

اللواء دكتور مهندس حسام الدين خيرت ، رئيس البحوث الفنية والمشروعات الخاصة بوزارة الدفاع سابقًا ، يقول :

«تعرفت على المشير أبو غزالة في ٦٧ بعد تخرجي في الكلية الفنية بشهر واحد فقط .. كان مدرسًا بمدرسة المدفعية ، وكنت في دراسة تأهيلية لتدريس مادة رادارات ، وتقابلت معه ومنذ هذا التوقيت ونحن أصدقاء حتى قبل مماته بساعات كنت أزوره في مستشفى الجلاء ..

حصلت على المركز الأول في تخرجي ، ولذلك عُينت مدرسًا بمدرسة المدفعية حتى ١٩٧٢ بعد ذلك نقلت إلى مصنع الصواريخ واشتغلت بأبحاث حتى ١٩٧٤ .. أثناء الحرب كنت على اتصال دائم به ، وكان هو في قيادة مدفعية الجيش الثاني واستطعنا تقديم بعض الأفكار التي تفيد أثناء حرب أكتوبر باستخدام الأسلحة والأفكار التي طورناها .. بعد ذلك عدت إلى المدفعية وعينت رئيسًا للبحوث الفنية بها وكان أبو غزالة رئيسًا لأركان المدفعية ، وظللت في هذا المنصب حتى ١٩٨١ مسؤولًا عن البحوث والتطوير لجميع الأسلحة وحصلت على كثير من الجوائز من هيئة البحوث ومديري المدفعية اللواء منير شاش واللواء يوسف صبري واللواء أبو غزالة .

وبعد أن أصبح المشير أبو غزالة وزيرًا للدفاع اختارني للعمل معه في الوزارة مسؤولًا عن جميع البحوث الخاصة بالتطوير لكل أسلحة القوات المسلحة ، وخصني بتولي مشروعات حساسة ومهمة ، والحمد لله تمت كلها بخير وبنسبة نجاح عالية ودعمت موقف مصر في التصنيع الحربي .. خلال تسع سنوات كنت مسؤولًا فيه عن التطوير ، وتم في عهده تطوير المعدات والأسلحة بنسبة عشرين ضعفا ما قبل تاريخ ١٩٨١ وتوليه وزارة الدفاع ..

ونشر ذلك في ديسمبر عام ١٩٨٢ بـ(الأهرام) في عددها الأسبوعي الجمعة وكانت أول مرة ينشر عن ضابط مصري وصورته والتطوير الذي أحدثه في التسليح وذلك في الصفحة الأولى .. والذي أصر على نشر ذلك هو المشير أبو غزالة وذلك حتى يطمئن الشعب المصري بوجود ضباطًا يطورون ويوفرون مئات الملايين من الدولارات ، ويضربون المثل والقدوة لكل المصريين وكان ذلك بالاتفاق مع الرئيس مبارك رئيس الجمهورية ولوجود قضايا فساد وانحرافات كثيرة في ذلك الوقت .. ونشرت الصورة بالإنجازات وإثبات أن مصر في هذا المجال لها إمكانيات كبيرة .

أثناء خدمتي مع المشير أبو غزالة كان يوافق على أي طلب نطلبه للتطوير ــ سواء لخريجي الكلية الفنية ــ والتي كان يتبناها ويقول: إنه المفروض أن خريجيها هم المسؤولون عن تطوير القوات المسلحة وتأهيلهم جيدًا وأول مرة يحصلون على دراسات هندسية في تطوير وتصميم المعدات والصواريخ والذخائر والطيران في جميع المجالات العسكرية من الكتلة الشرقية ثم الغربية بقدر الإمكان ..

وكان من ضمن ذلك إحداث تطوير كبير بواسطة هؤلاء الخريجن والمهندسين والضباط المسؤولين عن التطوير في العمليات والاستخدام ..

وجميع من اشترك في التطوير مصريون ولم يوجد أي أجنبي ، وذلك لأن هذا ممنوع عالميًا مهما يوجد تحالف بين الدول لأنه لا توجد دولة تعطي أسرارها لدولة أخرى ..

المشير أبو غزالة كان يشجع ويوافق على إقامة أية معامل أو دراسات أو تطوير معدات وإحداث تغيرات وغيره .. وأذكر أن نسبة بعثات الدكتوراة في الخارج كانت للعديد من الدول فرنسا وأمريكا وألمانيا ، ونظرًا للانفتاح مع الكتلة الغربية في هذا الوقت .. واكتسب هؤلاء الضباط خبرة كبيرة ، واشتركوا معي في تطوير القوات المسلحة بعد حصولهم على الدراسات وعودتهم إلى مصر .. وحققنا إنجازات كبيرة والحقيقة أنه لم يتأخر في تقديم أي ميزانية للبحوث والتطوير ؛ لأنه كان يرى أن العائد كبير جدًا ولا يمكن الحصول عليه ووجد أشياء لا يمكن شراؤها .. المعروف أنه كلما زاد التقدم العلمي في النواحي العسكرية زاد الحظر عليها

أكبر تطوير حدث في الثمانينات وما بعد ذلك وحتى الآن ، وإسرائيل تعلم ذلك جيدًا ولا يتملكها الشجاعة في القيام بأي عمل عدواني على مصر أو الدخول في الأراضي المصرية لأنها تعلم إمكانياتنا الفنية وما حصلنا عليه وحرب ٧٣ كانت نموذجًا عمليًا بالرغم من أننا لم نكن نطور الأسلحة إلا بنسبة بسيطة .. هذا الإنجاز الرئيسي في التعامل مع المشير أبو غزالة ، إنجازاته في كل مكان إسكان ومياه وشبكة مواصلات واتصالات وكباري وغيرها ..

كان كل همه أن نعطي مثلا للمدنيين ونساعدهم .. كان يرى أن أي مشروع يفيد القوات المسلحة ثم الجهات المدنية نتدخل ونساعد فيه ، ذات مرة كنت نوبتجي في الوزارة ، وإذا به يكلمني ويخبرني أنه قرأ خبرا في إحدى الصحف الأجنبية عن تطوير موضوع معين وطلب منا تجميع كل البيانات ومعرفة أصل الموضوع حيث يمكن تحقيقه في مصر والاستفادة منه .. وكان يكلم الوزارة ويعطيهم الفكرة ويتبناها أولًا بالقوات المسلحة .

أزمة العيش :

في فترة توليه وزارة الدفاع حدثت أزمة للخبز في مصر ، وكعادة القوات المسلحة ومشاركتها في الأزمات التي تجتاح البلاد في أي وقت فإنه ألزمنا بالاتصال بالمصانع الحربية وجمع المسؤولين وطالب بعمل خط إنتاج الرغيف وفي خلال شهر ونصف الشهر ، تم حل المشكلة ومن خلال مصنع حربي ، وتم التغلب على المشكلة في مصر كلها ..

وتكررت المشكلة نفسها هذا العام وفي عهد المشير حسين طنطاوي ، واستطعنا أيضًا التغلب عليها .. هكذا في القوات المسلحة أمن مصر وردعها في وقت الحرب والسلام ..

وعن مساعدته للأزمات في مصر .. حدث ذات مرة تلوث للمياه في محافظة البحيرة ، وانتشر هذا الموضوع في الجرائد ، وأحدث ذعرًا شديدًا لكل المواطنين ، والسبب مصنع صرف مخلفاته ، وكانت عبارة عن مواد سامة في الترعة ، وكانت ستؤدي لوفاة وإصابة محافظة بالكامل ثم سائر المحافظات ، حتى البحر الأحمر .

تدخل الجيش وقام المشير أبو غزالة بالإشراف والمتابعة شخصيًا على هذا الموضوع ، وتم مشاركة فريق من الحرب الكيماوية لمعالجه المياه وتنقيتها لمدة ٤٨ ساعة متصلة ، وتم معالجة هذه المشكلة التي كانت يمكن أن تؤدي لوفاة آلاف من الناس وأصبحت صالحة للشرب .

في عهده تم لأول مرة إعداد شبكة نقل عام للقوات المسلحة ، بحيث لا يستخدم أي ضابط أو جندي في المناطق العسكرية بالقاهرة وخارجها لأي وسيلة مواصلات مدنية ؛ وذلك حتى يزيل العبء عن الدولة ، وحتى يوفر وسيلة نقل آمنة للعسكريين ..

العميد أحمد صالح ، ضابط مدفعية ومن أعز أصدقاء المشير ومن فريق التنس :

«بداية معرفتي بالمشير أبو غزالة عندما كان القائد العام للقوات المسلحة وكان يلعب رياضة تنس بنادي الجلاء .. كنت برتبة المقدم ألعب أمامه ومعي كثير من الضباط .. وفي الحقيقة تعلمنا منه أشياء كثيرة وكل الصفات الجيدة من الالتزام والروح الرياضية العالية والدقة .. كنا نلعب تقريبًا معه ولكن العلاقة لم تتدعم كثيراً وبمجرد خروجه من الخدمة زادت العلاقة وزادت الروابط وتدعمت وهو أيضًا ازداد وقته لممارسه اللعبة معنا ..

آخر ثلاث حجات له كنت أرافقه ، ولأني كنت مستدعى في القوات المسلحة فإنه استأذن القائد العام المشير حسين طنطاوي للسماح لي بالسفر معه .. وعن سبب اختياره لي للسفر معه ، فإنه يعود إلى ارتياحه النفسي لي ، فكنا في فريق التنس نحو ثلاثين فردًا ولكنه كان يفضل أن أذهب معه ..

كان شخصية مرحة وبسيطة ، أي موضوع يتكلم ويسرد فيه .. معلوماته العامة غزيرة ، قارئا جيدا ، كلامه مؤثر .. عندما يتحدث لا بد أن تنصت له ، كان يهتم بالصغير قبل الكبير ، ولو من فرد أصغر منه في السن أو الرتبة ولو أن جنديًا أو عاملًا في النادي وغيره أراد أن يصافحه فإنه يقف من الكرسي ويسلم عليه ويسأله بإلحاح إن كان يريد شيئا أو مساعدة ..

كان دائم الإيثار والولاء للزملاء ودائم تقديم الخير للسائقين ويصرف لهم مرتبات شهرية ، ودائمًا كان يشتري البطاطين ويوزعها على المحتاجين ويحضر حلوى للأطفال ومن يجمعون الكرة من الملعب ويهتم بالبراعم ويحضر لهم جوائز من جيبه الخاص لتدعيمهم والاهتمام بهم .. وأي ظرف طارئ سواء كان مرضا أو زواجا أو وفاة أو غيره فإنه يقوم بتجهيز ظرف به مبلغ من المال ، ويكلف أحد الأشخاص بإرساله إلى الأسر المحتاجة ..

في منزله كان يحب الجلوس في غرفة مكتبه ، والتي يطلق عليها الصومعة ، وهي عبارة عن غرفة كبيرة بها كرسي ومكتب وتليفزيون وجهاز كمبيوتر وكتب لا حصر لها .. كان كل اهتمامه قراءة الكتب والمجلات في مختلف أنواع العلوم وكان يشترك في كثير من المجلات والجرائد العالمية والعربية ويقرؤها بكل اهتمام وكان يكتب في بعض الجرائد العربية في فترة من الفترات .

كثيراً ما كان يحضر إلى النادي وهو يقود السيارة بنفسه .. فترة مرضه كانت فترة قصيرة لم يرقد كثيراً فالذي أعرفه أنه مرض مرتين قبل ذلك ، ولكنه كان يحضر لممارسة التنس .. صحيح ليس بنفس الصورة المعهودة من قبل لكنه كان يلعب ..

المشير أبو غزالة دائمًا كان يريد الفوز ، ولو خسر «جيم» فإنه يركز جيدًا في «الجيم» الآخر حتى يفوز بالمباراة ..

باختصار المشير أبو غزالة ممكن يخسر جولة ولكنه لا يخسر المعركة ، فاللعب مثل المعركة لها فنيات وتكتيك وتكنيك ..

وعن معايير اختيار أصدقائه .. أجاب العميد أحمد قائلًا : الحقيقة أراد كثيرون صداقته والاقتراب منه وكان يقدر كل شخص ويختار من يرتاح له ويخرج معه .. معاملته كانت جيدة مع الجميع .. كثيراً ما كان يعزمنا ــ أسرة التنس ــ على الغداء أو العشاء بعد انتهاء اللعب .. في كل رمضان كان يعزم كل المجموعة عنده على الإفطار أو السحور مرة أو أكثر وهذا هو أول رمضان يقدم علينا بدونه ..

أما عن مجموعة التنس فإنه كان دائم الاهتمام بها .. كان يرسل لكل فرد منا كرتونة محملة بكل ما لذ وطاب في رمضان ، وفي المولد النبوي وحلاوة المولد وكل المناسبات والأعياد وفي أعياد الميلاد كان يرسل لكل فرد تورتة وهدية خاصة به دون تفريق أو تمييز أبو غزالة باختصار كان مجاملًا وكريمًا جدًا مع الجميع ..

القائد العام للقوات المسلحة المشير حسين طنطاوي صدق له بالسفر للعلاج بباريس مرتين وسافر وعولج وعاد مرة أخرى للعلاج وفي المرة الأخيرة قرر هو دخول مستشفى الجلاء، وكان يزوره القائد العام المشير طنطاوي ويطمئن عليه، والحقيقة أن وزارة الدفاع والقوات المسلحة هي الجهة الأولى التي لم تتأخر عنه لحظة في أي شيء يطلبه ..

***

السيد سامي شرف .. الدفعة ٤٩ وسكرتير الرئيس جمال عبد الناصر :

أبو غزالة شخصية عظيمة وإنسان رائع ، كنا زملاء في الكلية الحربية ولكن للأسف لم يجمعني القدر معه في السرية نفسها أو السلاح .. ولكني أتذكر أنه كان من الطلبة المتميزين والمثابرين المنتظمين .. كان جادًا محبوبًا ..

في خطواته العملية تولى هو المناصب العسكرية وأنا استمريت في الرئاسة .. علاقتنا كانت زمالة وصداقة يملؤها الاحترام والتقدير .. كنا نتقابل في المناسبات واللقاءات في بعض الأحيان ونتذكر أيام الدراسة .. وكانت لقاءات في غاية الدفء والحب والفضل يعود لشخصيته الودودة الرائعة .. رحمه الله على كل ما قدمه وعلى أخلاقه وعلاقاته بالآخرين ..

يقول اللواء حسني السبع .. الدفعة ٤٩ :

أبو غزالة نعتز به كإنسان وكطالب ممتاز علمًا وخلقًا وعسكريًا : مما أهله للحصول على رتبة وهو في الكلية وكان يقود الطلبة وزملاءه يعني من يومه وهو قيادي التفوق الأخلاقي كان له درجة ودور لا يقل عن التفوق العلمي والعسكري ، طريق أبو غزالة معروف وعمل أشياء نعتز بها ونقلت القوات المسلحة من مستوى لمستوى آخر .. استطاعت من خلاله الوقوف على أرجلها .. أبو غزالة لم يتأخر عن تقديم واجبه ورفع مستوى الجندي في أي وقت ..

* جمال كمال كبير المحررين العسكريين .. نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية يقول:

«العسكرية المصرية انضباط والتزام وكل قادتها يلتزمون بذلك .. وأحد هؤلاء القادة المشير أبو غزالة والذي تولى قيادة القوات المسلحة في مرحلة أزمة والخروج من حرب أكتوبر ١٩٧٣ وبناء مصر بعد ما خسرته قبل وأثناء الحرب .. ومواجهة الانفتاح الاقتصادي وغيره من الأحداث الكثيرة في فترة الثمانينيات .. في هذه الفترة كان الشعب المصري في حاجة ملحة لاكتساب ثقته في القوات المسلحة التي يحبها ويحترمها والمشير أبو غزالة استطاع أن يفعل ذلك .

أزعم أن المشير أبو غزالة أول من قرَّب للشعب مفهوم الإستراتيجية العسكرية والأمن القومي ، من قبل كان الناس لا تعرف هذه المصطلحات ، ساعده على نقل ذلك الإعلام ولذلك كان للإعلام كل تقدير واحترام ، باختصار صنع انفتاحًا بين القوات المسلحة ومؤسسات الدولة .. أذكر حضوره ذات مرة مؤتمرًا في الحزب الوطني ـ رغم عدم انتمائه لأي حزب ـ وكان يتحدث عن أمن مصر القومي وتكلم بطريقة أذهلت وأعجبت الجميع .. وقد كان أول مرة تظهر لجنة الدفاع والأمن القومي .. وعند وضع خطط الموازنة كان يلتقي بأعضاء مجلس الشعب «لجنة الدفاع والأمن القومي» .. وهذا ما زاد حب الناس في القوات المسلحة فيه ..

«أبو غزالة تحدث عن مصادر التهديد لمصر ، ورغم اشتراكه في لجنة مشتريات السلاح مع أمريكا عام ١٩٧٥ ، والحصول على أول صفقة سلاح» عندما كان ملحقًا عسكريًا بواشنطن .. ورغم علاقته الجيدة بأمريكا فإنه كان يقول : «الأمريكان لن يعطونا ما نريد من أسلحة» .. إنه كان قائدا مختلفا لم نتعود عليه

أتذكر عندما كنت أقابله كان يسألني : هل قرأت الكتاب العربي أو الأجنبي كذا ؟ فأقول : لا.

فيكلف أحد الضباط بترجمة الكتاب لو كان بلغة أخرى ويمنحه لي قائلًا : «بعد عشرين يوما نتناقش فيه ..» وهذا يدل على مدى تقديره للعلم والاستفادة منه .. وكان دائمًا يستمع للرأي الآخر ..

موقف في إحدى المناورات .. يبين مدى ثباته الانفعالي وسرعة بديهته ..

أثناء إحدى المناورات وبحضور رئيس الوزراء الدكتور فؤاد محيي الدين .. والفريق صفى أبو شناف قبل توليه رئاسة أركان حرب القوات المسلحة بيوم واحد .. وفي حضور رئيس هيئة التنظيم والإدارة وعدد كبير من الصحفيين وأعضاء مجلس الشعب .. وأثناء العرض أطلقت إحدى الطائرات صاروخًا بجوار المنصة ـ بطريق الخطأ ـ .. فماذا فعل في هذا الموقف الذي أفزع الجميع ؟! ..

***

تمالك نفسه وكان يمكن أن يمر الموقف عاديًا جدًا ، لكنه كان يمتلك سرعة بديهة عالية وتكلم كعادته بكل بساطة وقال : «أكيد شوفتوا ما حدث وهذا يؤكد كيف أننا نتعب في التدريب وممكن نموت وتحصل خسائر أيضًا» .. وأتذكر أنني سألته ننشر في هذا الكلام ، فقال : «نعم ينشر، الناس كلها شاهدت ما حدث والخبر ها يتسرب للجميع» .

موقف آخر .. بعد أحداث المنصة .. أحضر الأمريكان طائرات حديثة هي «أواكس» وتم عرضها في معرض أقيم في مطار غرب القاهرة لمشاهدتها وتم نصب منصة قماش والجو كان باردا والرياح شديدة .. وفجأة طارت المنصة وفزع الجميع وجرى ، إلا هو ظل ثابتًا في مكانه لم يتحرك..

المشير أبو غزالة في كثير من الأحيان كان صريحًا لأبعد حد .. كتبت مرة مانشيتا كبيرا في جريدة الجمهورية عن حصول مصر لأول مرة على مدفعية ذاتية الحركة «١٥٥ مم» .

وكان الموضوع مدعمًا بالصور .. وسمع الموضوع وكان صداه رائعًا رغم أن النيابة العسكرية كانت تحقق معي لأنه لم يكن مصرح للنشر بعد .. وعندما التقيت به أخبرني أن الموضوع رائع ولكن الصفقة لم تصل بعد وكان لا يجب التصريح بها قبل وصولها .. لكنه طمأنني في نفس الوقت .. وأن الموقف سيمر على خير .

أنا أزعم أن أبو غزالة استطاع أن يحافظ على القوات المسلحة في وقت كان يمكن أن تنفلت، بعد معاهدة السلام .. فمعظم جيوش العالم بعد اتفاقيات السلام يحدث فيها نوع من الهدوء والتراخي ويمكن أن تصل إلى نوع من الانحلال .. ولكن ذلك لم يحدث في الجيش المصري ووجدنا اهتمامه بالتطوير والتسليح واهتم أيضًا بإنجاز مشروعات تنموية كثيرة أسعدت الشعب المصري وساهمت في التنمية الشاملة للدولة ..

كنت أطلق عليه لقب القائد القدري .. المشير أبو غزالة كان يقول لا أقبل أن أكون وزير الدفاع والإنتاج الحربي فقط ، بل القائد العام للقوات المسلحة فالأول منصب سياسي ، أما أنا فأحب أن تكون علاقتي بالقوات المسلحة ..

العلاقة بين المشير أبو غزالة والرئيس مبارك كانت جيدة وكلها احترام وصداقة وزمالة .. في فترة توليه القوات المسلحة كان للقيام بمهمة معينة وعندما انتهت تولي منصبًا آخر لأداء دور آخر..

قيل عنه: إنه رجل أمريكي .. وطبعًا عمره ما كان رجلا أمريكيا أو غيره .. لكنه كان رجلًا متعلمًا يعرف كيف يتحدث ويتكلم مع الأمريكان وكل العالم .. والذي يؤكد الكلام أنه هاجم أمريكا وهو وزير وذلك ردًا على من يقول: إنه كان أمريكي النزعة ..

قبل حرب الخليج الثانية «الغزو العراقي للكويت» كلمني الساعة الحادية عشرة مساءً، وأبلغني أنه يتوقع أن أمريكا ستضرب خلال ساعات وفعلًا حدث ذلك بعد مكالمته بساعات قليلة ، وطبعًا هذا يعود لخبرته الإستراتيجية وقدرته على التنبؤ وعلاقته بكردسمان وتومس فريدمان وكان يتناقش معهما ، والمعروف أن كردسمان أكبر معهد دراسات وقام بعمل جزء كبير من كتاباته .. مثل حرب الخليج / ما بعد العاصفة .. المشير أبو غزالة كان يشرح لي الموقف وأبعاده بكل وضوح ووعي وعندي مقالات كثيرة له كان يرسلها لي لنشرها في جريدة «الجمهورية» وتنبأ بكثير من الأحداث والحروب والتي فعلًا تحققت بعد ذلك وما زالت تتحقق حتى الآن في جميع أنحاء العالم وفي الشرق الأوسط ..

كان يشعر بأن عليه مسؤولية .. ترجم كتبا من أروع ما يمكن .. في ترجمته لكتاب نيكسون تنبأ بأن أمريكا تبحث عن عدو .. وذلك عندما كان وزيرًا للدفاع ..

أبو غزالة لم يمنح أي ترقية استثنائية .. حصل على تدرجه الوظيفي من أوله منذ كان ملازما ثانيا إلى أن صار مشيراً .. أول وزير دفاع يكثر من الأحاديث الصحفية ويلتقي برؤساء تحرير الصحف ويحول العسكرية من كلام جامد وجاف إلى كلام بسيط ومفهوم لكل فئات الشعب ..

أيام حرب الخليج الأولى «العراق وإيران» ذهبت إلى هناك تسع مرات وبمجرد عودتي كان يطلبني ويسألني عما رأيته ورأيي في الوضع ويناقش معي في كل شيء .. بكل أمانة إنني أدين لهذا الرجل بالكثير ، فهو الذي علمني وعرفني ما هي العسكرية بمعناها الصحيح ..

أقامت مصر أول معرض للسلاح في مطار ألماظة عام ١٩٨٣ ، وحضره الرئيس محمد حسني مبارك وبينما أقف مع باقي الإعلاميين أجده يشاور لي بأن أذهب إليه وكان بجواره الرئيس مبارك ، ووجه كلامه للرئيس مبارك قائلًا :

«الولد ده ينفع رئيس تحرير .. ولكن مشكلته إن سنه صغير .. فقال لي الرئيس مبارك : طب وريني شطارتك واسأل .. فوجهت عددا من الأسئلة لسيادة الرئيس ونالت إعجابه ..

وبعدها قال لي أبو غزالة .. برافو عليك .. طولت رقبتي» ..

علاقته مع الرئيس حسني مبارك ورؤساء أركانه ومساعديه وضباطه من أحسن ما يمكن .. اللواء تحسين شنن رحمه الله كان من أقرب القادة له ، وكان دمه خفيفًا ويسعى دائمًا إلى أن يقص عليه أحدث النكت والمواقف الطريفة .. والفريق سيد حمدي قائد قوات الدفاع الجوي دفعته وصديقه ..

بعد تقاعده عن العمل كان يكلمني وأكلمه باستمرار وكان يرسل لي أي كتاب جديد يقوم بتأليفه أو ترجمته ويسألني عن رأيي فيما كتبه ..

أنا حقيقي أقول إنه ظاهرة في كل شيء .. وشخصية نادرًا ما تكرر .. مع احترامي لكل قادة القوات المسلحة وكفاءتهم .. ومع ذلك أزعم بأن المشير أبو غزالة له تلاميذ وقادة .. وجميع القادة السابقين واللاحقين والموجودين يكنون له كل التقدير والاحترام .. وهو أيضًا كان يكن كل تقدير للقادة السابقين له ولم نسمع يومًا أنه تحدث بطريقة مسيئة عن الفريق فوزي أو سعد الشاذلي على الرغم من خلافه معهما سابقًا في بعض الأمور ..

قائد عظيم .. شاهدت مرة معركة كلامية وكنت طرفًا فيها وذلك عندما تكلم الدكتور عبد العظيم رمضان عن حرب الاستنزاف وقال: إنها حرب لم يكن هناك جدوى منها وخسرت مصر بسببها الكثير .. وهنا رد عليه المشير أبو غزالة ردا موضوعيا ووطنيا .. ورددت أنا قائلًا: إنها الإدارة المقاتلة .. قيمتها أنها لم تحطم الإدارة المقاتلة في الشعب المصري ، وفي أقل من ست سنوات التحم الشعب مع الجيش وحولوا الهزيمة إلى انتصار مدوٍ وهذه الإدارة المقاتلة لم تنكسر والذي ساعد على صمودها في حرب الاستنزاف ..

أبو غزالة لم يكن عنده طموح سياسي .. كان قائدا وضابطا قبل أي شيء .. كان نموذجًا للقائد العسكري الذي يدرك مهمته ، ويعرف حدود الواجب الواقع عليه ويؤمن بقدرات الشعب ..

المدفعية عمقت من تميزه في الرياضيات .. فضباط المدفعية دائمًا يحسبون كل شيء ؛ وبالتالي أصبحت عقليته منسقة ، وعندما أدخل مشروعات التنمية وكانت بدايات الانفتاح الاستهلاكي .. وبداية المقاولين .. وأقام شققا في امتداد رمسيس ومدينة التوفيق .. وقام أيضًا بتخفيض أسعار الشقق ..

*** المشير أبو غزالة من أوائل القائلين إن المؤسسة العسكرية لم تأت من فراغ ، فالضباط هم كل فرد من الشعب المصري ، لذا يوجد نوع من التلاحم بين أبناء الجيش المصري .**

أول قائد يحضر أفراحا عندما تصل إليه دعوة فرح كان يحضر ويجامل وبعد خروجه من الخدمة لم يحضر أفراحا ، ولكنه كان يحضر واجبات العزاء ويزور المرضى ..

رفض أن يكون مستشارًا لأي دولة وقدمت له عروض كثيرة من دول الخليج والسعودية .. وكانت مغرية للغاية ..

«عرض عليه شيئان ورفضهما .. أن يتولى رئاسة النادي الأهلي ، وكان يقول معقول وزير دفاع مصري في ماتش كورة حد يقول كلمة سيئة في حقه ، ملك السعودية أرسل له كثيراً دعوات للحج وقبل بعضها ورفض بعضها ، واعتذر وكان يرفض حفلات الاستقبال» .

«يقول السيد شوقي حامد ، المحرر الرياضي بجريدة «أخبار اليوم» :

المشير أبو غزالة قدم لي خدمتين غيرتا تاريخ حياتي .. الخدمة الأولى أثناء عملي بالقوات المسلحة ، وكنت برتبة عقيد ، قدمت له طلبا بالموافقة لي على الكتابة في إحدى الصحف القومية ، ووافق على أن يكون الاسم بدون ذكر رتبتي العسكرية وبدون أي إلزام مالي من القوات المسلحة لي ..

المرة الثانية طلبت منه الحصول على دبلومة من كلية الإعلام .. ووافق وأصدر تعليمات بعمل دبلومة للعلاقات العامة والشؤون المعنوية ودرست أنا ومجموعة من الضباط لمدة عام .. وكانت دراسة جيدة استفدنا منها كثيراً ..

من مواقفي الشخصية معه :

مرة وأثناء قيامي بعرض عملي على الفريق إبراهيم العرابي ، رئيس أركان حرب القوات المسلحة .. ألزمني بتعليمات كثيرة لتنفيذها .. وبعد انتهاء المقابلة صعدت للدور العلوي لمقابلة المشير أبو غزالة لعرض المجلة عليه ولتكملة باقي عملي .. كنت عقيدا ورئيس تحرير مجلة النصر ومستشارا إعلاميا للوزارة .. وأخبرني مدير مكتبه أنه مشغول جدًا وفي حالة لا تسمح بالمقابلة ...

ومع ذلك عندما أخبره سكرتيره بوجودي أدخلني على الفور وركز معي في كل شيء ، ووجدت أشياء أخرى لم يوافق عليها .. فأبو غزالة كان متعدد الاتجاهات والاهتمامات ويستطيع التركيز في أكثر من موضوع في وقت واحد .. المشير أبو غزالة في قمة حالته الانفعالية يستطيع أن يأخذ قرارا لحظيا وفي التوقيت المناسب ويتخذ القرار الحاسم الأصوب .. المشير أبو غزالة كان إنسانًا قبل أن يكون قائدًا .. أبًا ، حنونًا يتعامل معنا كأبناء ..

* ظهرت ديمقراطيته في الكتابة أثناء كتاباتي عن فريق الأهلي ضد فريق الجيش عندما كان يريد نشر خبر أو تكذيب خبر أو الرد على موضوع ما .. كان يطلب من المقربين أن أتصل به ويبلغني بما يريد .

كان له جلسات أبوية ، وكان مسموحًا فيها بتوجيه أي سؤال له ، وكثيرًا ما كنا ــ الصحفيين ــ نسأله عن حقيقة الشائعات التي تروج عنه ، وكان يضحك ويقول .. من أطلق هذه الإشعاعات ناس عندهم خيالات وأوهام مريضة ، وليس لها أساس من الصحة .. ومن عنده حقيقة مؤكدة فليظهرها وبعدين أنتم صحفيون لازم تكونوا متأكدين من الشائعة وحقيقتها .. ثم يستمر في ضحكه ولا يعلق ..

كان يحب النكتة ودمه خفيفا جدًا ومثقف لأبعد درجة .. موسوعى الثقافة والقراءة .

اللواء حسن عبد الغني مدير إدارة الشئون المعنوية سابقًا (رحمه الله) كان دفعته وأنا كنت مديرًا لمكتب سيادته ، وأذكر أثناء فترة تولى المشير أبو غزالة لمنصب مدير المخابرات كان بينهما أمر ما، وعاتبه اللواء حسن وعبر له عن غضبه في مكالمة تليفونية .. وبعد ساعات قليلة ، وجدنا اللواء أبو غزالة يحضر بنفسه لمصالحة اللواء حسن ويقبله ويخبره أنهم زملاء وأشقاء مهما يحدث ، وتم تصفية الموقف وإزالة الخلاف فورًا .. هذا الموقف حدث أمامي ، موقفان إنسانيان قام بهما أمامي مع اللواء حسن عبد الغني .

عندما أحيل اللواء عبد الغني للتقاعد كان معاشه نحو ٢٧٥ جنيها فقط في فترة الثمانينيات ، واتصلت بالمشير أبو غزالة أبلغه بهذا المعاش لضآلته دون معرفة اللواء حسن بذلك .. ووجدته يطلب مني كتابة طلب بيدي للتصديق على معاش استثنائي له فورًا ودون علم اللواء حسن بذلك ، ذات مرة مرض اللواء حسن مرضًا شديدًا بعد التقاعد ، حدث له أزمة قلبية وطلبت مكتب المشير أبو غزالة وأبلغتهم أن حالته تستدعي السفر للخارج للعلاج .. وأمر فورًا المشير أبو غزالة .. مدير الخدمات الطبية بأن يسافر اللواء حسن وزوجته على نفقة القوات المسلحة فورًا وسافر في اليوم التالي إلى مستشفى لندن كلينك وغير أربعة شرايين ..

ما زلنا مع الأستاذ شوقي حامد الذي يواصل حديثه قائلًا : «مرة كتبت عن المنتخب العسكري وقدمت له شكوى من رئيس هيئة التدريب والمشرف على المنتخب ، العسكري في ذلك الوقت المرحوم تحسين شنن والذي اتهمني فيها بالقسوة في وصف أداء المنتخب بالتواضع في إحدى المباريات .. فكل الذي فعله أنه ابتسم قائلًا .. وهل مطلوب تجميل الأداء على غير واقعية !!.

يواصل الناقد الرياضي شوقي حامد ذكرياته ويقول : سألته في إحدى المرات هل صحيح ما تردد في الشارع الرياضي المصري من أن سيادتكم سترشح نفسك لرئاسة أحد الناديين ــ الأهلي أو الزمالك ــ فأجابني بكل صدق :

«أنا ملك كل المصريين ولست حكرًا على فئة لونية خاصة .. فلو أن أحد الأندية كان ملك كل مصر فلن أتردد في رئاسته» ..

ويختم كلامه قائلًا .. المشير أبو غزالة نال حبًا واستحوذ على مشاعر هائلة من العواطف .. بكته كل الأعين وحزنت عليه كل الأفئدة وودعته كل القلوب .. وتوجهت الأكف بالضراعة إلى الله أن يسكنه الجنة .. فقد كانت له مكانة عالية ومنزلة سامية في نفوس كل الشعب المصري ؛ لأنه كان واحدا من أخلص وأصدق رجالات القوات المسلحة .

الكاتب الصحفي أسامة هيكل .. مدير تحرير جريدة الوفد :

المشير أبو غزالة كان جنديًا شريفًا يتحلى بأخلاق ورجولة العسكرية المصرية العريقة .. في عام ١٩٨٦ ، وقعت أحداث الأمن المركزي الشهيرة .. وخرجت القوات المسلحة للسيطرة على الأوضاع المنفلتة ، ونجحت ، وبعد انتهاء الأزمة ، وبعد أن أدت القوات المسلحة مهمتها بشرف ، أصدر الأوامر بسحب القوات المسلحة من الشوارع والميادين بهدوء ، لتعود الأمور إلى طبيعتها وسط احترام وحب الجميع له وللقوات المسلحة ، وفي أكتوبر ١٩٧٣ كان قائدا لمدفعية الجيش الثاني الميداني ، وبرزت قدراته بوضوح أمام قادته العسكريين وأمام الرئيس السادات ، الذي عينه ملحقًا عسكريًا في الولايات المتحدة الأمريكية ، في الوقت الذي كانت تتجه في مصر للتحول من الفكر الشرقي للفكر الغربي ، وهناك فهم المجتمع الأمريكي بدقة ..

وهذا الفهم هو ما جعل نقده للمواقف الأمريكية دقيقًا ومقنعًا وأمينًا .. فكانت مصلحة مصر عنده فوق كل اعتبار ، وقد فطن إلى أن المصلحة المصرية تتعارض في كثير من الأمر مع المصالح الأمريكية في المنطقة ، وهو ما ظهر في العديد من مؤلفاته .

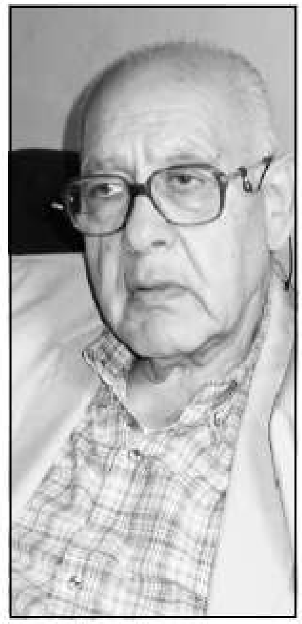
وحينما كانت مصر تحتفل عام ١٩٨١ بالذكرى الـ٢٥ لنصر أكتوبر المجيد ، كانت إسرائيل تحتفل بالذكرى الـ٥٠ على قيامها ، ونظمت في ذلك حملات إعلامية دولية مكثفة ذكرت فيها أنها هي التي كسبت حرب أكتوبر ٧٣ ، وانفعلت لهذه الأكاذيب ، فتحدثت معه وأعجبني رأيه وطلبت منه أن يكتب ردًا عمليًا منهجيًا على هذه الادعاءات الإسرائيلية ، فرد بتواضع أذهلني قائلًا :

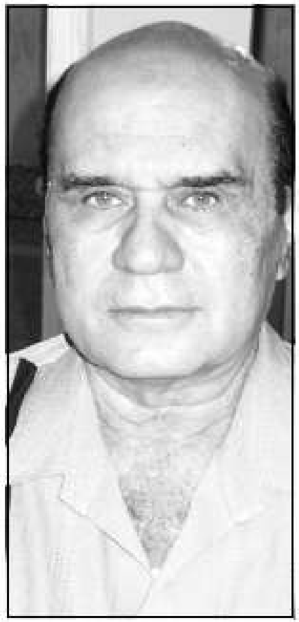
يا أسامة .. أنا كنت ضابطا صغيرا في الحرب ، وهناك من هم أقدر وأحق مني بالرد .. وفهمت خجله ، فأخبرته أنني تحدثت بالفعل مع المشير محمد عبد الغني الجمسي والمشير محمد علي فهمي ، رحمهما الله ، فكتب ردًا تحليليًا عميقًا بخط يده نشرته في حينه بجريدة الوفد ، ومنذ عامين ، كنت أتحدث معه عن الحرب اللبنانية ــ الإسرائيلية الأخيرة وأثرها على مستقبل الصراع في المنطقة ، فطلبت منه أن يكتب رأيه فيها ، قال فيه بصوت حزين : أنا عاوز أعيش ما تبقى في عمري مع أولادي وأحفادي في هدوء بعيدًا عن الصحافة والإعلام .. ولم أكن أعرف وقتها أن المرض بدأ يدب في جسده ، واحترمت رغبته ، وظل هذا الاحترام موصولًا وقائمًا حتى رحل عنا هادئًا وبسيطًا كعادته .

رحم الله المشير أبو غزالة .. كان مفكرا وطنيا محترما في عصر ندرت فيه الأفكار والعقول ، وأصبح الاحترام فيه سلوكا غريبا [٦٢] .

---

(٦٢) أسامة هيكل .. نشر بجريدة الوفد .

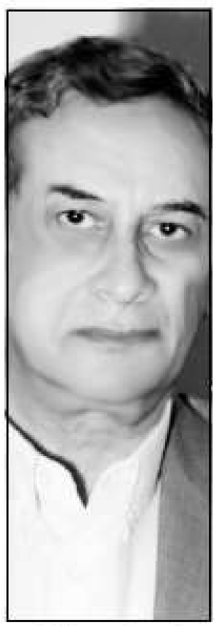

الفريق أحمد صلاح

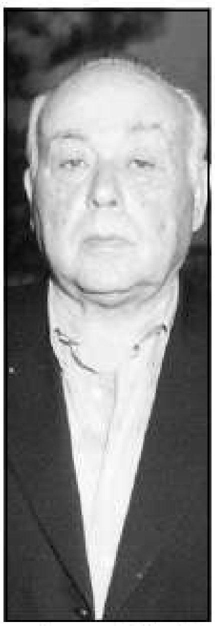

اللواء حسام خيرت


اللواء حسن الجريدلى


اللواء عبد المنعم خليل


اللواء أحمد شوقى فراج


اللواء عبد الرحمن الهوارى


اللواء فريد حجاج



الفصل الحادي عشر

مواقف إنسانية

مواقف القائد محمد عبد الحليم أبو غزالة الإنسانية في الميدان والحياة العامة.. كثيرة وتحمل معاني أكبر.. بحر يزخر بالإنسانية.. لم تعقه القيادة والحياة الشاقة والأوامر العسكرية عن الاهتمام بأبنائه وزملائه الجنود والضباط منذ صغر رتبه، بل ازداد بحر إنسانيته التي شملت الجميع.. مواقف كثيرة وذكريات أكثر.. حكايات وذكريات.. سمعت عن بعضها وقرأت عن الآخر واستنتجت كثيراً منها.. وانتقيت هذه المواقف التي صادفتني للاستشهاد بها في تسجيل هذا الجانب، وربما وجدت مواقف شبيهة وأكثر إنسانية قد تظهر في إصدار آخر لي أو لغيري..

ونسجل أولى هذه المواقف معه على أرض الجبهة ومن ساحة المعركة ونبدأ باللواء عباس منصور الذي خدم معه طويلًا في الجيش الثاني الميداني خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، قائلاً: لم يكن العميد أ.ح. محمد عبد الحليم أبو غزالة قائد مدفعية الجيش الثاني قائدًا عظيمًا فحسب في أرض المعركة ، بل كان قائدًا يتصف بصفات وأخلاق نبيلة في جميع النواحي ، وظهر ذلك من خلال تعاملاته مع الضباط والدرجات الأخرى في مراكز الملاحظات ومرابض نيران المدفعية كأنه فرد منهم، حيث كان يشاركهم تناول الطعام وأفراحهم وأحزانهم

كان القائد أبو غزالة يتمتع بشعبية كبيرة بين أفراد الجيش الثاني الميداني بصفة عامة ، والمدفعية بصفة خاصة ، فكان نعم الأب والأخ لضباطه وجنوده ، حيث كان حريصًا دائمًا على حل مشاكلهم ومساعدتهم في المواقف الصعبة .

كان محبًا للرياضة والرياضيين ، حريصًا على مشاركة الضباط والجنود لعب كرة القدم ، أثناء الطابور الصباحي ، أو فترة ما بعد الظهر وطبقًا لأوقات الفراغ .

كان يقضي يومه نهارًا بين وحدته في التدريب وليلًا يحرص على تناول العشاء مع ضباط القيادة بعد هزيمة أحدهم أمامه في لعبة الشطرنج ، أما الوقت الذي يقضيه في استراحته فكان يستغرق

في القراءة والكتابة التي كان يعشقها ومولعًا بها .

أثناء زيارته الميدانية لكتيبة مدفعية الفرقة ١٦ مشاة بقيادة الرائد / عبد الجابر أحمد علي ، وبعد تناوله طعام الغداء ، في حضور العميد أ . ح / عبد رب النبي حافظ قائد الفرقة ١٦ مشاة ، وأثناء عودتنا إلى القيادة ، مر على مربض نيران كتيبة / لواء مدفعية الفرقة ١٦ مشاة بمنطقة شمال البحيرات المرة وأمر السائق بالدخول وفور أن شاهده الجنود وقفوا وحيوه واستقبلوه بترحاب كبير ، ودعوه لتناول طعام الغداء معهم فجلس بينهم ، ضاربًا بذلك مثلًا عظيمًا في مشاركته للجنود على الرغم من أنه كان قد تناول غداءه من قبل ..

يواصل اللواء عباس منصور الحديث عن مواقف العميد أبو غزالة الإنسانية والقيادية خلال حرب أكتوبر ويقول : لقد تعرض العميد أ . ح / أبو غزالة للعديد من المواقف الإنسانية خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ .. أذكر منها :

في إحدى الفترات ؛ ونتيجة لقصور أداء الأجهزة اللاسلكية لشبكة قائد مدفعية الجيش ، طلب العميد أ . ح / أبو غزالة من اللواء أ . ح / سعد مأمون ، قائد الجيش الثاني الميداني ، التصديق لقيادة مدفعية الجيش باستخدام الشبكة متعددة القنوات الاحتياطية الخاصة باتصال قائد الجيش مع قادة الفرق ، لتحقيق الاتصال بين قائد مدفعية الجيش وقادة مدفعية الفرق واحتياطيات مدفعية الجيش ، وفعلًا وافق قائد الجيش له .. ولكن العميد أ . ح / أبو غزالة فوجئ باتصال من مدير الإشارة من مركز العمليات ويقول له بصوت عال : الضابط عندك مش عارف يستخدم أجهزة الإشارة يا سيادة العميد .. ده مش فاهم حاجة» .. وهنا تأثر بشدة العميد أبو غزالة بهذا الموقف المفاجئ وغير المنتظر والذي ثبت بعد ذلك مدى حاجة قيادة مدفعية الجيش لشبكة متعددة القنوات طوال فترة القتال ، مع وجود ضابط إشارة يجيد العمل عليها ..

وما زلنا نتذكر مواقفه الإنسانية ، والحديث ما زال للواء عباس منصور ، والذي يخبرنا قائلًا : «بعد بدء القتال ببضعة أيام ، ونتيجة لكبر حجم المسؤولية والمهام الموكلة لي كرئيس العمليات ، وللمقدم أ . ح / رشيد كرئيس للاستطلاع ، فقد لاحظ العميد أ . ح / أبو غزالة أننا قد وصلنا إلى قمة الإرهاق ، فاستدعى ضباطًا آخرين من مركز القيادة الرئيسي للعمل كبدلاء ، وتم عمل مجموعتي عمليات واستطلاع ، المجموعة الأولى تضمني كعمليات ، ومعي المقدم أركان حرب/محمد معين كاستطلاع ، والمجموعة الثانية للمقدم رشيد ومعه مقدم آخر .. وبذلك تم إعطاؤنا قسطًا من الراحة مع حسن استمرار العمل بنفس الكفاءة وكخبرة قتال ، استدعى أيضًا المقدم أركان حرب / فريد الجوهري والمقدم أركان حرب / منير الرفاعي من مركز القيادة الرئيسي أيضًا للعمل كضباط اتصال ، أحدهما بملجأ قائد مدفعية الجيش العميد أ . ح / أبو غزالة ، وكان الاتصال خطيًا بينهما لإجراء التنسيق اللازم مع عمليات الجيش ولتبادل المعلومات أيضًا..

يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، عاد العميد أبو غزالة من ملجأ قائد الجيش وأخبر المقدم أ . ح / رشيد رئيس الاستطلاع بأن قائد الجيش أخبره بأن قوات العدو التي عبرت غرب القناة قد هاجمت تبة الدفرسوار واستولت على جهاز الرادار الخاص بعناصر الحرب الإلكترونية ومعهم رقيب وسائق العربة استشهدوا جميعًا نتيجة تدمير العربة وهم بها بقذيفة معادية ، وهنا أدرت وجهي لهم ، حيث كانوا خلفي ، ففوجئت بأن العميد أ . ح / أبو غزالة يشير إلى من الخلف ، حيث كان قوى الملاحظة جدًا، ويعلم أن الشهيد النقيب محمد قابيل في حكم شقيق زوجتي «ابن خالها وابن عمتها في الوقت نفسه» فبكيت حزنًا للفراق ، وفرحًا بالاستشهاد ، حيث إنهم أحياء عند ربهم يرزقون ..

في نهاية أبريل أصبت بقصور بالدورة التاجية دخلت على إثره مستشفى القصاصين العسكري ، وأثناء وجودي للعلاج بالمستشفى ، فوجئت بالعميد أ . ح / أبو غزالة رئيس أركان المدفعية يحضر من القاهر للزيارة ، ويحصل على موافقة كتابية أمامي من العميد أ . ح / أحمد شوقي المتيني ، قائد مدفعية الجيش الثاني الذي عين محله بنقلي إلى إدارة المدفعية ، وتصادف أن توصية الطبيب المعالج تقرر خروجي من المستشفى مع إجازة مرضية ، فاصطحبني العميد أ . ح/ أبو غزالة في عربته معه إلى القاهرة ، وبعدها نقلت للعمل معه بإدارة المدفعية في ١ / ٧ / ١٩٧٤ حتى تم تعيينه الملحق الحربي المصري بالولايات المتحدة الأمريكية في منتصف ١٩٧٦ .

مواجهة مع ضابط شاب خلال حرب أكتوبر

ننقل رواية أخرى تظهر إنسانية هذا الرجل العظيم ، والقائد الأكثر من روائع وهي قصة مثيرة .. وقعت خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وتدل على أهمية وخطورة فن قيادة الرجال ، أحد الفنون المهمة في حياتنا العامة ، وليس في الحياة العسكرية فحسب ، ففي اليوم الرابع للحرب والقتال مشتعل دون توقف لحظة واحدة .. وبينما يقود العميد أبو غزالة مدفعية الجيش الثاني الميداني ، وأثناء مروره على الوحدات ، فوجئ بوحدة صغيرة يقودها ضابط شاب تخرج قبل الحرب بشهور قليلة ، وقد قاتلت هذه الوحدة معركة كبيرة وتعرضت لقصف جوي مكثف من طائرات إسرائيل ، فوجئ أبو غزالة ، بمدافع الوحدة فوق الأرض بدون الحفر اللازم في الموقع تأمينًا لها ، بينما الضابط الصغير في حالة عصيبة غير طبيعية مما يحدث عادة عقب المعارك الضارية لكثير من المقاتلين ..

ودار حديث سريع بين العميد أبو غزالة والقائد الشاب عن المعارك التي وقعت ، والضابط الصغير يرد في خشونة واقتضاب ، ثم تساءل أبو غزالة عن السبب الذي حال بين مقاتلي الوحدة والحفر لمدافعها ؟ .. وجاءت المفاجأة كطلقات الرصاص في كلمات تناثرت من فم الملازم ثاني ، الذي لم يبلغ العشرين من العمر ، إذا قال له في ثورة غاضبة .. لن أحفر للمدافع ، ولن أنفذ الأوامر ولتفعل ما تشاء ..

وتوتر الموقف وسيطر قائد مدفعية الجيش الثاني على أعصابه ثم قال للضابط الصغير :

*** هل تعرف أن عدم الحفر للمدافع يعرضها للدمار ؟**

ـ نعم أعرف .

*** هل تعرف أن صاحب هذه المدافع هو الشعب ولست أنت أو أي ضابط آخر وأنك تدمر ما يملكه الشعب ؟**

ـ نعم أعرف ولن أحفر لها ..

وازداد الموقف توترًا ، كما ازداد تقطيب وجه الشاب وارتعاشاته العصبية ، وبدا أشبه بمن فقد عقله وأدرك أبو غزالة ما أصاب الضابط وما يعانيه في تلك اللحظات ، فاتخذ قرار على الفور قائلًا:

ـ إن واجبي يفرض عليَّ محاكمتك الآن وإعدامك رميًا بالرصاص ، لأنك بسلوكك المعيب تقضي على معنويات جنودك وتشيع روح التمرد بينهم ولكني لن أفعل ، سأكتفي بطردك حالًا فهذا جزاء أردع من الموت ومثلك يجب أن يعود إلى بيته ويحتمي به ..

وأنهي أبو غزالة كلماته الحاسمة واتجه إلى «جاروف» ملقي على الأرض فأمسك به ، وأخذ يحفر بنفسه للمدافع ، وكان برفقة أبو غزالة ضابط مشاة برتبة عميد هو الآخر ، وأمسك بجاروف ثانٍ وفعل مثل زميله قائد المدفعية ، ومرت ثانية أو ثلاث ثوانٍ من الوقت ، وإذا بجنود الوحدة جميعًا يأخذ كل منهم «جاروفا» .. ويحفر بجانب العميدين ..

وجاءت المفاجأة التالية ، حين اندفع الضابط الصغير باكيًا ثم تناول جاروفًا ، وأخذ يحفر للمدافع بعدها وقف طالبًا من قائده أن يعفو عنه لكي يكمل معركته معتذرًا بأنه كان في غيبوبة (٦٣)..

ولم يترك أبو غزالة الأمر يمر بسهولة ، فقد تحدث حديثًا طويلًا إلى الضابط الذي وصفه بـ«الغر» .. فأعاد له ثقته في نفسه بينما الجنود يلحون في طلب العفو عن ضابطهم الصغير ، ويذكرون ما قام به من بطولات طوال الأيام الأربعة الماضية ، حتى أصابه الاضطراب المفاجئ وما لبث أن استرد وعيه وعفا أبو غزالة الأب الإنسان قبل القائد عن هذا الضابط ، وتركه يكمل معركته ، ومر به في اليوم التالي فأثنى عليه وعلى الوحدة الصغيرة ..

ويذكر الصحفي حمدي لطفي أنه بعد ثلاث سنوات من حرب أكتوبر التقي باللواء أبو غزالة رئيس أركان المدفعية المصرية ، وسأله عن صحة القصة السابقة فأكدها سيادته وزاد عليها بقوله :

(٦٣) (ملحوظة .. حاولت البحث عن هذا الضابط الذي لابد أن تدرج إلى وظيفة كبيرة وقيادته في صفوف القوات المسلحة ، لكن للأسف لم أتمكن من مقابلته حتى لحظات إصدار هذا الكتاب .. ربما أتمكن من معرفته ومقابلته بإذن الله في إصدار آخر) .

«لقد تابعت قتال هذا الضابط يومًا بيوم ، وتحولت إلى معجب به ، وفي نهاية الحرب طلبت إهداءه وسام النجمة العسكرية مكافأة له على بسالته التي أظهرها وحصل الضابط على وسامه [٦٤].

المشير أبو غزالة وإنسانيته مع أبناء قريته :

المشير أبو غزالة لم ينس أصله وأنه فلاح بسيط .. لم ينس أهل قريته ولا أصدقاءه بها .. لم يتغيب عنها أو ينسها طوال حياته بالزيارة وتلبية مطالب أهل القرية البسطاء .. الخاصة والعامة .. أول ما قدمه لها هو تغيير اسم القرية من قبور الأمراء إلى زهور الأمراء .. وبعد ذلك ساعد في تحسين وإدخال كثير من المرافق إليها وبناء المدارس والمستشفيات وغيرها ..

وعلى الرغم من أنه لم يحب الواسطة ، فإنه كان ضعيفًا أمام احتياجات الآخرين ، خاصة المحتاجين والمرضى . لم يفرق بين صديق وإنسان لا يعرفه .. لكنه كان يؤمن بأن عليه نجدة الملهوف والمساعدة قدر استطاعته ، ولأنه لم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب ، فإنه كان يشعر بمعاناة الآخرين واحتياجاتهم ، فكثيراً ما كانت تصادفه أزمات مالية في بداية حياته واحتياجات تكثر وتكبر مع كبر الأبناء وهو الضابط النظيف النزيه الذي لم يقترب من الحرام أو الانحراف قط ، وبالتالي عاش على مرتبه وما يملكه من إرث قليل ..

المشير أبو غزالة نهر متدفق من العطاء ، وكما قلت منذ قليل .. عطاؤه وخدماته ليس لها حدود .. ونعيش مع هذه السطور وهذه اللمحات البسيطة .. الكبيرة في معناها .. والتي يرويها السيد / مختار نوح ، زوج ابنة شقيقة المشير أبو غزالة قائلًا [٦٥] :

(٦٤) حمدي لطفي يناير ١٩٨٧ / الأنباء .

(٦٥) موقع المحامي مختار نوح وعدد من مواقع الإنترنت .. ونشر على صفحات جريدة الدستور على عدد من الحلقات .

«يمكننا أن ننظر إلى البسطاء من أهالي كوم حمادة بصفة خاصة ومن الأقارب والمعارف بصفة عامة ، فهم الذين كانوا إذا أرادوا لقاءً أو هبة أو خدمات مما تلتمس في مثل هذه الظروف لم يجدوا مشقة في الالتقاء بالرجل ، المشير أبو غزالة ، وعرض طلباتهم في صورة آمرة مستعينين بقرابة زائفة أو بصداقة مزعومة ، أما من لم يجد ما يتقرب به فتكون مكانته أعلى عند الرجل من غيره .. وكان الناس يشاهدون هؤلاء البسطاء وهم يصعدون بجرأة صاحب الأمراء ، لا طالب الشفاعة ، ويطرقون باب الدور الثالث من العقار ــ محل إقامته ــ ليسألوا .. عن رجل علموا أن تواضعه قد تمكن منه فلم يعد يمكنه أن يرد طلبًا لأحد ، ذلك أن صفة التواضع ترفع من شأن الإنسان إلى الحد الذي تكتب لذكراه الخلود بين الناس جميعًا البسطاء منهم والخاصة فتحقق لصاحبها انتصارًا على النسيان وعلى التجاهل وعلى ذاكرة الشعوب فتجبر هؤلاء جميعًا على ذكره ونعتقد أن تواضع المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة كان السبب في إحياء ذكراه بين الناس حيًا وميتًا .

وكان أن استقبل المشير رحمه الله في منزله في قرية «زهور الأمراء بكوم حمادة» مجموعة من الوزراء وكان على رأسهم الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء وقتئذٍ .. والحقيقة أن المشير رحمه الله لم يحاول أن يحشد الناس والجماهير في صورة تدعم كيانه الأدبي أمام هؤلاء الزوار . إلا أنه وعلى الرغم من ذلك فقد خرجت الآلاف في ذلك اليوم لاستقبال المشير رحمه الله من تلقاء نفسها .. ودون أن يعد لهم أحد ما يركبونه أو يرسم لهم ما يقولون .. لقد انطلقوا في عفوية وبساطة الفلاح المصري وهم يهتفون بحياة المشير رحمه الله .. ويرحبون بضيوفه..

موقف مع زملاء العمل ..

يقول اللواء حسني سليمان :

من أهم ما اهتم به علاج الضباط وأسرهم .. ذات مرة عرفت أن زوجة أحد الزملاء أصيبت بمرض خبيث وتحتاج للعلاج بالخارج في أسرع وقت وزوجها يتحرج من أن يطلب سرعة إنهاء إجراءات سفرها للخارج .. وبعد عرضي لعملي معه أخبرته بالموضوع فوافق فورًا على علاجها بأسرع وقت .. مرة أخرى أحد الضباط كان يحتاج لعملية زرع كلى ، وكان مقررا عملها في مستشفى غنيم – بمحافظة الدقهلية مدينة المنصورة - ، وكان محددا له خمسة آلاف جنيه فقط والعملية كان ستتكلف أكثر .. فأمر فورًا بأن تقوم القوات المسلحة بتحمل كل التكاليف وبعدها قرر أن تجري هذه العملية بمستشفيات القوات المسلحة ..

كان يفكر في مستقبل أبناء الضباط .. ابن أحد الضباط كان تنسيق جامعته في محافظة أخرى وكان والدهم مشتتا ما بين الأبناء وعمله وباقي الأبناء الآخرين .. فتوسط له وخاطب رئيس الجامعة وساعده في تحويل أوراق الأولاد لجامعة القاهرة ..

موقف آخر معي شخصيًا كان يعرف أن إحدى بناتي في كلية الصيدلة وفي السنة النهائية لها قال لي : ما تاخد محل للدكتورة شيرين في امتداد رمسيس تعمله صيدلة .. فأخبرته أنه ليس متاحا معي المبلغ المطلوب ، فقال لي قدم على قرض والباقي قسطه ، وبالفعل قدمت على قرض وصدَّق عليه فورًا وقسطت باقي القيمة .. وهذه كانت معاملته مع الجميع وليست مقصورة على أصدقائه وزملائه فقط .

إنسانيته مع أصدقائه وزملاء الدفعة ٤٩ :

*** يقول المنتج السينمائي جمال الليثي : «عندما كانت تُجرى لي عملية قلب مفتوح في بوسطن بأمريكا وعرف كان يكلمني كل يوم للاطمئنان علي وهو وزير ..**

أنا دائما كنت أكلمه وأطمئن عليه ومنذ وفاته وأنا أكلم زوجته أشجان هانم وأطمئن عليها ..

*** الوزير توفيق عبده إسماعيل يقول : «عندما توليت وزارة السياحة ، تقدم لي بعض أبناء أسرة أبو غزالة في قرية ضمن دائرتي يرجون وساطتي في إقناعه بقبول دعوتهم في قريتهم البعيدة ، وعند الاتصال به تذكر أن والده كان يتراسل في فرع العائلة في الدقهلية ، وأنه يسعد بلقائهم ، وتم ترتيب زيارة شاركنا فيها المهندس عبد الهادي سماحة وزير الري حينئذٍ وبلدته قريبة منا ، وكانت أسرته وأبناء المنطقة جميعًا فرحين مستبشرين بوجوده معهم وتبادلوا ذكريات كثيرة عن أسرتهم وفروعها في الدقهلية والغربية والبحيرة وظهر معدنه كابن من أبناء الريف في هذا اللقاء الجميل الذي يتذكره الجميع حتى اليوم ..**

في هذه الفترة لجأت له في بعض المشاكل الإنسانية ، وأتذكر أن مريضا تقرر سفره للعلاج في فرنسا بينما حل وقت تجنيده أو محكوم عليه بعقوبة مشددة ، وهو رب عائلة كبيرة فقرر الموافقة على سفره للعلاج استثناء ، وأيضًا مراجعة الحكم ومراعاة ظروفه الإنسانية .. هذه نماذج فقط مما حدث معي ولكن تلك كانت سياسته مع كل من يتقدم له بشكوى أو طلب أو يعاني من مشاكل إنسانية ، فكان يتدخل بسلطته وفي حدود القانون لتقديم حل مُرضٍ ..

*** مواقف مع أحد من عملوا عنده .. الحاج محمد مرسي طباخ المشير أبو غزالة ..**

من مفارقات القدر أن يحضر جنازته ويقف على تكفينه ويقوم بأداء الحج الذي أهداه إليه المشير أبو غزالة وأولاده. وبعد وفاة المشير أبو غزالة بشهور قليلة ، وبعد مقابلتي معه وتسجيلي لهذه المقابلة بأيام قليلة .. ويشاء القدر أن يتوفى هناك بعد أداء مناسك الحج .. حتى يكون أول من يلحق به من أحبائه ..

يقول الحاج محمد مرسي طباخ سيادة المشير : «طيلة حياتي وأنا أعمل بوزارة الدفاع ــ طباخا مدنيا ــ إذ أنني أعمل فيها منذ أيام المشير عبد الحكيم عامر .. تعاملت مع أكثر من وزير دفاع ورئيس أركان .. المشير أبو غزالة آخر وزير عملت معه مباشرة ، وأكثر إنسان أحببته وارتبطت به ارتباطا كبيرا .. بداية معرفتي به كانت عند حضوره إحدى الحفلات ، وكنت موجودا فيها ، وكان ما زال رئيس أركان .. وعندما عرفته بنفسي أثنى على الطعام وأعجبته وبكل أمانة هو أيضا لفت نظري ببساطته وتواضعه وكرمه .. وكذلك السيدة حرمه .. ومن هذا اليوم وأنا أحبه .. وعندما تولى وزارة الدفاع كنت سعيدا جدا وازدادت علاقتي به أكثر .. ذات مرة وبعد انتهاء إحدى الحفلات مشيت وراه ، ولمحني وقال لي : «عايز حاجة يا حاج ، فأخبرته أني أريد أن أسافر للخارج مع الملحق العسكري لأن عندي بنات وعايز أجهزهم .. فأخبرني أن أذهب إليه غدا في مكتبه .. وبالفعل ذهبت إليه وكتب قرارا بنفسه أن أذهب مع الملحق العسكري في فرنسا .. وظللت أعمل بها لمدة سنتين .. ومن حظي السعيد أنني كنت أعرف السفير المصري هناك أيضا في ذلك الوقت .. وبصراحة أثرت في هذه المأمورية وساعدتني كثيرا والفضل يعود إليه ..

مرة أخرى ، وبعد ارتباطي به أكثر وعملي مباشرة معه .. كان زوج ابنتي عايز يشتغل في وزارة الكهرباء .. وشقيق المشير كان يعمل في وزارة الكهرباء .. وأبلغته وكلم الوزير ماهر أباظة بنفسه وثاني يوم ذهب زوج ابنتي هناك وتم تعيينه بعد اختباره وإثبات كفاءته ..

موقف آخر في زواج ابنتي ولاء ، كانت عايزه تعمل فرحًا كبيراً زي أصدقائها .. وشافت أكتر من دار وبعد كده عجبتها دار المدرعات .. والمبلغ كان عدة آلاف جنيه وأبلغته الأمر .. لقيته انزعج جدا وقال لي بانفعال ليه كل المبلغ ده مش كانوا استفادوا به في حياتهم أحسن .. دا أنا فرح بنتي حنان كله لم يكلفني خمسمائة جنيه ..ومع ذلك كلم لي مدير السلاح وأبلغني أن أذهب إليه تاني يوم .. ولظروف طارئة تأخرت يوما .. ووجدته يطلبني ويعنفني بشدة فمدير السلاح أبلغه أنني لم أذهب إليه في الميعاد .. وبعد انفعاله قال لي : انصراف .. ومعنى ذلك أنه تضايق .. فأخذت أكلمه وأعتذر له فوجدته يبتسم ويعود لطبيعته ، وذهبت لمدير السلاح وعمل الواجب وأكثر وفرح بنتي كان زي فرح ولاد الأكابر .. وحضرت أسرته وشاركونا فرحتنا .. بصراحة كان إنسانا بمعنى الكلمة وعمره ما زعلني ولا أهانني ..

أسرته وهو كانوا يشعرونني بأنني واحد منهم .. معاملته كانت في غاية البساطة .. عمره ما ارتفع صوته ولا شخط .. أخلاقه عالية جدا .. ودائما مشغول بكتاباته .. أهداني مرة كتابا ، وكنت سعيدا جدا به ، ولما تعبت مرة وذهبت للدكتور وعرف أني أعرفه كان مش مصدق .. وكان نفسه في كتاب منه فأهديته هذا الكتاب ..

عندما ذهب لرئاسة الجمهورية طلبت أن أذهب معه .. وطلب من الرئيس مبارك ذلك فوافق على الفور وقال له : «أحضر من تريده معك يا أبو غزالة» .. وعلى الفور ذهبت أنا وسائقه وسكرتيره .. وعندما بلغت سن المعاش .. كنت حزينا لأنني سأتركه ، وبكل أمانة طلب من السيد زكريا عزمي أن أعمل في الرئاسة بعقد لكنه اعتذر حتى لا تصبح عادة هناك .. وهذا ممنوع .. فأخذ يبحث لي عن عمل آخر فقد كان يقدر ظروفي .. وكلم المشير حسين طنطاوي وزير الدفاع وأخبره بموقفي وعلى الفور وافق سيادة المشير طنطاوي وعمل لي عقدا في إدارة الشؤون المعنوية .

المشير أبو غزالة وأسرته كانوا أناسا خيرين يحبون مساعدة الغير ، وعارفين ربنا قوى .. كل سنة بيطلعوا ناس غير قادرين للحج .. ولقيتهم اختاروني للحج هذا العام .. إن شاء الله سأسافر بعد أيام قليلة ، والفضل يعود له ولأسرته الغالية .

آخر مرة رأيته فيها كانت بعد عودته من الخارج من أزمته الأخيرة وقبل أن يدخل في الغيبوبة .. وكلمته واطمأنت عليه .. بعدها بأيام قليلة عرفت أنه دخل مستشفى الجلاء والزيارة ممنوعة .. فانتظرت حتى تستقر حالته ولكني بعد أيام قليلة سمعت الخبر الحزين .. وعلى الفور ذهبت للأسرة وسمحوا لي بأن أحضر إجراءات الجنازة وتجهيزه للدفن .. وحزنت عليه أشد الحزن . الله يرحمه ويجازيه على قدر أعماله الخيرة الكثيرة ..

مواقفه مع الشخصيات البسيطة

ذكر لي أحد الشخصيات العامة ، ونقلًا عن سائق المشير أبو غزالة ، أثناء توليه وزارة الدفاع ، أنه في إحدى المرات ، وأثناء عودته من الوزارة إلى منزله ، كان يمر في طريقه بعض باعة الخضروات ، وفجأة اعترض سيارته رجل بسيط يرتدي جلابية ، ويطلب منه إيقاف السيارة ويرجوه أن يستمع إليه .. وبالفعل سمح للسائق بالتوقف ، فوجد الشخص يبكي وهو يشكو له شرطة المرافق (بلدية الحي) بأنها أخذت «المشنة» التي يبيع فيها الليمون وهو لا يملك غيرها وينفق على أولاده من حصيلة مبيعاته اليومية .. فرق المشير أبو غزالة لحاله ، وأمر سكرتيره أو ضابط الشرطة العسكرية الذي يرافقه أن يسجل بيانات هذا الرجل ويرخص له كشكا صغيرا ويملأه بالبضائع أو الخضروات التي يريدها .. وفعلًا تم إعداد الكشك لهذا الرجل البسيط الذي لا تربطه به أي علاقة غير أنه استغاث به ليتدخل ليعيد إليه مشنة الليمون ..

موقف آخر ذكره أحد الأصدقاء ، أنه في طفولته ، وأثناء لعبه مع أصدقائه أمام استراحة المشير أبو غزالة وهو وزير للدفاع .. وسقطت الكرة في بلكونة الاستراحة وحاول أحد الصغار تسلق سور المنزل للحصول على الكرة .. فلمحه حراس الاستراحة والشرطة الموجودة وأسرعوا بالقبض على الصبي وتعنيفه ، وشاهد المشير أبو غزالة الموقف فأمرهم بتركه وأشار لهم بإحضاره إليه وبطريقة أبوية خاطبه قائلًا : إنه من غير اللائق تسلق الأسوار للحصول على الكرة بهذه الطريقة .. فقرع الباب أفضل من تسلق الأسوار .. وكان عليه أن يطلب الكرة من سكان المنزل ، وليس الحصول عليها بهذه الطريقة .. وبعد أن هدأ الصبي الذي كان مذعورًا ويبكي بخوف .. أخذ يضحك معه ويداعبه .. هذا هو المشير أبو غزالة الإنسان البسيط الذي لا يعرفه الكثير ..

ذكرت لي إحدى الموظفات المدنيات ، والتي كانت تعمل في نادي الجلاء فترة توليه وزارة الدفاع .. أنه ذات مرة شب حريق في النادي وفور علمه بالخبر إذا به يأمر الجميع بالخروج فورًا ، والتباعد عن النيران ووعد بأن جميع العهدة سوف «تكهن» .. وتذكر أن أحد المدنيين أصيب إصابات بالغة وقام بنفسه بالإشراف على علاجه ومتابعة حالته هو ومن تعرضوا للإصابة من الحريق..

إنه إنسان بالدرجة الأولى .. وقبل إنهاء هذا الفصل لابد أن نشير إلى أسرته وقصة زواجه وتعاملاته مع هذه الأسرة الرائعة ..

المشير أبو غزالة شخصية فريدة من نوعها .. مهما نقول فلن نوفيه قدره برغم المناصب التي تولاها والعلوم والدراسات التي حصل عليها وثقافته المتنوعة وإجادته لعدد من اللغات ، إلا أنه لم يغتر ولم يتكبر لحظة .. المشير أبو غزالة شخصية محبة للجميع ، كان عاشقا لأسرته من الدرجة الأولى ويغدق عليها بالحب والحنان ، واتسع حبه ليشمل أصدقاءه وزملاءه وتلاميذه وكل من خدم معه ، أو تعامل معه أيًا كان . وعندما نتطرق إلى علاقته بأسرته ، والتي حاولت كثيرًا مقابلتها ولكن محاولاتي باءت بالفشل .. ورغم إلحاحي واتصالي المستمر بزوج ابنته المهندس أنور الدغيدي والذي كان متحمسًا للغاية للكتاب ولكن لأمور السفر والانشغال وحالة وفاة أخرى لديهم ، بالإضافة لحالة الحزن التي ما زالت مسيطرة عليهم لفقدانه .. لم تُتح لي مقابلتهم وبالتالي جمعت بعض المعلومات من خلال الأصدقاء والأقارب وأرشيف المشير الصحفي وما ذكر في ذلك خلال المقابلات أو الصحف ونبدأ بقصة الزواج ..

قصة زواج المشير أبو غزالة :

يروى الحاج فوزي عم المشير أبو غزالة قصة زواج المشير قائلًا : كان ثروت قد وصل إلى رتبة نقيب ، ووالدته تريده أن يتزوج ، وفي أحد الأيام كانت تشتري بعض حاجاتها من شركة «عمر أفندي» في مدينة دمنهور ، فشاهدت إحدى الفتيات فأعجبت بها ، وسألتها عن اسمها فقالت لها إنها أشجان ابنة أحمد صبري ، مفتش دوائر أملاك الأمير عمر طوسون ، وحدث تبادل للزيارات بينهما ، وتمت خطبتها ، وكان يوم الزفاف مشهودًا حيث أطلقت فيه آلاف الأعيرة النارية ابتهاجًا بالعرس [٦٦] .

(٦٦) جريدة المصري اليوم ٩ / ٩ / ٢٠٠٨ .

وبالحديث عن السيدة أشجان مع الجميع أشادوا بها وبحسن أخلاقها ومعاملاتها الإنسانية وكانت نعم الزوجة والأم ، وفعلًا كان لها دور كبير في نجاح زوجها فيما وصل إليه وفي تربية الأبناء الذين كانوا مثالًا جيدًا لهذه الأسرة الكريمة ..

والمشير أبو غزالة كان يدرك أهمية هذه الزوجة والحبيبة في حياته ودورها الكبير في رعاية الأبناء وحثهم على التفوق ، خاصة أنها في أوقات كثيرة كانت تقوم بالتربية بمفردها ، وهو يؤدي دوره وواجبه تجاه وطنه الأم .

من أكثر من أشادت بها وبخصالها الكريمة السيدة الفاضلة حرم الفريق صفى الدين أبو شناف .. والسيدة الفاضلة زوجة اللواء عبد المنعم سعيد ، وكذلك كل القادة أصدقائه ، ومن دخلوا بيته أو تعاملوا معها .. أذكر أنني عند تقديم واجب العزاء لأسرة طباخه ، الذي توفى بعد أن سجلت معه ذكرياته عن المشير أبو غزالة ، أخبرتني الأسرة أنهم عندما علموا بوفاة الحاج محمد أسرعت السيدة أشجان زوجة المشير بالاتصال بأسرته وتعزيتهم وسؤالهم عما يحتاجونه ، وعرضت القيام بأي خدمة يريدونها .. وأبلغتني ابنة الحاج محمد السيدة سحر أن أسرة المشير تسعى لأن تحضر شهادة الوفاة وباقي احتياجات أبيها من السعودية .. بالإضافة لإرسالها مظروفا به مبلغ كمشاركة منها في مصاريف الجنازة وتلبية احتياجاتهم .

ذكر لي عم محمد مرسي قبل وفاته أن زوجة المشير كانت سيدة عظيمة وطيبة وتغدق عليه دائما بالخير كله .. لم يكن يسمع لها صوتا عاليا أو طريقة فيها تكبر وتعال .. وكانت ملتزمة دينيًا وتواظب على أداء جميع الفرائض الإسلامية هي وكل الأولاد ..

ونعود مرة أخرى للمشير أبو غزالة ونجد أنه في الأوقات القليلة التي كان يمكث فيها مع أسرته كان يسألهم عن كل شيء ، ويهتم بالتفاصيل والمستوى الدراسي ويعرف المشاكل التي تقابلهم ويسعى لحلها ودائمًا ما كان يغرس فيهم التفوق والتسلح بالعلم والاعتماد على الذات .

.. ولأنه رجل عصامي .. لم يولد وفي فمه ملعقة من ذهب ، فإنه كان يعرف قيمة الكفاح والعمل والعرق .. لم ينس مناسباتهم وأعياد ميلادهم ونجاحهم ومشاركتهم كل لحظاتهم الجميلة .. وكثيرًا ما كان يتألم لو مرضت الزوجة أو أحد الأبناء ويهرع به للأطباء بنفسه ؛ فمشاعر الأبوة تغلب عليه حتى وهو في أرقى المناصب ..

زوج ابنة شقيقته السيد مختار نوح يقول : «وإذا كان لنا أن نتحدث عنه في بيته فلن نتحدث إلا من جانب واحد حتى نعرف كيف كان الرجل المقاتل ، والذي أنفق عمره في حروب عسكرية لا يعرف شيئًا عن عسكرة البيوت .. ولا يحب هذا النوع من التعامل إذ لم يكن في بيته من أنصار «تمام يا فندم» ، بل لعل أقسى القرارات التي اتخذها في بيته كان قرار «الريجيم» الذي فرضه على نفسه ، فاستطاع التعامل مع السعرات الحرارية بصورة قد هذبتها من فرط ما تحكم فيها .. وكان من أقسى قراراته أيضًا على نفسه أن يستمر في خدمة سلاح المدفعية ، رغم إصابته بالالتهاب في «الأذن الوسطى» فلم يمنعه ذلك المرض من مواصلة التعامل مع المدافع ، فإخلاص للعمل وللمدفع كان أعلى من إخلاصه لأذنه الوسطى .

ومن جهة أخرى ، فإن زيجات أولاده لم تشملها المبالغات على أي صورة من صور الاختيار أو الإجراءات .. فلا يعرف عنهم الناس استغلال النفوذ ، أو محاولة اكتساب المال بطرق غير قانونية ، أو ابتلاع الحقوق رغم أنهم كانوا يحملون اسم رجل كان هو الأول في قائمة المسئولية ، إلا أن الطهارة لها من المعنى ما هو أوسع من المدلول اللفظي ..

أبو غزالة وبره بأبناء قريته :

يقول السيد نوح .. «إن البر الذي اختزنه» أبو غزالة لأمة كان يفرض نفسه على أسرته وأسرة زوجته وأبناء قريته وكل من كان في ذيل اسمه «غزالة» حتى ولو لم يكن من عائلته نفسها .. ويمتد البر إلى أبناء قريته «قبور الأمراء» بالدلنجات ، محافظة البحيرة والتي تحول اسمها بعد ذلك على يديه إلى «زهور الأمراء» .. وهذا التحول هو الذي يفسر لك ذلك الاستقبال الشعبي الذي كان يستقبل به الفلاحون البسطاء ذلك الرجل .. كما حرص على أن يقيم لهم دور العلم والمعرفة وأذكر أن قصده الناس لبناء مسجد بقريته ففضل أن يبني مدرسة يتخرج فيها المصلون .. فكان المعهد الأزهري وهكذا كان أبو غزالة بعيد الفهم .. راسخ الاعتقاد .

ولم يفلت منه عزاء أو واجب أو مناسبة إلا وقد أداها حقها وهو الشاهد الفعلي على كل زيجات العائلة إلا زيجة واحدة جمعت بين كاتب هذه السطور وبين ابنة أخته ، إذ لم تكن هذه الزيجة رهن موافقته الفكرية وقتئذ ، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يعطي الرحم حقه وزيادة فلم تأخذه عزة الانفعال بالرأي إلى التشديد أو الإقلال من الحقوق .

إن هذا الحديث يجري بنا إلى العدالة .. والبر جزء منها فهل رأى أحدكم المشير أبو غزالة وهو يعتلى منصة القضاء .. أما أنا فقد رأيته بعيون الزملاء من المحامين ، وكان ذلك إثر تعديل تشريعي صدر في عام ١٩٨٩ جعل من وزير الدفاع قاضيًا ينظر بنفسه في تظلمات المفصولين من الخدمة العسكرية ، فكان المحامون يحكون عنه قاضيًا لا يعرف الانفعال ، فيستمتعون بالجلسة الوحيدة التي تعقد برئاسته كل عام أو أقل قليلًا .. ولم تعرف منصة القضاء قاضيًا يظل مبتسمًا طوال الوقت إلا المشير أبو غزالة .

وعن علاقة المشير بالقرية وأهلها ، قال عمه الحاج فوزي : أبو غزالة كان بارًا بأهل قريته ، وخادمًا للجميع ، وكان يأتي إلى القرية دون حراسة ، ويقول أنا أخ لجميع الأهالي ، وساعد الكثيرين من شباب القرية في الالتحاق بالكليات العسكرية والشرطية ، كما أقام في القرية مستشفى ومدرستين (إعدادية وثانوية) ، ومجمع مدارس أزهرية ، ومسجدًا ، ونقطة شرطة ، وعمارات سكنية ، كما أدخل إليها جميع المرافق ..

وقال محمد فاروق غزالة :[٦٧] «إن أبو غزالة عندما كان يأتي إلى القرية كان يقيم في استراحته التي أنشأها عام ١٩٩٠ هي والمسجد المقابل لها» ، مؤكدًا أنه كان في قمة التواضع ، مدللًا على ذلك بأن أحد أهالي القرية ويدعي فوزي ، الذي كان يبيع الجاز وأراد أن يسلم عليه ، وحاول بعض الناس منعه حتى لا يلوث ملابس المشير ، فنهرهم قائلًا : لا تمنعوا أحدًا عني أيًا كان ،

(٦٧) جريدة المصري اليوم ٩ / ٩ /٢٠٠٨ .

وأضاف إن الفقيد حضر إلى القرية في منتصف الثمانينيات لتلقي العزاء في والدته ، ولم تمنعه مسؤولياته من أداء واجب العزاء في القرية عندما كان مساعدًا لرئيس الجمهورية .

أمه ومثله الأعلى في الحياة :

وحين يأتي الحديث إلى ذكر أمه ، فهو حديث البر الصادق .. فقد تربى المشير أبو غزالة بين أب يعمل بهيئة البريد ، وأم من الطراز المصري النادر ، والأهم هي التي صاحبت الطالب الصغير «محمد» كما صاحبت المشير «محمد عبد الحليم أبو غزالة» .. حتى آخر أيامها .

لم تكن القبلة التي يطبعها على يدها إلا عنوانًا لمرحلة تاريخية ساهمت فيها أمه بالنصيب الأكبر .. وقد ماتت الحاجة «مبروكة» رحمها الله منذ منتصف الثمانينيات أو يزيد قليلًا ، ويروى الذين حضروا لحظاتها الأخيرة أنها كانت تخص بالدعاء ابنها «ثروت» محمد أبو غزالة رغم تقدم العمر بها ، واختلاط الأسماء لديها والأم لا تكثر من الدعاء لأصحاب المناصب من أبنائها ، وإنما تكثر من الدعاء لأصحاب القلوب منهم .

وقد نالت أم المشير «محمد عبد الحليم أبو غزالة» حظها من قيمة المساواة .. فقد قدر لها وهي أم وزير الدفاع ونائب رئيس الوزراء أن تدخل مستشفى الحلمية العسكري لتتعالج من آلام في «الركبة» ،

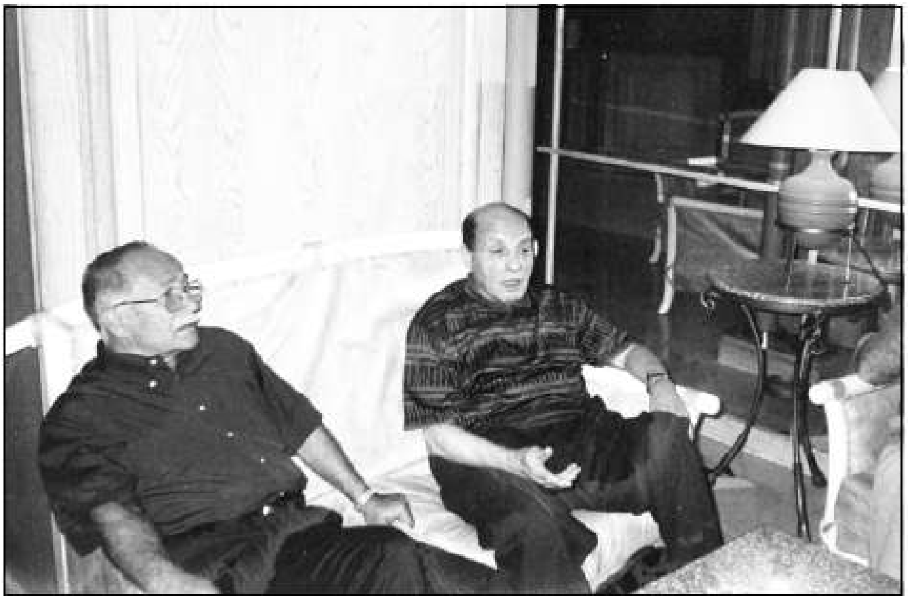
شأنها شأن الأمهات جميعًا .. وأسر الضباط على قدم سواء ، وللعلم فقد ماتت رحمها الله في مستشفى «مصطفى كامل» العسكري بالإسكندرية ، ولم نسمع عن امتياز واحد منحته إدارة المستشفى لها ، حيث كانت تعالج من أمراض عديدة .

أبناء المشير أبو غزالة :

انتمى أبناء المشير أبو غزالة إلى مدرسة الالتزام الأخلاقي ، وساروا على منوال والدهم ؛ فقد آثر «طارق» و «أشرف» الابتعاد عن استغلال النفوذ واتجهوا إلى التسليح بالعلم والعصامية .. تخرج الأول في كلية الطب ، بينما تخرج الآخر في كلية الطيران وما عرف الناس عن واحد منهما استغلالًا للنفوذ أو الإثراء الحرام .

كذلك تعلمت بناته تعليما عاليا وتفوقن فيه ، وتزوجن من رجال محترمين وناجحين .

وذكر لي كثير من الأصدقاء أن أولاده مثله في الثقافة والشخصية الثرية الرائعة .. ومن بناته التي تكرر اسمها كثيرا .. الدكتورة حنان ، والتي كثيرا ما كانت تصحبه في مقابلاته مع أصدقائه في النادي وأثناء مرضه .. وكانت تتناقش في كل الأمور وكل جوانب الحياة ولها فكر عميق ورأي سديد مثل أبيها رحمه الله .



لقاء ودى يجمع بين المشير أبو غزالة وصديقه اللواء على هيكل



صورة نادرة تجمع سيادة المشير أبو غزالة وبعض رجال فريق التنس وفى الصورة اللواء هيكل والعميد أحمد صالح



الكاتبة مع اللواء حسن الجريدلى



.. وخلال لقائها باللواء محسن حمدى وتسجيل ذكرياته عن المشير أبو غزالة



الكاتبة مع اللواء عبد المنعم سعيد



.. وتسجل شهادة اللواء عبد الجابر أحمد على



الفصل الثاني عشر

المشير أبو غزالة في عيون أحبائه

مكانة المشير محمد

عبد الحليم أبو غزالة في قلوب المصريين لم تكن بسبب منصب.. فقد زاد احترام وحب وتقدير المصريين له بعد خروجه من المنصب.. ولكن مكانته ترجع لإحساس الناس بأنه قيمة فكرية كبيرة، ولتواضعه الشديد في التعامل مع الناس.

المشير أبو غزالة كان مثقفًا كبيراً وقارئًا متعمقًا ، وهو أحد وزراء الدفاع القلائل على مستوى العالم، الذين أفرغوا خبراتهم وأفكارهم في كتب..

من كلمات الكاتب

الصحفي والمحرر العسكري

أسامة هيكل

مدير تحرير جريدة الوفد

ووزير الإعلام السابق

المشير أبو غزالة شخصية تناولتها الأقلام والألسنة ، وكتبت عنه وذكرته بكل حب ودون أي دافع أو غرض .. شهادات كثيرة في حقه جمعتها عنه من أصدقاؤه وزملاؤه وأرشيفه الصحفي ومن كتب وجرائد ومواقع إلكترونية كثيرة .. شهادات حب له ولأعماله وأخلاقه وشخصيته وأدواره العظيمة التي قدمها لمصر والقوات المسلحة ، وكل من استطاع أن يخدمه .. ونبدأ هذه الشهادات على لسان كبار قادة القوات المسلحة ..

قال عنه الفريق أول كمال حسن علي [٦٨] :

«ربما لم يتعرض قائد عسكري مصري للجدل مثلما تعرض أبو غزالة ، فقالوا عنه إنه سوفييتي النزعة ، كما قالوا عنه أيضًا: إنه أمريكي .. وأنا أعرف ومواقف له في غاية الخشونة والتعنت مع السوفيت ، هي مواقف غير معلنة .. وطبق المسلك نفسه مع الأمريكان ، فاحترمه الجانبان ، لأنه مصري العاطفة والفكر والاتجاه في كل الأحوال ، وهو رغم وعيه السياسي ومعرفته الوثيقة بأصول اللعبة السياسية ، فإنه لم يلعبها ولم يمارسها ؛ لأن في داخله قائدا عسكريا محترما ، من الطراز الأول ، وليس سرًا أن دوائر أجنبية حاولت اختبار استعداده للعمل السياسي ، إلا أنه أوقفهم بصراحته المعروفة عنه .

قال عنه الفريق محمد سعيد الماحي ، مدير سلاح المدفعية ومدير المخابرات العامة سابقًا .. وأثناء تقديمه أحد كتب أبو غزالة :

(٦٨) حمدي لطفي يناير ١٩٨٧ / الأنباء .

لقد اتصف رجال المدفعية دائمًا بالشجاعة والأصالة والرجولة التي ورثوها جيلًا بعد جيل .. ومن هؤلاء الرجال «أبو غزالة» كاتب هذه الفصول ..

امتدت معرفتي به سنين طويلة ، عرفته شابًا متحمسًا وطنيًا مخلصًا ، كان من منجزي ثورة ٢٣ يوليو ، ونهل من مناهل العلم والمعرفة ، وخبر فنون المدفعية بمدارسها المختلفة وبرز فيها .. وتمرس في مناصبها صغيرها وكبيرها ، فكان القائد الصغير الطموح ، وكان المعلم الفذ صاحب المدرسة ، وتوج ذلك كله بشجاعته وإقدامه خلال معارك ٦ أكتوبر ، وأثبت فيها أصالة الجندي المصري ..

كان لشجاعته وشخصيته الثابتة خلال فترة من أحلك فترات القتال ، حين كادت السيطرة على القوات أن تضيع ، وتمكن من فرض سيطرته على هذه القوات ، فتماسكت وثبتت ودمرت العدو وردته على أعقابه

حين يتحدث أبو غزالة عن المدفعية في ٦ أكتوبر ، فإنما يتحدث عنها حديث الرجل المجرب والقائد المتمرس الذي اشترك فيها خطوة خطوة ، ومرحلة مرحلة في التخطيط والتدريب والتنفيذ ، قادها بنفسه في مسرح القتال ، فهو بذلك يتحدث من موقع المشاركة الفعلية ومن موقع القيادة والمسؤولية .. وهو بذلك حديث لإنسان صادق وأمين في كل كلامه وأقواله .

يقول اللواء عبد المنعم سعيد : «الخلاصة من شخصية المشير أبو غزالة أنه إنسان من قصة حياته رجل يتمتع بوطنية حتى النخاع ، وطني مصري أصيل يحب مصر جدًا ووطنيته لا مثيل لها ، يقدس بلده .. يحترم مصر ويقدرها ، قارئ متميز يقرأ ويترجم ويطلع على أحدث أنظمة وموضوعات إستراتيجية وسياسية واقتصادية وغيرها .. يتمتع بثقافة عالية ، يحضر ندوات ويدير لقاءات .. مثقف ومتميز طوال فترة حياته ، يقرأ ما بين السطور بتركيز ويضع سطورا على النقاط المهمة ، مفكر عبقري وأي مشكلة يسعى لإيجاد حلول لها .. مرة شكل لجنة لتطوير المصانع الحربية عندما لاحظ وجود آلات مكررة في كثير من المصانع وبعضها لا يحتاج إليها فعقد لجنة وأعاد تنظيمها وفق الاحتياجات الفعلية ..

أبو غزالة يتمتع بميزة اللباقة ولديه قدرة فائقة على سرعة التصرف في المواقف الفجائية ، واتخاذ القرار أو التغلب عليه .. رجل رياضي حتى آخر فترة قبل مرضه بشهور قليلة ..

من سماته الجميلة حبه للنكتة والفكاهة وأتذكر أنه طلب مرة من الزميل سيف اليزل وكان ملحقا عسكريا بلندن كتابًا عن النكت بالرغم من همومه ومشاغله الكثيرة ..

كلمة أخيرة أقولها عن شخصيته ، وهو أنه كان عاشقًا لأسرته يحب أولاده وأحفاده ، ولا يستطيع أن يستغني عنهم أو يعيش بعيدًا عنهم .. حتى أنه أقام بيتًا وسكن معه كل أولاده .. ربنا يجازيه ويرحمه على قدر ما أعطى لمصر ويدخله الجنة .. آمين ..

الأستاذ محمد عبد المنعم [٦٩] رئيس تحرير مجلة روز اليوسف سابقًا قال عنه :

«المشير أبو غزالة مقاتل من الطراز الأول .. كما تشهد سجلات حرب أكتوبر ، فهو إنسان مفكر ، بدليل أنه قام بتأليف عدد من المراجع في العلوم العسكرية خلال خدمته الطويلة بالقوات المسلحة ، وعندما تجتمع هاتان الصفتان في إنسان واحد ، قلما تبذل الطبيعة بهذا السخاء ، فالمرء لا يتوقع أن يكون صاحبهما بهذا القدر من التواضع والبساطة وقوة البناء الإنساني الذي لا يغير منه أي منصب .. بمثل ما يتمتع به الفريق محمد عبد الحليم أبو غزالة وزير الدفاع والإنتاج الحربي .. ولكي أحصل على هذا الحديث لاحقته أيامًا منذ الساعة السادسة والنصف صباحًا ، حيث يبدأ يومه بممارسة رياضة التنس بملاعب وزارة الدفاع ولمدة ساعة تقريبًا ، ثم يستمر في العمل حتى ساعات الغروب .. كان طوالها في اجتماعات ومقابلات ومؤتمرات لا تنتهي .. وإن لم يكن هذا أو ذاك فيكون في مرور على الوحدات والتشكيلات» ..

الكاتب الصحفي مكرم محمد أحمد [٧٠] قال عنه :

«هو عقلية عسكرية ، لديها قدرة على التفكير الإستراتيجي ، وله العديد من المؤلفات العسكرية التي تدرس معظمها في المعاهد والأكاديميات العسكرية ، وبعض مؤلفاته منشور ومتداول لدى الرأي العام ولهذا لم ينحصر في دائرة الفكر العسكري ، بل تعداه إلى الفكر السياسي والإستراتيجي ..» .

(٦٩) مارس ١٩٨٢ ـ جريدة الأهرام .
(٧٠) مجلة المصور يوليو ١٩٨٢ .

الصحفي حمدي لطفي [٧١] كبير المحررين العسكريين :

رأيت أبو غزالة يتألم كلما صدم بأداء كان صاحبه يستطيع الوصول به إلى المستوى الأمثل ثم تكاسل وكلما لجأ أحدهم إلى التحايل والأكاذيب ، وظل حريصًا على ألا ينفصل فكره عن الواقع على الإطلاق ، حين كان ضابطًا صغيرًا وطوال خدمته قائدًا عامًا للقوات المسلحة المصرية مطبقًا لشعار : «إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع» ، والذين اقتربوا من أبو غزالة ، وأنا أنقل عن ضباط وجنود خدموا معه ويقولون عنه : «إن الغضب لم يأسره في أقصى المفاجآت السيئة ، وربما زادته هذه المفاجآت قدرة على التفكير الناضج ، والدليل يوم اغتيال السادات والساعات الخطيرة التي أعقبت هذا الحادث» .

واستطاع أبو غزالة قيادة رجاله لتأمين السيطرة على العاصمة وبقية البلاد والصورة كانت مشوشة أمام الجميع .. وهي مهمة ليست سهلة كما أرويها اليوم ، فحتى نهاية نهار ٦ أكتوبر ١٩٨١ لم يكن أحد يدري من المسؤولين وقتها هل وراء اغتيال السادات انقلاب .. مؤامرة من الداخل أو الخارج .. تنظيم سري داخل الجيش أو خارج الجيش ؟ وأسئلة أخرى طرحت نفسها وتطلب إجابات سريعة على مستوى القيادات العليا الأمنية والعسكرية تتعلق بموقف حكومات أجنبية وعربية ، وقد كان سلوك أبو غزالة سلوكًا نابعًا من الثبات الإرادي الذي يتمتع به في مواجهة المحن والكبوات ، ولكن الابتسامة النابعة من القلب فارقته بعد ذلك ..

(٧١) يناير ١٩٨٧ / الأنباء .

يقول اللواء محسن حمدي : «دعيت ذات مرة لإلقاء محاضرة في الجيش الثاني الميداني بدعوة من الفريق صلاح عبد الحليم ، قائد الجيش الثاني في وقت ما .. وكان بعد تحرك العميد أبو غزالة من الجيش الثاني .. ولما كنت أسمع عنه عملت استطلاعا شخصيا مني ؛ حبًا في هذه الشخصية أتلمس من خلاله معلومات أكثر عن شخصيته ، وكنت أسأل عمن خدم معه أو تعامل معه .. وفعلا سمعت وشاهدت بنفسي كلاما ومعلومات وشعبية كبيرة توازي ما سمعته عنه وأكثر كثيراً» ..

دراسة أعدها كاتب أمريكي هو دكتور روبرت سبر نجورج نشرت في مجلة ميد إيست ريبورت عام ١٩٨٧ وصف فيها المشير أبو غزالة بأن شخصيته ذات منطق واضح وطموح .. كما أن مقابلاته غير المسجلة مع الصحفيين الأمريكيين تعطي المشاهد انطباعًا بقدرته على مواجهة المسائل مباشرة وبشكل محدد ..

ومن أطرف ما أشارت له الدراسة أيضًا ، تمتع المشير أبو غزالة بحسن الطالع وأنه عندما يحضر مباريات كرة القدم فإن فريق المنتخب المصري يفوز .

* قال عنه أحد الملحقين العسكريين الأجانب : إنه من أفضل رجال المدفعية في العالم .. وعرف عنه أنه كان يعرف عن المؤسسة العسكرية الأمريكية أكثر مما يعرف معظم الأمريكيين ، وقال مصدر أمريكي آخر : إن باستطاعته ــ أبو غزالة ــ مضايقة الأمريكيين لأنه يعرفهم جيدا [٧٢] .

(٧٢) جريدة القبس ٥ مارس ١٩٨١ .

مختارات مما قيل عنه بعد وفاته ..

أكد خبراء عسكريون وإستراتيجيون أهمية الدور الذي لعبه المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة أثناء حرب أكتوبر ٧٣ ، وتطويره لمنظومة الجيش المصري بعد الحرب ، بالإضافة إلى اهتمامه بدور القوات المسلحة في تنمية المجتمع والمشاركة في المشروعات القومية المدنية .

الفريق عبد رب النبي حافظ .. يرثيه قائلًا : «أبو غزالة كان إنسانًا رائعًا وشخصية محبوبة ومحبًا للرياضة والنكتة .. مهما أَقُل عنه فلن أوفيه حقه .. رحمه الله وجزاه خيرا على كل ما كان يقوم به من أعمال عظيمة طوال مشوار حياته» .

يقول الكاتب الصحفي أسامة هيكل : «في مكتبتي قسم لمؤلفات وترجمات أبو غزالة .. قمت بشراء بعضها ، وأهداني هو البعض الآخر موقّعا بخط يده ، وهي ليست كتبا عادية ، ولكنها كتب ذات قيمة معرفية ، ومعلوماتية عالية ، تجعلها مراجع أساسية في علوم الإستراتيجية والأمن القومي، وأستعين بها في كثير من الأحيان ، وألمس فيها رؤية مستقبلية ثاقبة ومحددة .. إن مكانة المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة في قلوب المصريين لم تكن بسبب منصب . فقد زاد احترام وحب وتقدير المصريين له بعد خروجه من المنصب .. ولكن مكانته ترجع لإحساس الناس بأنه قيمة فكرية كبيرة ، ولتواضعه الشديد في التعامل مع الناس» .

أما الكاتب الصحفي جلال دويدار فقال عنه بعد وفاته : «لقد كان المشير علمًا من أعلام العسكرية المصرية .. وطنيًا متحمسًا وقوميًا بقضايا أمته العربية .. لم يكن عسكريًا عاديًا ولكنه كان هاويًا ودارسًا ومفكرًا لم يمنعه اضطلاعه بمسؤولياته الوظيفية عن الاهتمام إلى أقصى حد بقضايا التنمية في وطنه .. تجسد ذلك في تبنيه لهذا الفكر في اجتماعات مجلس الوزراء عندما كان وزيرا للدفاع فقد كان يؤمن بضرورة مساهمة القوات المسلحة بما هو متاح لها من انضباط وإمكانات في تنفيذ مشروعات البنية الأساسية .. إن السجل العسكري للراحل الكبير المشير أبو غزالة يشهد له بأنه كان شخصية مميزة في هذا المجال منذ تخرجه في الكلية الحربية عام ١٩٤٩ إلى أن تولى قيادة المدفعية في الجيش الثاني الميداني خلال الحرب» .

وصف اللواء دكتور محمود خلف ، مستشار أكاديمية ناصر العسكرية أبو غزالة بأنه كان يتمتع بإنسانية مع جميع العاملين معه ، بدءًا من الجنود وحتى كبار الضباط وقال : «كان شديد الاهتمام بأدق المشاكل الشخصية للعاملين معه ، لدرجة أن كان يشدد على الضباط بأن يتفحصوا أمر أي عسكري تظهر على وجهه ملامح الضيق والحزن ؛ لمعرفة أسباب مشكلته ومساعدته في حلها» ، وأضاف «كان يكلفنا بحصر تلك المشكلات وعرضها عليه» . وأكمل قائلًا بأنه كان أستاذًا في إزالة حالة التوتر لدى الجميع ، وذلك لما كان يتمتع به من روح الفكاهة ، وقدرة فائقة على حل أصعب المشاكل بأقل الإمكانيات .. فذات مرة وقعنا في مأزق عسكري بسبب ضعف الإمكانيات ومفاجأة العدو لنا ،

فاتصلت به شخصيًا ، وأخبرته بحجم الخطر الذي نواجهه ، وعلى الفور أمر بتوفير المعدات اللازمة ، وظل على اتصال بي حتى تأكد من سلامتنا جميعًا .. كان يتمتع أبو غزالة أيضًا بذاكرة قوية تجعله يتذكر مشاكل وهموم الجنود المعروضة عليه ، وتظل عالقة في ذهنه حتى حلها ، ولقد برز بعده الإنساني في تعامله مع الجنود عندما كان أول من طالب بإنشاء وحدات إسكان مهني من خلال جمعيات تعاونية تتولى إنشاء وحدات رخيصة الثمن للبسطاء ، كما أنه أول من طالب بتجديد معسكرات القوات المسلحة بعد حرب أكتوبر .

كما استغل عمله كملحق عسكري بالولايات المتحدة عام ١٩٨٠ ، وفتح الباب أمام ضباط القوات المسلحة للدارسة بالمعاهد العليا العسكرية هناك ، وكان يتابع سير المحاضرات بنفسه ، كما أنه كان حريصًا على تطوير الجيوش العربية ، حيث كان يؤكد لنا ، خاصة بعد حرب أكتوبر ، أن أي حرب لدولة عربية فهي حرب للعالم العربي بأكمله .

وأضاف : لم يكن أبو غزالة يسعى لتقلد أي مناصب طيلة حياته ، ولم تغيره المناصب التي تولاها ، منذ أن كان برتبة المقدم حتى وصل لمنصب مساعد رئيس الجمهورية ، شيئا في شخصيته وفي إنسانيته ، بل على العكس دومًا كان يؤكد لطلابه أن الإنسان الذي يشعر بأن الكرسي الذي جلس عليه قد أضاف له وكبره فهو أناني ولا حاجة إليه ، لأن الإنسان هو الذي يضيف دائمًا للكرسي الذي يجلس عليه وليس العكس .

يقول اللواء حسين طه حسن خليفة ، الخبير العسكري والاستراتيجي : إن المشير أبو غزالة يمكن وصفه في ثلاث كلمات: «راجل ابن بلد» ، وأضاف طه أنه تعرف على المشير أبو غزالة عندما كان لا يزال عقيدًا في مدفعية الجيش الثاني في أواخر الستينات ، مشيراً إلى أن أبو غزالة ظل ذلك الرجل البسيط المتواضع ولم تتغير أي صفة من صفات شخصيته ، حتى بعد أن أصبح مشيراً ، بل على العكس كان أكثر تواضعًا .

وأوضح أن أبو غزالة كان معروفًا بين أفراد القوات المسلحة بأنه خدوم ، وكان يتعامل معهم من منظور أنه أب لهم وليس القائد العام .

وعما تردد أثناء حياة أبو غزالة من تعاظم نفوذه الزائد وتأثير ذلك على إقالته ، أكد طه أن أبو غزالة كان أكبر بكثير من أن يطمع في مناصب عليا ، فالرجل الذي يتبسط مع الناس ويحدثهم عن جهوده لتوفير سبل حياتهم لا يفكر إلا في مصلحة أبنائه بالقوات المسلحة ، وهذا ما جعل شعبيته في تزايد مستمر .

وتطرق اللواء إلى أن إنسانية وأخلاق وقيم المشير أبو غزالة لا تزال موجودة حتى اليوم في أولاده وأحفاده ، إذ أن أحد أبناء المشير يعد بمثابة الصديق والابن له ، ليؤكد فعلًا أنه خير خلف لخير سلف .

يقول اللواء حسام خيرت الخبير الإستراتيجي : إن المشير أبو غزالة كان أستاذه الذي علمه العسكرية عندما تخرج في الكلية الحربية عام ١٩٥٦ م ، وكان وقتها مدرسًا في مدرسة المدفعية ، مؤكدًا أنه تلقى على يديه العلوم العسكرية ، واكتسب منه روح المدفعية المعروفة من تآخٍ وترابط ، فضلًا على أنه كان قائدًا له في مراحل مختلفة من حياته إلى قيادته لمدفعية الجيش الثاني الميداني ،

ومن مواقف حرب أكتوبر يقول : إنه في يوم ٢١ أكتوبر تعرضت الفرقة ١٦ لموقف غاية في الصعوبة عندما حاول الإسرائيليون اختراق الجيش الثاني ، ونجح أبو غزالة ببراعة وثبات شديدين في تجميع نيران ٢٤ كتيبة مدفعية ؛ مما أدى إلى حماية الفرقة ١٦ والجيش الثاني بأكمله ، وحصل نتيجة ذلك على وسام نجمة الشرف العسكرية .

ويشير اللواء طلعت مسلم الخبير الإستراتيجي إلى أن أبو غزالة كان ضابطًا يتميز بالذكاء والحضور والعلاقات الطيبة مع الزملاء ، فضلًا على كفاءته في العمل وطموحاته الكبيرة ، سواء بالنسبة له أو للقوات المسلحة المصرية ؛ وذلك مما عرفته عنه من خلال وجودي معه في الخدمة في القوات المسلحة .

ويضيف الفريق يوسف عفيفي قائد الفرقة ١٩ في حرب أكتوبر : إن المشير أبو غزالة رحمه الله «قائد عسكري فذ ومثل أعلى في الجدية والالتزام ، وكان أبو غزالة في الجيش الثاني الميداني وقت خدمتي في الجيش الثالث ، وقد كان هناك تعاون مثمر بين الجيشين وقتها ، وكنت ملحقا عسكريا في روسيا وقت وجوده ملحقًا عسكريا في أمريكا» ..

ويوضح اللواء محمد علي بلال ، قائد القوات المصرية في حرب الخليج ، أن المشير أبو غزالة ليس مجرد قائد عسكري من الطراز الفريد ، وإنما هو قيمة وطنية كبيرة ، ورجل مصري صميم ؛ أعطى لمصر الكثير ، وتتشرف مصر أن يكون أحد أبنائه ، وكان أيضًا رجلًا سياسيا إستراتيجيا اقتصاديا ، وله آراء عظيمة في مجالات عديدة ، وعندما كان يتحدث أبو غزالة لا تملك إلا أن تنصت له تمام الإنصات ، وقد احترمه الجميع ؛ من أحبه ومن لم يحبه ، «وإن كنت أعتقد أنه لم يوجد أحد لم يحبه .. إنه أول من طبَّق الروح المعنوية على حقيقتها في القوات المسلحة ، وسيظل ذكرى إلى الأبد في عقل وقلب ووجدان كل مصري» .

وممن عايشه اللواء شوقي فراج الخبير العسكري ، الذي يقول : «عشت مع المشير أبو غزالة في الجيش الثاني الميداني عندما كان قائدًا للمدفعية ، وكنت أنا رئيس مهندسي الجيش الثاني ، وقد لازمته يوميا من الفترة من أكتوبر ٧١ حتى أبريل ٧٤ ، ولمست من خلال هذه المعايشة أنه ــ رحمه الله ــ كان رجلًا بمعنى الكلمة ؛ فقد ضرب أروع الأمثلة في الجرأة والشجاعة والذوق والتواضع» . (٧٣) وأدعو الله أن يتغمده برحمته ، وأن يجعل كل ما قدمه لمصر في ميزان حسناته» .

نعود مرة أخرى للصحافة ونجد جلال دويدار يقول : «لم يمنعه اضطلاعه بمسؤولياته الوظيفية عن الاهتمام إلى أقصى حد بقضايا التنمية في وطنه» .

الدكتور صالح سليمان عبد العظيم : «لم يكن أبو غزالة حديث الناس في الشارع المصري فقط ، لكنه ، ومن خلال امتلاكه لتلك الشخصية الكاريزمية ، كان محبوبا في الأوساط العسكرية ؛ سواء من القادة العسكريين الكبار أو من الضباط الصغار ، ومشكلة المصريين تكمن في ارتباطهم الهائل بالشخصيات الكاريزمية التي تقودهم في محبة وعزة إلى الأمام» .

وعلى الجانب السياسي يقول الدكتور سيد عليوة ، أستاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان : إن المشير أبو غزالة أحد رموز العسكرية المصرية التي لعبت دورًا تاريخيا مشهودًا في تاريخ مصر العسكري في الحروب التي خاضتها دفاعًا عن أراضيها ؛ بداية من حرب ٤٨ ، مرورًا بحرب ٥٦، ثم حرب الاستنزاف ، وأخيرًا حرب أكتوبر ٧٣ مما يضع اسمه على رأس قائمة الشرف للعسكرية المصرية والدور الذي لعبته حتى في أوقات السلم في التنمية والسلام والاستقرار الاجتماعي .

(٧٣) شاء القدر أن يلقى ربه ، وينتقل إلى جواره بعد وفاة المشير بشهور قليلة .

ويضيف د . عليوة : إن تاريخ المشير أبو غزالة يؤكد أن العسكرية المصرية هي احتياطي القيادات في الظروف المتقلبة في العالم النامي ، كما يؤكد هذا التاريخ أن انفتاح الجهاز الأمني على المجتمع بات ضرورة ملحة في زمن أصبحت فيه الإستراتيجيات ذات أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية .

وفي الإطار نفسه أكد الدكتور جمال عبد الجواد ، الباحث بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية : أن المشير أبو غزالة أحد القادة الرئيسيين في حرب أكتوبر ، ولعب دورًا مهما في الحياة السياسية والعسكرية ؛ فمن الناحية العسكرية هو أكثر من قائد عسكري محنك ، ولكنه يكاد يكون مفكرًا عسكريا ؛ لما له من إسهامات في مجال المؤلفات الخاصة بالعلوم العسكرية .

المستشار الراحل مأمون الهضيبي وصفه «بالعسكري المحترم» ووصفه المرحوم إبراهيم شكري بوصف «القامة العالية ...» أما الدكتور رفعت المحجوب – رحمه الله - فكان يقول عن المشير رحمه الله: إنه من القلائل الذين إذا تحدثوا فإن الواجب يفرض عليك الإنصات ..



دفعة عام ٤٩ فى أول لقاء يجمعهم بعد وفاة المشير أبو غزالة يقرءون الفاتحة على زملائهم الراحلين



الدفعة عام ٤٩ فى صورة تجمعهم بعد وفاة المشير ابو غزالة بأيام قليلة

الرجاء الحضور قبل الموعد بنصف ساعة

مشير / محمد عبد الحليم ابو غزالة

نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والانتاج الحربي
والقائد العام للقوات المسلحة

يتشرف بدعوة السيد / اللواء اح / عبد المنعم محمد خليل

لحضور : الاحتفال بتسليم وتسلم قيادة الجيش الثانى الميدانى
وافتتاح المدينة السكنية بوادى الصلاك

وذلك سعت ٩٣٠ يوم الخميس الموافق ١٧/١١/١٩٨٨

ف / قيادة الجيش الثانى الميدانى بالاسماعيلية

اللبس للعسكريين :

للاعتذار : تليفون ٨٣٦١٥٥ ٨٣٦١٣٧



المشير أبو غزالة والفنان عادل امام واللاعب محمود الخطيب والسيد جمال الليثي في حفل زفاف ابنة زميله وصديقه جمال الليثى المنتج السينمائى المعروف



لم يغب ابدأ عن أداء الواجبات الاجتماعية .. فى حفل ابن صديقه اللواء دكتور عثمان الخواص



أبو غزالة .. الأبوة .. الحنان



الفصل الثالث عشر

المرض.. الوفاة.. الجنازة.. ما قيل بعد وفاته

مرض المشير أبو غزالة

نأتي الآن إلى المرض والوفاة .. المحطة الأخيرة من الرحلة الطويلة ثرية الأحداث والذكريات .. من متابعتي لحالته الصحية مثل باقي الملايين من أحبائه وقبيل وفاته بأيام قليلة لاحظت إبراز صفحات الجرائد خبرا عن سؤال الرئيس مبارك عن صحته .. يقول الخبر : «أوفد الرئيس حسني مبارك اللواء أركان حرب عبد المؤمن فودة كبير الياوران إلى مستشفى الجلاء العسكري للقوات المسلحة للاطمئنان على صحة المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، وإبلاغه تمنيات رئيس الجمهورية بالشفاء العاجل» .. وبعدها تابعت بعض الصحف المصرية والعربية والعالمية حالته وتدهورها في الأيام الأخيرة ولكنها كانت معلومات بسيطة عن حالته الصحية والتكهن بدرجة خطورتها .. الجميع كان يدعو له بالشفاء وأن تكون أزمة وتمضي مثل أزماته الصحية السابقة ، خاصة أن الانتكاسة الأخيرة حدثت سريعًا وبعد عودته من علاج سابق بفرنسا ..

وحين نعود لبداية مرض المشير أبو غزالة نجد أنه أصيب بسرطان في الفك اكتشفه طبيب الأسنان الذي كان يعالجه .. وأخذ يتجرع الألم بمفرده .. وبصبر وإيمان قوي ، ودخل في صراع قوي

وشرس رافضًا الاستسلام أو الانحناء للمرض الذي استدعى سفره إلى معهد باستير في فرنسا ، «أشهر مركز لعلاج الحالات المشابهة لمرضه» .. ولم يفلح العلاج الكيماوي لتأخر اكتشاف المرض ووصوله إلى أماكن حساسة بالجسم وأيضًا لكبر سنه وعدم تحمله للعلاج الكيماوي ، علاوة على الآثار الجانبية لبعض وظائف الجسم ..

وكان القرار هو أن يتم علاجه بطريقة تضمن على الأقل ألا ينتقل المرض إلى أماكن أخرى في جسده ، لكن يبدو أن هذا الهدف كان بعيد المنال .. فبعد أن عاد من فرنسا ورغم التعب الشديد فإنه لم يبد مستسلمًا ، وحاول أهله وأصدقاؤه أن يتعاملوا معه بطريقة عادية ، لا تشعره بأنه مريض حتى لا يؤثر ذلك على معنوياته فتتدهور حالته أكثر .

وبالفعل كانت حالته مطمئنة بعض الشيء ، وقبل وفاته بشهرين تقريبًا بدأ يشعر بتحسن وبدأ ينزل إلى النادي ، الذي انقطع عنه فترة ، يقابل أصدقاءه ، ويقوم بممارسة بعض التمارين الخفيفة ، لكن قبل وفاته بشهر واحد تقريبًا بدأت حالته في التراجع والتدهور السريع ، بل شعر هو شخصيًا أنه ينهار صحيًا وأن جسمه لم يعد قادرًا على المقاومة ، المشير أبو غزالة أصر على أن يدخل مستشفى الجلاء العسكري ، ففي أي مكان عسكري يشعر أنه في بيته ، ونتيجة لتدهور حالته ، فقد دخل العناية المركزة إلى أن وافته المنية صابرًا ومؤمنًا بقضاء الله .. الرئاسة كانت ترى أن يسافر إلى فرنسا للعلاج ليكمل علاجه ، لكن طاقم الأطباء المعالج رفع تقارير عاجلة إلى الرئاسة تفيد أن الحالة أصبحت متأخرة جدًا وأنه لا فائدة من السفر ، هذا علاوة على أن جسد أبو غزالة نفسه لم يعد يتحمل السفر .

وبدأت حالة المشير في التراجع والانهيار ، ودخل مستشفى الجلاء العسكري ، وأصبحت حالته لا تحتمل السفر للعلاج بالخارج طبقًا لرأي أطباء الرئاسة والقوات المسلحة ، وانتقل المشير إلى غرفة العناية المركزة ، ومنعت عنه الزيارة إلا في أضيق الحدود ومن الأصدقاء المقربين جدًا وبعض أفراد العائلة ، حتى وافته المنية في يوم السبت ٦ سبتمبر ٢٠٠٨ الموافق ٦ رمضان ١٤٢٩ هجرية عن عمر يناهز ٧٨ عامًا و ٨ أشهر و ٦ أيام [٧٤] ..

(٧٤) جريدة الفجر ٨ / ٩ / ٢٠٠٨ محمد الباز وعدد من الجرائد المصرية والعربية الأخرى .

الأطباء قالوا عنه: إنه رغم الآلام التي يسببها هذا المرض اللعين ، فإنه لم يصدر عنه آهة واحدة ، وكان يملك قوة تحمل غير طبيعية وطاقته الداخلية التي مكنته من تحمل الألم تفوق طاقة الرجل العادي .

يقول الرسول محمد ج : «رمضان شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار» ..

«لقد اختار الله عبده أبو غزالة إلى جواره في رمضان وفي العشر الأوائل من رمضان ونرجو الله أن يهبه من رحمته» ..

الوفاة كانت في السادس من سبتمبر ، والدفن في السابع من سبتمبر ، والعزاء يوم الاثنين الثامن من سبتمبر ، وهو يوم المدفعية وعيدها .. هل هذه مصادفة أم أنها حقيقة واقعة أن يموت الرجل في يوم عيد سلاحه الحبيب ، حتى يكون هذا اليوم هو العيدين يوم لقاء ربه وربنا جميعًا ويوم المدفعية .. سار في جنازته مئات ، وخلفها ألوف ، ومن ورائها ملايين من محبيه ، على رأس الجنازة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ورئيسا مجلسي الشعب والشورى وجميع الوزراء في ذلك الوقت ، وصفوف كثيرة من ضباط المدفعية والقوات المسلحة يتقدمهم المشير محمد حسين طنطاوي وزير الدفاع والإنتاج الحربي والقائد العام للقوات المسلحة سابقًا ، والسيد رئيس أركان حرب القوات المسلحة السابق الفريق سامي عنان .. وأسرة الفقيد وأولاده وأحفاده وأصدقاؤه وزملاؤه وتلاميذه ومحبوه ..

وتسجل السطور المقبلة شهادات بعض أصدقائه عن مرضه وذكرياتهم معه في هذه الأيام ..

ذكريات زملائه وأصدقائه عن مرضه ..

الفريق عبد رب النبي يقول : في مرضه الأخير كنت دائم الاتصال به للاطمئنان عليه ، وآخر مرة سافر فيها للعلاج بالخارج .. كلمته ثاني يوم عودته وكان صوته طبيعيًا ويتكلم حديثه العادي، الذي يغلب عليه خفة ظله وروحه المرحة ، وأخبرني أن الأطباء أكدوا له أنه يحتاج إلى الراحة شهرا واحدا فقط وبعدها يزاول حياته كما كان ، وقلت له : «لو شهر فقط يبقى شيء بسيط اقعد في البيت واستحمل» ..

بعد فترة قليلة تدهورت حالته وزرته في المستشفى أكثر من مرة ، وكانت زيارة مؤثرة جدًا ، فحالته كانت سيئة للغاية وبدأت في التدهور بصورة كبيرة وحزنت لأجله ، في هذا التوقيت كنت مسافرا لأداء العمرة ، ومررت عليه قبل ذهابي إلى المطار ، وكأني أودعه ، وكانت حالته متأخرة جدًا ، وكنت أدعو الله أن أعود من العمرة وأجده ولكنه قضاء الله .. ونحن في المدينة المنورة جاء إلينا خبر وفاة المشير أبو غزالة ، وكان صدمة وخبرا حزينا على وعلى كل من معي .. أبو غزالة كان إنسانًا رائعًا وشخصية محبوبة ومحبًا للرياضة والنكتة .. مهما أَقُل عنه فلن أوفيه حقه ..

يسترجع الفريق صفى الدين ذكرياته عن مرض ووفاة المشير أبو غزالة قائلًا : أثناء فترة مرضه .. كنت أتصل به باستمرار ، في أوقات كثيرة عندما كنت أتصل ولا أتمكن من الحديث معه بسبب نومه أو عدم وجوده في المنزل .. أجده يتصل بي فور عودته ويسألني عن بناتي وأسرتي وزوجتي وأخواتي ..

قبل أن يدخل المستشفى آخر مرة ، كنت أكلمه وأخبره أن بناتي يردن رؤيته ، فكان يرفض أن يشاهدنه وهو بهذه الصورة إشفاقًا عليهن وعليه .. عندما توفى كان هذا الخبر مؤلمًا للغاية علي وعلى أسرتي ، بناتي وأخواتي وأهلي بكوا عليه بعد وفاته بشدة وكأنه فرد من أفراد العائلة ، وكانوا يتوقعون أن شخصا بهذه الصفات سيظل موجودًا طيلة العمر ولن يموت .. ولكنها حكمة الله ولكل أجل كتاب ..

اللواء منير شاش يقول : علاقتي بالمشير أبو غزالة لم تنقطع لحظة .. في مرضه الأخير الذي توفى فيه .. كنت أريد أن أراه وأتحدث معه ولكن الأطباء كان يرفضون المقابلة ، نظرًا لحالته الحرجة ، ولكن قبل وفاته بأيام قليلة اتصلت بي ابنته الدكتورة حنان وأخبرتني بأنه يسأل عني .. وذهبت إليه سريعًا وجلست معه نحو ربعٍ ساعة فقط وأخذت أداعبه وأقويه وضحكنا قليلًا ، ولكن بعد خروجي ورغمًا عني انسالت دموعي حزنًا على الحالة الصحية السيئة التي وصل إليها ولإحساسي أنها مقابلة الوداع .. وتوفى بعد هذه المقابلة بنحو أربعة أيام فقط والذي أعرفه أنه كان يرفض أن يراه أي فرد في الحالة التي وصل إليها إشفاقًا على أحبائه .. أبو غزالة إنسان لن يعوض .. نادرًا تكراره مرة أخرى .

وعن مرضه يقول اللواء يحيى خليفة : زرته ثلاث مرات في مستشفى الجلاء في مرضه الأخير .. المرة الأولى كنت في المستشفى للعلاج وعرفت بالمصادفة أنه يجري بعض التحليلات ، وقابلته واستقبلني استقبالًا حارًا رغم أنه كان يضع الحقنة في ذراعه .. المرة الثانية كان مريضًا جدًا ولم أتمكن من رؤيته ..

المرة الثالثة كان في حالة متأخرة جدًا وأخبرتني السيدة الفاضلة زوجته بأن الزيارة ممنوعة ولكني يمكنني أن أراه دقائق وبالفعل دخلت عليه وكان نائمًا ولم يشعر بي ولكني ودعته ومكثت معه نحو خمس دقائق فقط .. وكنت في غاية الحزن عليه .. وعرفت الخبر الحزين بعد هذه الزيارة بأيام قليلة ، وكان خبرا في غاية الصعوبة عليّ وعلى كل من عرفه أو تعامل معه .. ولكنه ارتاح من الآلام المبرحة التي كان يشعر بها ويقاومها ..

يقول الفريق أحمد صلاح عبد الحليم : «آخر مرة شاهدته فيها قبل وفاته بعشرة أيام ، وكان شجاعًا في مقابلة قضاء الله مبتسما ويضحك كعادته ، شهادته وأثناء مكوثي معه حضر المشير حسين طنطاوي وزير الدفاع والإنتاج الحربي للاطمئنان عليه بنفسه وظللنا معه دقائق معدودة فالزيارة كانت ممنوعة» .

اللواء حسام خيرت يقول : آخر مرة ودعته فيها قبل وفاته بيوم ، واستطعت أن أراه لمدة دقائق محدودة» ..

اللواء عطية سليمان الدفعة ٤٩ يقول : «قبل وفاته بعدة أيام أرسلت له برقية قلت فيها .. سلامتك يا خير القادة ويا أعز الرجال .. كنت أريد أن يعرف بأن الجميع معه ويحبه» ..

اللواء محفوظ حمدي رئيس هيئة العمليات السابق يقول : «لم تنقطع صلتي به بعد خروجي من القوات المسلحة كنت أكلمه على فترات متقطعة في الأعياد والمناسبات وكنت أخجل من ترحيبه وكلمات الشكر غير العادية وكلامه الرائع الذي يقوله .. علاقتنا الإنسانية لم تنقطع .

القوات المسلحة تدعم وفاء الأجيال الصغيرة للكبيرة ، والجيل الصغير سواء بالخدمة أو خارجها يسأل عن الأقدم منه وهي ميزة وسمة موجودة إلى الآن ويدعمها المشير طنطاوي ويعمقها ، زرته في مرضه ولكن لم ألتق به نظرًا لسوء حالته ولم أرد أن أراه وهو في هذه الحالة .. رحمه الله وتقبل الله منه أحسن الأعمال ..

يقول اللواء عبد الجابر أحمد : أثناء مرضه كنت أزوره .. ولكني لم أره لأني كنت أعلم حالته السيئة وأنه لا يريد أن يراه أحد وهو بهذه الصورة .. رحمه الله .

يقول اللواء حسن الجريدلي (٧٥) : «عندما علمت بمرضه ووجوده في المستشفى وقبيل وفاته بأيام ، كانت أمنيتي أن أراه وأطمئن عليه أو على الأقل ألقى نظرة الوداع .. ولكن للأسف الزيارة لم تكن متاحة لرؤية نظرا لحالته الصحية الحرجة ، ولكني قابلت ابنته وأخاه والدموع تملأ أعينهما .. وأخبروني أن حالته حرجة جدًا وأن الأمل كله منعقد على الله ورحمته .. وفعلا بعدها بنحو أقل من أسبوع توافيه المنية ويرحل عنا في صمت كعادته ..

إنه إنسان سيظل الجميع يذكره فهو بحق إنسان يصعب نسيانه ..

(٧٥) انتقل إلى جوار ربه يوم ١٧ أبريل ٢٠١٠ وبعد تهنئتي بالتصديق على نشر الكتاب .. ولم يمهله القدر أن يرى الكتاب ويقرؤه .. رحمه الله .

يقول كبير المحررين العسكريين «الراحل» جمال كمال : «المشير أبو غزالة زرته بالمستشفى قبل وفاته بأيام قليلة وودعته بقليل من الكلمات» ..

كلمة أخيرة ننهي بها هذا الوداع الحزين .. تقريبا كل أحبائه وأصدقائه وزملائه ودعوه أو على الأقل زاروه .. فلم أسجل مع أحد إلا وأخبرني بهذا .. حتى المرضى والزائرون العاديون بمستشفى الجلاء كانوا يسألون عليه ويدعون له بالشفاء وعندما مات كانوا يكثرون له الدعاء ..

ما قيل في نعيه :

اللهم لا نزكيه عليك ولكن نحسب أنه آمن وعمل صالحًا ، فاجعل له جزاء الضعف بما عمل واجعله في الغرفات من الآمنين ..

بهذه الكلمات شكرت أسرة المرحوم المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة كل من تفضل بمواساتها وتعزيتها في مصابها الأليم وفاة السيد المشير أبو غزالة .

أما نعي القوات المسلحة ، فقد تصدره السيد المشير حسين طنطاوي القائد العام للقوات المسلحة والإنتاج الحربي السابق .. وضباط وضباط صف وجنود القوات المسلحة .. وذلك في أعلى صفحة الوفيات وبكلمات حزينة هذا نصها : «برحيل الفقيد المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة .. فقدت أمتنا وجمهورية مصر العربية ابنًا بارًا من أبنائها المخلصين الأوفياء .. فارسًا شجاعًا وجسورًا من فرسانها البواسل ، الذين ما بخلوا قط بالدم والجهد في سبيل تعزيز مكانتها ورفعة شأنها والدفاع عن كرامتها .. ونتوجه إلى الله مخلصين له الدعاء أن يتغمد الفقيد برحمته ويلهم أهله الصبر والسلوان» .

نعاه الدكتور علي السمان رئيس اتحاد مجمع الأديان قائلاً : يكفيك فخرًا أنك انتميت إلى مدرسة أكتوبر وكنت من قادتها وأبطالها ..

عرفتك منذ أن كنت ملحقًا عسكريًا لمصر في أمريكا ، وأشهد أنك من بين الذين فهموا العقل الأمريكي وتعاملوا معه بفاعلية واقتدار لتحقيق مصالح مصر العليا ..

تميزتم بنهم كبير للقراءة والاطلاع ، فأثبتم أن العلم والثقافة ليسا حكرًا لمهنة دون أخرى [٧٦] ..

الجنازة

جريدة المصري اليوم ذكرت في صفحاتها ، وأثناء تغطيتها للوفاة بأنها ذهبت إلى مسقط رأسه في قرية «زهور الأمراء» التابعة لمركز الدلنجات في البحيرة ، وكان لافتًا وجود صورتين : الأولى للرئيس مبارك ، والأخرى لأبو غزالة في مدخل القرية اعترافًا بفضله عليها ، وهو ما يفسر خلوها من كل الرجال تقريبًا بعد سفرهم إلى القاهرة لحضور الجنازة التي خرجت من مسجد آل رشدان [٧٧] .

في جنازة عسكرية مهيبة .. التف فيها كل أبناء الشعب عسكريين ومدنيين .. أصدقاء وغرباء .. معارفه ومن سمعوا عنه ..

وسط هذا الحشد الكبير تقدم الرئيس السابق حسني مبارك مشيعي جنازة المشير أبو غزالة ، من مسجد آل رشدان .. من أمام النصب التذكاري للجندي المجهول لمدينة نصر ، وكان شيخ الأزهر (الراحل) الدكتور محمد سيد طنطاوي قد أمَّ المصلين في صلاة ظهر الأحد ، وحمل الجثمان الذي كان ملفوفًا بعلم مصر على عربة مدفع يتقدمها حملة الأوسمة والنياشين التي حصل عليها الفقيد خلال خدمته الطويلة ..

(٧٦) جريدة الأهرام فور وفاته صفحه الوفيات ٧ـ ٨/ ٩ / ٢٠٠٨ يوم الاثنين .
(٧٧) المصري اليوم ٨ ـ ٩ / ٩ / ٢٠٠٨ داليا عثمان وهدى رشوان وعدد من الجرائد ووكالات الأنباء .

شارك في تشييع جنازة المشير التي استمرت ١٠ دقائق ، كبار رجال الدولة ، وأقيمت صلاة الجنازة عقب صلاة الظهر .. واصطف أهل الفقيد لتلقي العزاء في الفقيد ، ثم تحرك الجثمان ليوارى الثرى في مقابر الأسرة بمدينة نصر .

وقال مصدر دبلوماسي : «إن إصرار الرئيس على أن يكون في الصفوف الأولى لمشيعي المشير ، يرجع إلى تاريخ الفقيد الطويل ، خاصة أنه خدم الوطن وشارك في جميع الحروب ، التي كان آخرها حرب أكتوبر ، فضلًا على جهوده التي بذلها للارتقاء بالوطن من خلال المناصب الكثيرة التي تولاها» .. هذا ما ذكر ونضيف عليه أنه زميله في الكلية الحربية وصديقه الوفي الذي دائمًا ما كانا يجتمعان معًا في السراء والضراء .. ورفيقه في رحلتي الحرب والسلام وبناء الوطن .

نعود للعزاء مرة أخرى ونجد أنه تم إنشاء سرادق ضخم للجنازة امتد من نهاية شارع يوسف عباس بالتقاطع مع طريق النصر مرورًا بسور نادي الزهور وقاعة المؤتمرات حتى المنصة .

واصطف رجال القوات المسلحة على امتداد الشوارع الرئيسية والجانبية ، كما أقاموا عددًا من البوابات الأمنية المخصصة لتأمين الجنازة العسكرية .

وأخلت قوات الأمن شارع يوسف عباس من السيارات الواقفة تمامًا ، وامتدت قوات الأمن المركزي من تقاطع شارع صلاح سالم مع شارع يوسف عباس حتى مبنى المنصة ، ووقف المارة يتفقدون الأعداد الهائلة من رجال الجيش والشرطة (٧٨) .

العزاء :

العزاء كان يوم ٨ سبتمبر بحضور كبار رجال الدولة وقادة القوات المسلحة وذلك بدار المناسبات الكبرى بمسجد النزهة بأرض الجولف وكان القراء هم الشيخ فتحي المليجي والدكتور أحمد نعينع والشيخ محمد رجب ..

كل القادة والمواطنين الذين حضروا العزاء تحدثوا عن الكم الهائل من الشخصيات العامة والكبيرة وعامة الشعب الذين يعرفون المشير عن قرب أو لم يلتقوا به .. ومن الأمور الرائعة وجود المشير محمد حسين طنطاوي بالعزاء منذ بدايته وحتى النهاية رغم مشاغله الكثيرة وفي الحين نفسه أخبرني اللواء عبد المنعم سعيد ، رئيس هيئة العمليات السابق ، عن عزاء السيدات وقد أخبرته به السيدة حرمه بعد عودتها منه .. إن السيدة الفاضلة حرم السيد المشير أبو غزالة امرأة طيبة ولا تختلط كثيراً بالعالم الخارجي ،

(٧٨) المصري اليوم ٨ ـ ٩ / ٩ / ٢٠٠٨ داليا عثمان وهدى رشوان وعدد من الجرائد ووكالات الأنباء .

ولذلك فإنها لم تكن تعرف شخصيات كثيرة نسائية معظمها زوجات لكبار قادة الدولة والقوات المسلحة .. ومن الرائع وجود السيدة حرم السيد وزير الدفاع حسين طنطاوي بجوار السيدة أشجان وإخبارها بكل من تقدم لعزائها ، إذ كانت تعرفها ولم تتركها إلا بعد انتهاء واجب العزاء ..

هذه هي الشخصيات العسكرية الكبيرة وتعاملات القادة وزوجاتهم معًا ..

ونعود مرة أخرى للحديث عن العزاء وكانت شهادة من أحد من حضروا العزاء وكان له كلمة رائعة أردت إضافتها هنا .. وهي كلمة للكاتب والسياسي .. العزب الطيب الطاهر .. (٧٩) والذي يقول فيها :

عندما وصلت إلى مقر العزاء في المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ، القائد العام للجيش المصري ووزير الدفاع الأسبق ، التابع لمسجد القوات المسلحة بمدينة نصر .

كانت الساعة قد اقتربت من الحادية عشرة مساء وذلك بعد صراع مع الزحام الاستثنائي الذي يفرض سطوته على شوارع القاهرة بعد صلاة التراويح وبشكل خاص منطقة مدينة نصر ..

ولدى دخولي القاعة فوجئت بحشود البشر التي جاءت معزية وبحثت عن الصديق زياد أبو غزالة القنصل العام للسفارة المصرية بالدوحة ، وابن شقيق المشير ، فعثرت عليه وكان محاطًا بنفر من أصدقائه ومعارف الأسرة ،

(٧٩) صحيفة الراية القطرية ١٠ / ٩ / ٢٠٠٨ .

فانتظرت حتى انتهى منهم واحتضنته مشتاقا ومعبرا عن حزني برحيل واحد من أهم قادة المؤسسة العسكرية المصرية الذي سيسجل التاريخ أدواره الوطنية بأحرف من بهاء لن يتلاشى أبدا لكن زياد شد على يدي وبدا كمن يعزيني لافتا إلى الحضور الرسمي في العزاء الذي جسده نجلا الرئيس مبارك السيد علاء والسيد جمال وكبار رجال الدولة والوزراء الحاليون والسابقون

وقيادات القوات المسلحة الذي لمحت العديد منهم ، بيد أن الحضور الشعبي كان واضحًا ، فثمة أناس جاؤوا من أطراف بعيدة لا صلة لهم مباشرة بالمشير أو عائلته قدموا واجب العزاء وهو ما جعل زياد ــ حسب قوله لي ــ يشعر بالفخر للمكانة التي يبلغها عمه في قلوب الناس وهي مكانة ليس ــ أضفت أنا ــ من السهل الوصول إليها إلا عبر انتماء وعطاء حقيقيين للوطن ، وأبو غزالة كان من هذا الصنف من القيادات التي رهنت مصيرها ومقاديرها بوطن عشقه ومؤسسة عسكرية احترمها ووهبها عمره ، ولم يرض عنها بديلا ، حتى بعد أن غادر مواقعه وهو ما تجلى في رفضه عروضا متعددة من قيادات عربية للعمل إلى جانبها مستشارا عسكريا».

إن المشير أبو غزالة تمتع على الدوام بحب الناس ، لأنه كان يدرك أن القيادة ليست مجرد أوامر عليا تصدرها ويتعين تنفيذها ، لكنه كان على يقين من أن التفاعل مع الوسط الذي يقوده والسعي إلى تحقيق متطلباته الحياتية على نحو كريم ، هو الأساس المتين لنجاح العملية القيادية ، وهو ما طبقه باقتدار وكفاءة في القوات المسلحة المصرية ، التي انحاز لضباطها وأفرادها من خلال فتح أبواب السكن اللائق لهم ، والحصول على مختلف الاحتياجات بدون عناء ،

في الوقت الذي كان يسعى إلى تطوير قدراتهم القتالية ومهارتهم المهنية ؛ الأمر الذي شكل إطارًا لم تخرج عنه المؤسسة العسكرية إن لم تكن قد أضافت إلى رصيده إيجابيا ، وفي ضوء هذا الحرص على تكريم المشير رسميا وشعبيا بعد رحيله فإنني أتطلع إلى إطلاق اسمه على إحدى المنشآت الكبرى للقوات المسلحة حتى يكون عنوانا لأفرادها ومجسدا لقيمها الوطنية والقومية التي ما زالت تقبض عليها ..

يقول زميله جمال الليثي : «عندما توفى ، حزنت جدًا ، وودعته وحضرت جنازته وعزاءه وكان موجودًا زميل دفعتنا وصديقنا السيد الرئيس حسني مبارك» ..

من اللمسات الرائعة ، أن أحد القادة ذكر لي أن المشير حسين طنطاوي حضر جنازته والعزاء وظل منذ بداية العزاء وحتى نهايته وهذا شيء نادرًا ما يحدث مع أي فرد .

تكريمه بعد وفاته :

بعد وفاته بأيام . طالعتنا الصحف المصرية بهذه الأخبار التي تقول فيها ..

المجلس المحلي الشعبي لمحافظة البحر الأحمر وافق في إحدى جلساته التي تمت في شهر وفاة المشير أبو غزالة على الاقتراح الذي تقدم به أحد أعضاء مجلس الشعب السيد / محمد رفيع .. بإطلاق اسم الراحل المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة على أحد الشوارع الرئيسية في منطقة القرى السياحية ،

بالإضافة إلى أحد الميادين الكبرى في مدينة الغردقة ، وذلك تقديرًًا وتخليدًا للراحل .. وطالب المجلس الوحدة المحلية لمدينة الغردقة بتنفيذ الاقتراح ، ووضع لافتات بالشارع والميدان ، وإدارجه في الخرائط التي تصدر عن المدينة [٨٠] .

ووافق أيضًا المجلس المحلي لمحافظة البحيرة على إطلاق اسم المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة على الطريق الدائري المار بمدينة الدلنجات ، والذي يبدأ من مدخل مدينة الدلنجات مرورًا بميدان حاملة السنابل ، وحتى نهاية الطريق ، وذلك تخليدًا لذكراه ، نظرًا لجهوده في المجال العسكري ، وبما أنه يعد من أشهر أعلام البحيرة .

نوع من التكريم .. نعتقد أنه يستحق أكثر من هذا .. وما زلنا ننتظر التكريمات الأخرى التي يستحقها عن جدارة .

(٨٠) جريدة المصري اليوم ، الثلاثاء ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٨ .



إكليل من الزهور يهديه إلى روحه رئيس الجمهورية وصديقه .. الرئيس مبارك



أوسمة ونياشين حصل عليها المشير أبو غزالة



لقطات من جنازة المشير أبو غزالة



الرئيس مبارك ووزير الدفاع المشير طنطاوى ورئيسا مجلسى الشعب والشورى والإمام الراحل طنطاوى وكبار رجال الدولة وأسرة المشير أبو غزالة يتصدرون جنازته .. ويلقون نظرة الوداع عليه.

بعض أسماء الضباط الأحرار

غ . م م . أول صبيح التهامي حسن
غ . م م . أول مصطفى اسماعيل علي
غ . م م . أول احمد ابراهيم سليم
غ . م م . أول عدلي كامل حنفي
لواء م . أول محمد عبد الحليم ابو غزالة
لواء م . أول احمد عباس عمر البحيري
رائد احمد كامل حنفي
لواء نقيب منير محمد سامي طاهر

(القنال)

نقيب عبد العزيز عبد الله فكري سليم
نقيب حسين محمد حمزه
غ . م م . أول أحمد محمود أحمد
لواء رائد محمود أحمد ابو زيد المنياوي
غ . م نقيب عبد المنعم خليل عطيه
لواء نقيب عمر محمد بدر الدين
م . أول محمد سعيد محمد الشعراوي
م . أول محمود المرسي حسين
م . أول شرف اسماعيل ترك
م . أول جلال محمود فهمي المربدي
عميد نقيب محمد عثمان محمد
نقيب أنور صادق المشلب
غ . م م . أول محمد علي يوسف
غ . م م . أول عبد المنعم مصطفى عبد ربه
غ . م م . أول بهجت عبد العزيز

غ . م رائد عاطف محمد عبده سعد
غ . م نقيب محمد أحمد حسن
غ . م نقيب محمود حسين عبد الناصر

(الحدود)

مقدم محمد عادل لطفي
غ . م مقدم محمود زكي عبد اللطيف
نقيب أحمد لطفي السيد واكد
غ . م نقيب محمد علي بشير

ثالثا : الاسكندرية :

مقدم / عبد الرؤوف حسن نافع
معاش نائب وزيرنقيب / ابراهيم بغدادي
لواء م رائد / محمد علي محمد الورداني
لواء م رائد / ممدوح جاد تهامي
لواء م رائد / أحمد فهمي طويلة
لواء م نقيب / عبد العزيز فهمي عبد الرحيم
لواء م نقيب / أحمد عبود الزمر
نقيب / أحمد حسن نافع
نقيب / محمد حبيب حمزه
غ . م م . أول / محمد حسن مبروك
عميد م نقيب عبد الله رضا اباظة
نقيب / صلاح الدين السيد حنفي
مقدم / احمد عاطف نصار
غ . م مقدم / صلاح الدين السيد قنصوة
لواء م مقدم / محمد الشافعي عبد الهادي
لواء م رائد / عباس محمد عوض الله
رائد / مصطفى محمود فهمي الميسوي
رائد / ابراهيم محمود ابراهيم محمد
رائد / محمود محمود الغراب

شهادة اللواء عبد المنعم سعيد

صحيح أن من قرأ ليس كمن عاصر وشاهد وتعامل ــ إلا أنني شعرت بصدق التعبير وسلاسة اللغة وعمق التنقيب والدراسة والبحث عن الشخصية الفذّة للفقيد المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة رحمه الله الذي كان محط أنظار الجميع ، لم يهجه أحد ، بل أحبه وقدّره كل من شاهده أو عاصره ـ فما الحال مع من تعامل معه وخدم تحت قيادته سنوات وسنوات طالبا أو ضابطا أو قائدا ولمس معدنه الأصيل الذي عبّر عنه الكتاب إلى حدّ بعيد ــ وأعتقد أن الكتاب سيسعد به كل من يقرؤه ـ سواء عاصره أو لم يعاصره ـ سيستمع بالتعرف على القائد الفذ والإنسان العظيم الذي ترك في نفوس الجميع ذكرى عطرة ـ رحمه الله وأثابه خير ثواب وألهم آله وصحبه الصبر السلوان .

لواء متقاعد / عبد المنعم سعيد

رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة سابقًا

الخاتمة

حقًا .. لم يكن المشير أبو غزالة محطة قطار مر عليها المسافرون ، ولكنه كان منتهى حلم العاشقين في صفاته ، وتواضعه ، وسطور حياته .. وظل النداء المتكرر الذي يدعونا دائمًا إلى الأفضل ، وأحمد الله أن مكنني من ذكر تلك الحقائق ، فإن في الأعناق حقوقًا وديونًا وأعلى هذه الحقوق أن نعطي لكل ذي حق حقه ..

وكما قال الشاعر العربي قديمًا :

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيًا   لعلمت غرب الدمع كيف
غاب بدر فالنجوم طوالع   ثوابت لا يقضي لهن أفول
يغاث بها في ظلمة الليل حائر   ويسرى عليها بالفراق دليل

وننهي حديثنا عن هذه الشخصية الثرية بكلمات اللواء محمد طلبة والتي يقول فيها : «هل يشفع لهذا الرجل عند الله سبحانه وتعالى عمله واجتهاده طيلة حياته ؟ هل يشفع له عمله وتعليمه لآلاف من الضباط ؟ هل يشفع له حبه لله وللرسول وللكتاب الكريم ؟ هل يشفع له حبه لأسرته وأولاده وأحفاده وصبره على وفاة ابنه واحتسابه له وديعة عند ربه ؟ هل يشفع له محاربته للإسرائيليين وتكبيده لهم أكبر خسائر ممكنة ؟ هل يشفع له صبره على مرضه اللعين والذي تحمل بشجاعة فائقة ولم يشك ولو بكلمة آه ، لعلمه بأن كل شيء من عند الخالق سبحانه وتعالى ؟ هل يشفع له ظلم الآخرين وحقدهم والذي قابله دائمًا بالتسامح والتغاضي عن السيئات ؟ ..

يا رب هذا عبد من عبادك الأوفياء المخلصين ، رزقته العلم وانتفع به وأعطيته المال وتزكى به، وأعطيته الجاه والعز والسلطة والنفوذ وشكر .. وأعطيته المرض اللعين وصبر ، وأعطيته كل شيء ولم يصبه الغرور وحتى حينما حرمته من كل شيء تحمل ولم يتضجر وصبر ..

«اللهم اجعل مثواه الجنة ، واحشره مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا .. اللهم هل بلغت .. اللهم فاشهد» ..

كلمة أخيرة لا بد من ذكرها .. إنه عمل قمت بإعداده فيما يزيد على العامين في مراجعته والتصديق عليه من الجهات المختصة بوزارة الدفاع .. شهادات حية من رجال عرفوه وعملوا معه عن كثب .. وقد اعتمدت على أرشيف صحفي ثري وضخم عنه .. إنه كتاب هدية قدمها إليه أحباؤه في ذكرى وفاته الأولى .. لنؤكد أنه رحل بجسده فقط ، ولكن روحه ما زالت ترفرف حولنا ونستظل بها .. فهو موجود بيننا جميعًا بأعماله وإنجازاته رحمه الله وتغمده برحمته .. وكما قلت في البداية إن هذا العمل نواة لكتب أخرى يمكن أن تعد عنه وعن أعماله والجوانب الأخرى التي لم أتطرق لها كما ينبغي .. أتمنى أن أكون قد وفقت في أداء مهمتي .. مع شكري لقراء هذا الكتاب ، وقبلهم كل من سجل كلمته أو ساعد في ظهور هذا الكتاب وهم كثيرون .

ورحمة الله على من سجلوا كلمتهم وتوفوا قبل إصدار الطبعة الأولى والثانية للكتاب وهم اللواء حسن الجريدلي واللواء أحمد شوقي والأستاذ جمال كمال والحاج محمد طباخه، واللواء منير شاش والوزير توفيق عبده إسماعيل والسيد جمال الليثي .. ودعواتي بالشفاء للواء عبد الرحمن الهواري واللواء حسام خيرت واللواء أحمد فخر.

وتستمر المسيرة مع بطل آخر من أبطالنا العظماء ورموزنا الشامخة في سماء مصرنا الحبيبة .

أميرة فكري

القاهرة / مدينة نصر

المراجع

* **الأرشيف الصحفي للمشير أبو غزالة .**

* **صحف ومجلات مصرية وعربية ، صدرت قبل وفاته ، وبعدها .**

* **مواقع إلكترونية عديدة .**

* **كتاب مذكرات ضابط مصري «اللواء حسن الجريدلي» .. إعداد ، أميرة فكري .**

* **مذكرات المشير الجمسي .**

* **كتاب حرب رمضان ، اللواء حسن البدري ، اللواء طه المجدوب ، العميد ضياء الدين زهدي .**

* **كتاب طريق مصر إلى القدس «د . بطرس غالي» .**

* **إصدارات المشير أبو غزالة .**

* **برامج تلفزيونية ووكالات أنباء عالمية .**

المقابلات :

* **الفريق عبد رب النبي حافظ الدفعة ٤٩ : تولى العديد من المناصب القيادية منها قائد الفرقة ١٦ خلال أكتوبر ، سكرتير عام وزارة الدفاع ، رئيس هيئة العمليات ، رئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق .**

*** الوزير توفيق عبده إسماعيل : الدفعة ٤٩ ، من الضباط الأحرار ، سلاح الفرسان ، وزير الطيران والسياحة الأسبق ، عضو مجلس الشعب عن دائرة دكرنس «الدقهلية» لعدد من الدورات السابقة ..**

*** الفريق صفي الدين أبو شناف : تولى العديد من المناصب القيادية ، شارك في حروب مصر المعاصرة ، رئيس أركان لواء مشاة ميكانيكا ، ثم قائده في حرب أكتوبر ، رئيس هيئة التنظيم والإدارة ، رئيس أركان حرب القوات المسلحة سابقا .**

*** الفريق أحمد صلاح عبد الحليم : شارك في حروب مصر المعاصرة ، تولى عددا من الوظائف القيادية ، قائد قطاع بور سعيد خلال حرب أكتوبر ، قائد الجيش الثاني الميداني ، رئيس هيئة العمليات سابقًا ، خبير إستراتيجي .**

*** اللواء عبد المنعم خليل : شارك في الحروب المعاصرة ، تولى العديد من الوظائف القيادية ، تولى قيادة الجيش الثاني الميداني والمنطقة المركزية ، مساعد وزير الدفاع للتوجيه المعنوي سابقًا ، خبير إستراتيجي**

*** اللواء حسن الجريدلي : تولى العديد من الوظائف ، شارك في حروب مصر ، سكرتير عام وزارة الحربية ، رئيس هيئة العمليات سابقًا ، خبير إستراتيجي .**

*** اللواء منير شاش : تولى العديد من الوظائف ، قائد مدفعية الجيش الثالث خلال حرب أكتوبر ، مدير سلاح المدفعية سابقًا ، محافظ شمال سيناء سابقًا ، خبير إستراتيجي .**

*** اللواء يسري خطاب : سلاح المدفعية ، صديق شخصي للمشير أبو غزالة . تولى العديد من الوظائف وشارك في حروب عديدة .**

* اللواء عبد المنعم سعيد : شارك في حروب مصر المعاصرة ، وتولى العديد من الوظائف ، قائد الجيش الثاني ، رئيس هيئة العمليات السابق ، محافظ جنوب سيناء والسويس والبحر الأحمر ومطروح ، خبير إستراتجي .

* اللواء محسن حمدي : رئيس اللجنة العسكرية لاستلام سيناء ، ورئيس الوفد السياسي العسكري لحل مشكلة طابا .. شارك في العديد من الحروب ، وتولى العديد من الوظائف .. خبير إستراتيجي .

* اللواء محمد عباس منصور : تولى العديد من الوظائف ، شارك في حروب مصر المعاصرة ، رئيس عمليات مدفعية الجيش الثاني الميداني خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، قائد مدفعية الرئاسة العامة ، خبير إستراتيجي .

* اللواء عبد الجابر أحمد : قائد فوج مضاد للدبابات ، قائد مدفعية المنطقة الجنوبية سابقًا .. عضو اتحاد كرة القدم ، خبير إستراتيجي .

* اللواء حسني سليمان : رئيس أركان مدفعية الفرقة الثانية ، مدير إدارة المدفعية ، مساعد وزير الدفاع سابقًا .

* اللواء عبد الرحمن الهواري : شارك في حروب مصر المعاصرة ، تولى العديد من الوظائف ، عمل ضمن مجموعة الإعداد والتخطيط للحروب على مستوى القيادة العامة أثناء الاستنزاف وأكتوبر ، حاصل على ماجستير من كلية القادة والأركان ودكتوراة في التاريخ الحديث ، خبير إستراتيجي .

* اللواء على هيكل : تولى العديد من الوظائف ، شارك في حروب مصر المعاصرة ، قائد وحدة صاعقة في الجيش الثاني خلال حرب أكتوبر ، ومن فريق التنس وأصدقاء المشير أبو غزالة .

*** اللواء فريد حجاج : شارك في حروب مصر المعاصرة ، تولى العديد من الوظائف ، ضابط بالفرقة ١٩ بالجيش الثاني خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، مدير معهد المدفعية ، مساعد مدير أكاديمية ناصر .**

*** اللواء دكتور حسام خيرت : شارك في حروب مصر المعاصرة ، شارك كثيرا في بحوث التطوير والتصميم الفني في وزارة الدفاع ، تولى عددا من الوظائف ، رئيس البحوث الفنية والمشروعات الخاصة بوزارة الدفاع .**

*** اللواء محمد عبد المنعم طلبة : شارك في حروب مصر المعاصرة ، خدم في جميع وظائف سلاح المدفعية ، قائد مدفعية الجيش الثاني ، قائد مدفعية الرئاسة العامة ، مساعد مدير المدفعية ، مدير مركز الدراسات الإستراتيجية سابقًا .**

*** اللواء يحيى خليفة : سلاح المدفعية ، شارك في حروب مصر المعاصرة وتولى العديد من المناصب القيادية ، مدير إدارة التجنيد سابقًا .**

*** اللواء محفوظ حمدي : تولى العديد من المناصب ، قائد الجيش الثاني ، ملحق عسكري بفرنسا ، رئيس هيئة العمليات ، مساعد وزير الدفاع سابقًا .**

*** اللواء أحمد فخر : شارك في حروب مصر المعاصرة ، تولى العديد من الوظائف القيادية والأكاديمية ، مدير كلية الدفاع الوطني ، مدير أكاديمية ناصر العليا ، مستشار إعلامي لوزير الدفاع سابقا ، خبير إستراتيجي .**

*** اللواء حسني السبع : الدفعة ٤٩ ، شارك في حروب مصر المعاصرة ، تولى العديد من المناصب القيادية .**

*** اللواء عطية سليمان : الدفعة ٤٩ ، تولى العديد من المناصب ، قائد المنطقة المركزية ، مساعد وزير الدفاع سابقًا .**

*** اللواء مسعد ششتاوي : شارك في حروب مصر المعاصرة ، تولى العديد من المناصب ، شارك في عمليات الجيش الثالث خلال حرب أكتوبر ، رئيس شعبة عمليات المنطقة المركزية ، خبير إستراتيجي .**

*** اللواء عبد المنعم كاطو : شارك في حروب مصر المعاصرة ، تولى العديد من الوظائف القيادية ، أثناء حرب أكتوبر ، شارك في عمليات الجيش الثاني ، ملحق عسكري بالعراق سابقًا ، وخبير إستراتيجي .**

*** العميد أحمد صالح : سلاح المدفعية ، شارك في حروب مصر المعاصرة ، تولى عددا من المناصب ، من فريق التنس وأصدقاء المشير أبو غزالة .**

*** السيد جمال الليثي : الدفعة ٤٩ ، من الضباط الأحرار ، منتج سينمائي .**

*** السيد سامي شرف : الدفعة ٤٩ وسكرتير الرئيس جمال عبد الناصر ..**

* القبطان وسام حافظ : كبير مرشدي هيئة قناة السويس وأحد رجال المجموعة ٣٩ قتال .

* الصحفي جمال كمال : كبير المحررين العسكريين ، أشرف على جريدة القوات المسلحة المصرية ، نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية وصديق شخصي للمشير أبو غزالة .

* الصحفي شوقي حامد : عميد سابق بالقوات المسلحة ، شارك في عدة حروب مصرية ، رئيس تحرير مجلة النصر ، المستشار الإعلامي لوزير الدفاع سابقًا .. صحفي بجريدة الأخبار.

* طباخ السيد المشير : الحاج محمد مرسي .

* بعض أصدقائه وزملائه في نادي الجلاء من فريق التنس .

* بعض أطقم السرفيس ، والعاملين في نادي الجلاء .

الكاتبة في سطور

ـ أميرة فكري أحمد من مواليد المنصورة .

ـ عضو باتحاد الكتاب المصري.

ـ ليسانس الآداب علم نفس جامعة المنصورة ١٩٩٧ .

ـ دبلوم عامة في التربية جامعة المنصورة ١٩٩٨ .

ـ دبلوم علاقات عامة كلية إعلام جامعة القاهرة ٢٠٠٢ .

ـ نشرت قصصًا قصيرة ومقالات وتحقيقات صحفية في العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية والعسكرية .

أهم إصدارتها العسكرية :

*** كتاب «المشير أحمد إسماعيل علي .. بطل لا يعرفه كثيرون» ، سيرة ذاتية عسكرية / دار ابن لقمان للنشر ٢٠٠٤ .. طبعة أولى .**

*** كتاب (الفريق عبد المنعم رياض .. القدوة والرمز) .. كتاب الجمهورية سبتمبر ٢٠٠٦ .**

*** كتاب (خفايا وأسرار من غرفة عمليات حرب ٦ أكتوبر) .. كتاب الجمهورية شهر أكتوبر ٢٠٠٧ .. مذكرات اللواء حسن الجريدلي .**

* أحمد إسماعيل بطل لا يعرفه كثيرون .. الطبعة الثانية .. كتاب الجمهورية شهر أكتوبر ٢٠٠٨ .

* كتاب الفريق عبد المنعم رياض رمز العسكرية المصرية ، إصدار مكتبة الأسرة ٢٠٠٩ .

* كتيب عن المشير أحمد إسماعيل ، إصدار إدارة الشؤون المعنوية ، وزارة الدفاع خلال احتفالات أكتوبر ٢٠٠٩ .

* اللواء حسن الجريدلي .. شاهدًا على حروب الكرامة إصدار مكتبة الأسرة ٢٠١٠.

* المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة القائد الإنسان إصدار مكتبة الأسرة ٢٠١٠.

* المشير محمد عبد الغني الجمسي .. مهندس حرب أكتوبر . لم يطبع بعد.

* من أوراق مقاتل مصري . لواء محيي نوح بطل الصاعقة . لم يطبع بعد.

إصدارات أخرى في مجال السياسة والأدب :

ـ كلمات بالسيلوفان (قصص قصيرة) ، دار الدفاع للطباعة والنشر .. ٢٠٠٢ .

ـ كتاب جوانتانامو .. المعتقل الرهيب ٢٠٠٦ دار الأحمدي للطبع والنشر ٢٠٠٣.

ـ كتاب حقيقة البهائية حتى لا تنخدع !! .. دار هلا للنشر ٢٠٠٧ .

ـ كتاب عروسة ماريونيت ، قصص قصيرة ، دار الكتب ٢٠٠٩ .

جوائز وميداليات :

ـ حصلت على العديد من المراكز الأولى والمتقدمة في كتابة القصة على مستوى مصر والعالم العربي أكثر من مرة ..

ـ وشحت لتمثيل مصر في مهرجان قرطاج ومهرجان الشباب بليبيا .

ـ حصلت على الميدالية البرونزية في كتابة القصة في مهرجان الشباب العربي التاسع بالإسكندرية .

ـ حصلت على الدورة الثامنة للمحررين العسكريين بأكاديمية ناصر العليا ٢٠٠٢ . بمركز أول امتياز.

ـ حصلت على الدور ١٧ للمحررين العسكريين بأكاديمية ناصر العليا ٢٠٠٩ . بمركز أول امتياز.

ـ حصلت على دورة الأزمات والتفاوض رقم ٢٥ بكلية الدفاع الوطني بأكاديمية ناصر العليا ٢٠١٠ . بمركز أول امتياز.

ـ حصلت على دورة تخطيط وتنمية بشرية بوزارة الدفاع . مركز أول امتياز.

للتواصل مع الكاتبة .. إلكترونيًا

Amira-fikry@hotmail.com

فهرس الكتاب